
العربي
سد مأرب .. واليمن الجديد

System
5500W

في عام ١٩٣٧ ، خطرت على بال رجل اسمه أفري فيشر فكرة عظيمة . فقد اخترع أول نظام صوت هاي فاي في العالم . هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي ما زالت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها .

مثال عظيم على ذلك : نظام فيشر السمعي الكامل المتوازن المبين أعلاه . داخل مضخمات الصوت ذات القوة المدمجة ١١٠+١١٠ واط* . اعتمد فيشر حلولاً [illegible] فوق الأذن [illegible] يوفر مصدراً متوازناً للطاقة حتى عند الاستماع العالي جداً . كذلك اعتمد نظام مكبر صوت ووفر مزدوج . وهكذا فإن المضخم ومكبرات الصوت يمكن صوتاً عالياً خالياً [illegible] وخال تماماً من التشويش . لقد صممت مكبرات الصوت هذه خصيصاً للاستعمال في الأنظمة الثنائية السمعية . وهي أيضاً تخفض من التشويش المصطنع الذي تحدثه المكبرات الحديثة والذي قد تسمعه في الخطوط [illegible] .

إن أفكاراً عظيمة كهذه هي التي مكنت فيشر منذ ٤٠ سنة من حمل علامة الأجهزة السمعية الأولى في الولايات المتحدة ولا تزال للآن . وقد أصبحت فكرة عظيمة . فكرة [illegible] فيشر .

• طاقة خارج RMS مع ٠٫٠٠٠ ٪ THD عند 1KHz.





العـــــدد ٣٢٠ يوليـــو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 320 July, 1985 P.o. Box 748. Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفـــاة الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

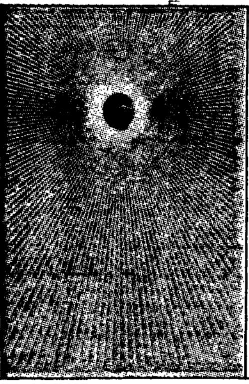
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د. ك - باقي دول العالم ٦ د. ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

كتاب العربي



آراء ودراسات فى :

الفكر القومي

ساطع الحصري — د. أحمد زكي
د. محمد أحمد خلف الله — د. عبد العزيز الدوري
د. عبد الله عبد الدائم — د. عبد الرحمن البزاز
د. كلوفيس مقصود

العدد الثامن — ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارئ

رب ضارة نافعة . . والضربة التي لا تقتلك تقويك . . .

حقيقتان تؤكدهما أحداث كل يوم . . مع استمرار مسيرة الحياة . .

والذي حدث في الكويت . . ذلك اليوم في أواخر مايو الماضي . . كان استمرارا لتأكيد هاتين الحقيقتين . . .

ودعنا - عزيزي القارىء - نتناول بالحديث أمرا هو في الحقيقة لا يخص قطرا واحدا من أقطار وطننا العربي . . بل ان كل قطر من أقطار هذا الوطن معرض - في ظل اختلال الموازين وتداعي القيم وتضارب العلاقات - لمثل هذا الذي حدث في الكويت .

فالجريمة الآثمة التي تعرض لها موكب سمو الأمير صورة من صور الارهاب المنظم . . الذي تخطط له وتنفذه مجموعة من أصحاب العقول الباغية والأيدي الملوثة بالدم . . . تعتقد أنها بالتخريب والمؤامرة والاغتيال تستطيع أن تفرض على الوطن العربي الذلة والاستسلام لمخططاتها وأهدافها . . دون أي اعتبار لمصالح الشعوب وطموحاتها وكراماتها وحريتها في اختيار القرار .

واذا كانت الكويت - بكل ما تتمسك به من تصميم على أن تحدد طريقها بنفسها وبملء إرادتها - مرصودة ومستهدفة من أعداء الله والحرية والانسان لنسف استقرارها وزعزعة أمنها . . فقد أثبتت الجريمة الآثمة ، ومهما تبلغ دناءتها ، أنها لا تستطيع أن تثني الشرفاء من أصحاب العزم والكلمة والرأي والضمير ، عن مواصلة مسيرة الخير ، والانطلاق على طريق العروبة ، والاستمرار واحة للأمان والحرية والمواقف الوطنية الصامدة ، دون السماح لأحد بالتطاول على حرمات الوطن،وتعكير أمنه،والعبث بمصالحه .

وليس هذا فحسب . . بل لقد كانت الجريمة دافعا لمزيد من التصميم على المواقف الشريفة الثابتة . . وسببا لتماسك كل القوى الوطنية العربية والاسلامية للوقوف في وجه الشر،وضرب رءوس البغي والعدوان . . ووسيلة لتجديد البيعة القومية للرجل الذي يقود المسيرة بكل نقاء الإلتزام ، وصلابة المواقف وإعلاء راية العدل والديمقراطية . . وتأكيدا للالتفاف حول أصحاب القيم الشريفة الذين لا ينحنون أمام الارهاب مهما تبلغ دناءة أساليبه وحقارة مخططاته .

وقد أثبتت الكويت شعبا وأميرا وحكومة - وهي بعض هذا الوطن العربي الكبير - ان العرب يستطيعون دائما مواجهة التحديات،والارتفاع فوق المحن،والثبات على المواقف . . ومواجهة كل من يستهدف بلادهم واستقلالهم وحياتهم وحريتهم . .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . .

المحرر

محتويات العدد



في ريف اليمن الجديد المرأة دائماً هناك .
إقرأ (سد مأرب واليمن الجديد ص ٣٦)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● جمال العربية :

● من مكتبة العربي :

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣٢٠ ـ يوليو ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

العنف والإرهاب

تجاه الآمنين هو سلاح الضعفاء

■ .. وتبقى الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام .

■ إرهاب أسود ضد شعب آمن وقائد مؤمن بالله .

■ ٢٥ مايو .. يوم السلامة الوطنية .. ويوم الوحدة الوطنية .



الزمان : الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الموافق الثامن والعشرين من شهر مايو الماضي .

المكان : قاعة استقبال صغيرة ومتواضعة هي قاعة الاستقبال في بيت أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد ، وفي بيته المتواضع الذي لا يختلف كثيرا عن بيوت الكويت القديمة ، لا بذخ يستلفت النظر ولا بهرج .

الحضور : رؤساء تحرير الصحف اليومية والأسبوعية مع رئيس وكالة الانباء الكويتية يتقدمهم وزير الأعلام في الكويت .

الغرض : حوار سريع مع الأمير الذي أصر ـ وبعد أقل من ثمان وأربعين ساعة فقط على محاولة الاعتداء على موكبه ـ أن يستقبل المسئولين الإعلاميين والصحافيين «لدردشة» قصيرة . . ولكنها عميقة ومؤثرة .



سمو أمير الكويت بعد أن عافاه الله وحفظه يوجه كلمته إلى الشعب الآمن المسالم : « ان ما حدث ويحدث لن يثنينا ولن يثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع » .

مما ورد في قول أمير الكويت في ذلك اليوم المشهود :

« إن الانسان معرض للمخاطر . ولا يعنيني في هذه اللحظة ومنذ فترة غير قصيرة إلا اقتتال الأخوة العرب والمسلمين في المخيمات في بيروت ، وهذه الدماء الزكية التي تسيل من الجانبين » . وقال : « ما يهمني هو الوضع العربي المتدهور والذي وصل الى درجة تدفع أشد الناس ايمانا بالمستقبل الى اليأس والقنوط . . ولكننا في الكويت مازلنا مؤمنين ان الجهود لابد ان تبذل مهما كانت التضحيات والعقبات لوقف هذا التدهور » .

* * *

لقد كان الرجل ـ وبعد أقل من يومين من ساعة الاعتداء عليه وهو في موكبه متجها الى مكتبه ـ يفكر لا في نفسه ولا فيما عوفي منه ، فهو مؤمن بقضاء الله وقدره ، ولكنه يفكر في أمته ، ويفكر في أبناء وطنه الذين خاطبهم بعد ساعات من وقوع الحادث في ٢٥ مايو ، يوم السلامة الوطنية ويوم الوحدة الوطنية قائلا :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . . « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . . صدق الله العظيم .

لقد سمعتم ما حدث صباح اليوم ، والمؤمن يسلم امره الى الله تعالى فهو الحافظ وبيده كل شيء ، وأود أن أطمئنكم جميعا بأنني الآن بخير والحمد لله ، وما نتعرض له من حوادث لن يثنينا ويثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع ، وان تعمل من أجل الخير لابنائها ولأمتنا العربية والاسلامية .

انني أشكركم جميعا لما أظهرتم من مشاعر صادقة،وأسأل الله سبحانه أن يبعد عنكم كل مكروه ، كما أود أن أشكر اخواني الرؤساء الذين اتصلوا بي معربين عن مشاعرهم الأخوية التي أعتز بها .

حفظ الله الجميع من كل مكروه ورحم الله الذين راحوا ضحية هذا الحادث الأليم وكتب الله الشفاء للمصابين » .

ماذا يريد الأعداء من الكويت؟

□ لقد هبت الكويت بعد ذلك اليوم ولفترة طويلة ، وأحسب أنها ستكون فترة مميزة في تاريخ الكويت ، هب المجتمع الكويتي العربي واقفا وقفة رجل واحد،مؤيدا وداعيا للأمير وسياسته الحكيمة الداخلية والخارجية ، ولقد اتفق الجميع أن الاعتداء الآثم على حياة أمير الكويت لم يكن موجها ضدشخصه فحسب ، بل كان موجها ضد الكويت ، ضد تجربة الكويت الاجتماعية والسياسية في المقام الأول ، وضد توجهاتها السياسية العربية والاسلامية والدولية .

فتوقيت الحادث لم يكن بعيدا إلا بأشهر معدودات عن فترة الانتخابات الديمقراطية التي مارسها أبناء الكويت أمام سمع العالم وبصره . . ولم يكن بعيدا عن فترة بدء أعمال مجلس الأمة المنتخب من الشعب ، التجربة التي كانت نقطة مضيئة في التنظيم السياسي في المنطقة .

ooo

ولقد فهم البعض خطأ أن الحوار الديمقراطي الذي يجري في الكويت من خلال مؤسساتها الدستورية وبشكل علني واضح للجميع ، فهموا هذا الحوار الذي يشوبه بعض الخلاف في الرأي في مجتمع حي متفاعل وديمقراطي ، على أنه يحمل بذور الخلاف ، وهو فهم خاطيء بالتأكيد .

فالحوار هو سبيل الوصول الى الأفضل تحت حكم ارتضاه الجميع وتعاقدوا عليه وحموه من خلال الدستور ، في ظل حاكم يراه الجميع والدا وقائدا وحكما بين السلطات من أجل المصلحة الوطنية العليا ، فالكويتيون على اختلاف مشاربهم واجتهاداتهم لا يرضون لنظامهم بديلا،ولا يرضون لأميرهم وقائد مسيرتهم أن يتعرض من قريب أو بعيد لمكروه أو عدوان .

من هنا بدأ التكاتف والتلاحم الشعبي على جميع المستويات غريبا لدى البعض ، ولكنه ليس غريبا على من يعرف الكويت . . . وليس غريبا على من واكب تجربتها وعرفها عن قرب ، وتكفي الاشارة الى ما جاء في بيان الحكومة الذي أعقب الحادث الأثيم والذي قالت فيه :



ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد وبرفقته وزير الداخلية الشيخ نواف الأحمد ورجال الأمن يتفقدون آثار المحاولة المجنونة .

« إن الحكومة لن تخضع للابتزاز أو الارهاب أو التهديد ، وان مثل هذه الأعمال الجبانة لن تقف حائلا أمام مسيرة الكويت الخيرة .

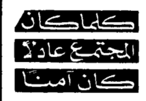
وتؤكد الحكومة مرة أخرى بأنها مصممة على ردع كل من تسول له نفسه العبث بأمن البلاد واستقرارها ، متمثلة بقول الله سبحانه وتعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذا البيان الذي أعلنته الحكومة عقب وقوع الحادث الأثيم يواكب بيان مجلس الأمة الذي عقد جلسته في صبيحة نفس اليوم،وندد في بيانه بالحادث فقال :

« يستنكر مجلس الأمة بشدة باسم الشعب الكويتي حادث الغدر،ويدعو الشعب الكويتي للتكاتف وتفويت الفرصة على أصحاب الأغراض المشبوهة وذلك من خلال التأكيد على الوحدة الوطنية،والوعي المطلوب في هذه المرحلة الحرجة » .

وأضاف البيان : « نود أن نؤكد أن هذا الشعب بقيادة صاحب السمو الأمير الذي آمن بالديمقراطية ورعاها سوف لا يتأثر بمثل هذه الأعمال الجبانة وان المسيرة الكويتية الديمقراطية ستستمر معتمدة على وحدة أبناء الشعب الكويتي » .

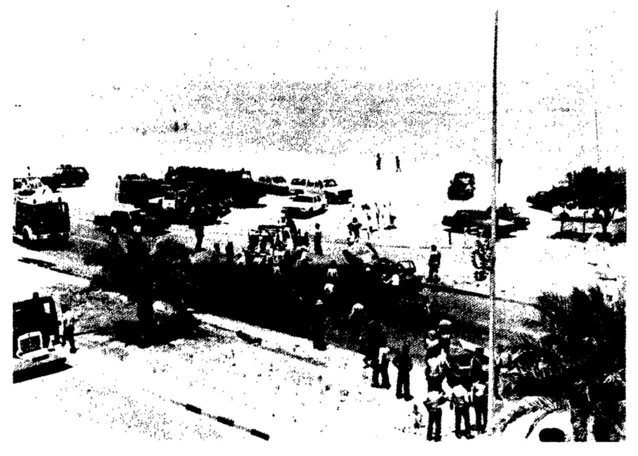
اذا كان بعض من أهداف مدبري الاعتداء الآثم على موكب أمير الكويت ، تخذيل الثقة بالنفس وزعزعة الأمن ، فقد خاب ظنهم . . فقد واصلت الكويت دون طوارىء ودون اجراءات استثنائية مسيرتها الأولى ، وبلا أي اضطراب . . . وعبر الكويتيون عن بكرة أبيهم عن تكاتفهم والتفافهم حول قيادتهم الأمينة ، واضطلعت الصحافة الكويتية وسائر أجهزة الاعلام بالعبء الذي تلتزم به في مجتمع ديموقراطي منظم تحكمه المؤسسات .



□ لا يستطيع أحد أن يكابر بالقول ان الكويت لا تطبق سياسات داخلية وخارجية متوازنة وعادلة ، فعلى الصعيد الداخلي يحكم الكويت دستور حديث وضع عشية الاستقلال وارتضاه شعب الكويت ، وقد تبنى هذا الدستور مؤسسات ديمقراطية حافظ عليها،ورعتها القيادة السياسية الكويتية ، وتفرع من ذلك سياسات اجتماعية متوازنة،فأصبح التعليم والرعاية الصحية والرعاية السكانية حقا مكتسبا للمواطنين ، في نفس الوقت الذي حافظت فيه الكويت على علاقات خارجية متوازنة سواء مع القوتين الأعظم ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ أو مع بقية دول العالم وبخاصة دول العالم الثالث التي قامت بإشراكها في ثروتها منذ ظهور الكويت المستقلة ، من خلال الصناديق المحلية والعربية مثل الصندوق الكويتي والصندوق العربي ، كما أصبح مشهودا لسياستها الخارجية بقيادة وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الذي جعل دأبه محاولة رأب الصدع بين الاخوة على الصعيدين العربي والاسلامي ، ومافتىء يقوم بذلك ، كما أن السياسات المعلنة والمطبقة تقوم على أساس أن منطقة الخليج منطقة عربية يرفض الجميع أن يتدخل في سياستها الاقليمية أحد من الخارج ، كما أن الدفاع عنها من مهمات أبنائها ، وتحولت هذه المقولة الى تطبيق عملي في سياسة الكويت الخارجية مع جيرانها .

وفي هذا الاطار فإن أي ارهاب يوجه الى ذروة النظام الكويتي هو ارهاب مرفوض من قطاعات واسعة من العرب والمسلمين أصحاب البصر والبصيرة ، ولا ينتج عنه خير أبداً ، بل إن نتائجه شر كامل . . وهو ارهاب لم يستهدف في الحقيقة رمز النظام بقدر ما يستهدف اهانة الكويت وشعبها وضرب كل القيم الشريفة التي تأبى الكويت أن تتخلى عنها،وتتشبث بأن تتخذها نبراساً لها وهادياً لمسيرتها . .

فمن الذي يغيظه ذاك الأمن ويزعجه هذا الاستقرار ويريد أن يزج بهذه البقعة الآمنة في أتون الاضطراب الذي قد يعرضنا الى التدخل الخارجي !!؟



مسرح الجريمة في شـــارع الخـــليـــج العربي . . وكتب الله الســـلامـة للقـــائـد العربي المؤمن .

الارهاب الأسود
ضد المجتمع
وضد الآمنين

□ مثل هذه التجربة مع شعب ديمقراطي مسالم يسعى قادته الى الخير ورأب الصدع . . عندما يوجه إليه الارهاب وعلى أعلى مستوى في قيادته ، فلابد أن تثار أسئلة منطقية : لمصلحة مَنْ يجري ذلك ؟

لاشـك أن الارهاب قـديم قدم الحضـارة الانسـانيـة ، قـدم الـزمـان والمكان . . . وقد ظهر في زماننا على شاشات السينما والتلفزيون وبين أغلفة الكتب والمجـلات السيـارة شخصيـات تستخـدم العنف من أجـل تحقيق مصالحها ، ويعتمد حكمنا عـادة على قيمـة أعمالهـا من موقفنـا السياسي والاجتماعي ، وفي جميع الحالات تقريبا يرفض الذين يمارسون الارهاب ـ وخاصة في الوقت الحاضر ـ قبول التسمية والاقرار باللجوء الى هذه الوسيلة رغم تورطهم فيها ، فالارهاب ينسب دائما الى غيرهم ، حتى أصبحت عبارة (الارهاب) عبارة نموذجية ترد في الاعلام السياسي الدعائي ، ولكن مهما حاول الذين يلجأون الى الارهاب تصوير الحقيقة على غير واقعها،واخفاء المعالم الحقيقية لأعمالهم ، تبقى لأصحاب الفكر والمراقبين المحايدين قدرة على التمييز بين الارهاب الأسود الموجه للآمنين والذي لايخدم غرضا وطنياً ، وبين ذاك النوع من النضال الوطني المبرر الموجه لطرد الأجنبي ، لأنـه في ميدان السياسة لاترتبط حقيقة الأفعال والظواهر بما يعتقده هذا الفريق أو ذاك ، أو بتكييف الأعمال من قبل الفاعلين ، وانما ترتبط حقيقة الأفعـال

بالآثار الملموسة التي تتركها تلك الأعمال،وبدورها الفعلي في الهيكل السياسي للمجتمع ، وأخيراً بالنتائج الموضوعية التي تجسمها تلك الأعمال في حياة ذاك المجتمع .

ومنذ الحرب العالمية الثانية تعرف جماهير القراء تسميات مثل « الجستابو » ، و « الاس إس » ، وهي من الأدوات البوليسية الخاصة بالنازية التي كانت تستخدم الارهاب وسيلة لأهدافها . . . وكذلك تعرف الـ « سي أي إيه » ، و « الكي جي بي » في وقتنا الحاضر . بجانب مسميات أخرى معروفة أو خفية ، هذه المؤسسات تعمل كذراع آخر في الحروب أو هي امتداد للمجهودات الحربية ، كما عرفنا في تاريخنا العربي الاسلامي حركات كالحشاشين الذين زرعوا الاغتيال والعنف حتى أنهم حاولوا مرتين اغتيال القائد الاسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي . كما يقول لنا التاريخ إن حركات مثل (الخناقون) في الشرق الأقصى وحركة « كلوكلوكس كلان » في القرن التاسع عشر والعشرين في الولايات المتحدة ، كلها حركات إرهاب أسود اتسمت بالعنف للتخلص من أولئك الذين حلت عليهم الأحقاد .

ولعل المنظمات الارهابية الصهيونية التي انتشرت في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى مثل منظمة (شترن) ومنظمة (أرغون زفاي ليومي) التي أسسها جابوتنسكي في سنة ١٩٣٧ (وهو استاذ مناحيم بيجن في الارهاب) هذه المنظمة كانت تضم شباباً يتدربون ويُنشَّأون على مباديء عسكرية صارمة وقاسية . . وكانت تزرع القنابل في الأحياء العربية في فلسطين وتضع المتفجرات في سيارات النقل وفي الأسواق التجارية والساحات العامة حتى أشاعت جوا من الارهاب بين المواطنين الفلسطينيين وأجبرت بعضهم على الرحيل عن بيوتهم وأراضيهم ، ذاك هو النوع الثاني من الارهاب الذي يحرم الناس حرياتهم وأوطانهم .

الارهاب مرض دولي

□ اذا كنا قد فرقنا بين الارهاب الأسود الذي يوجه الى الآمنين من خارج الحدود دون ذنب جنوه ، وبين النضال المسلح ذي الدوافع الوطنية المبررة . . فإن العالم في العشرين سنة الأخيرة يشهد موجة من الارهاب الدولي الذي زاده التقدم التقني تعقيدا ، فالخطر من مواجهة نووية بين العملاقين الغربي والشرقي قد أبعدت كليهما عن حرب تقليدية قد تستلزم أو تنتهي بمواجهة نووية . . فبرز عنصر جديد محل الصراعات وتأجيجها وهو الارهاب .

والبعض اليوم ينظر الى الارهاب وكأنه امتداد للحرب أو بديل مؤقت عنها ، وستزداد هذه الصراعات وتحتدم في السنوات القادمة بزيادة بؤر الصراع ، ولعلنا في منطقتنا العربية اليوم مبتلون ببؤر صراع مستمرة منذ



السيارة التي كان يستقلها سمو أمير الكويت .. العناية الإلهية وحدها حفظته للكويت وشعبها .

سنوات طويلة .. ليس مع عدونا الصهيوني فقط فذاك مفهوم ومقبول .. ولكنها مع الأسف امتدت بين أبناء القومية والجنس والدين الواحد ، ونتيجة لهذا الاضطراب فإن الدول الكبرى تسللت الى ثغراته تستفيد منه من خلال عمليات خاصة تهدف لتحقيق اغراضها في السياسة الخارجية ، وتنفذها على نحو لا يظهر دور الحكومات في غرضها ومباشرتها ، كما أنها لاتعترف بها ، ومن هنا جاءت تسمية « عرابو الارهاب » وهي الدول التي تيسر للمجموعات الارهابية العمل والحركة والدعم ، وقد لا يكون الدعم شرطاً لظهور هذه المجموعات ولكنه بالتأكيد شرط لاستمرارها ، كما أن التقدم التقني قد زاد من احتمالات الارهاب ووصوله الى أماكن لم يكن يصل اليها من قبل ، ولا يستطيع أي نظام سياسي في العالم اليوم الا ان يتكيف مع احتمالات العنف في جو السخط والاحباط المتزايد في مناطق كثيرة من العالم ، فهو مرض من الصعب وقفه ، وقد يصيب الأجسام السليمة كما يصيب الاجسام المعطوبة ، والفرق واضح في أن الاجسام السليمة تستطيع أن تقاوم .. أما المعطوبة فتصاب بالتدهور السريع .

الجسم الكويتي سليم

□ وبهذا التحليل الأخير فإن ما حدث في الكويت في ٢٥ مايو هو ارهاب اسود موجه ضد تجربة شعب آمن وقائد يتقي الله في مسئوليته وشعبه .

هذا الشعب وذاك القائد أثارا أحقاد الذين لا يقدرون معنى الثبات على المبدأ ، ولا يدركون قيمة الانتماء والولاء للوطن الكبير ... وحين يكون الشعب مؤمنا بسلامة مسيرته وحقه في الاختيار ، مدركا لعدالة القضية التي يدافع عنها ويعمل من أجل نصرتها ... وحين يكون قائد المسيرة عملاقا مدركا لمسئولياته،ثابتا على مبادئه،باذلا كل الجهد من أجل تحقيق العدالة للانسان العربي أيا كان موقعه،ومهما بلغت التحديات في مواجهته .. حينئذ يبلغ الحقد الأسود منتهاه .. وتمتلىء القلوب المسمومة بالغل الأعمى الذي يدفعها الى تقويض كل شيء ... حتى الحياة ..

من هنا كانت المحاولة الآثمة للعدوان على هذا الشعب . . . من خلال الاعتداء على قيادته الواعية التي تقود مسيرته . . ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتحملوا مسيرة شعب حر يقوده الرجل الذي عرفه الجميع مؤمنا بانتمائه العربي . . مدركا لمسئوليته تجاه قضايا العروبة والاسلام ، عاملا قدر الطاقة لرأب الصدع وإصلاح ذات البين بين المختلفين من قيادات الوطن العربي . . باذلا كل الجهد لتحقيق الصفاء والسلام بين أبناء العروبة والاسلام . . لا يخشى في الحق لومة لائم . . ولايهاب تهديداً أيا كان نوع هذا التهديد . . مادام موقنا بسيره على طريق الحرية والكرامة والشرف . . والحق كل الحق . .

ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتصوروا ان هذا البلد الصغير في مساحته . . . القوى بارادة شعبه . . وقائده . . يمكن ان يكون قدوة ومثالاً للديمقراطية والعدالة والأمن . . يتوافر له حكم القانون وحكم الشعب بالشعب من خلال حرية الرأي والتعبير بالقول واحترام انسانية الانسان . . وحين خابت حساباتهم وضلت خططهم تصوروا أنهم يستطيعون أن يبلغوا بالارهاب والاغتيال الى أن يحرفوا المسيرة لتتلاقى مع مخططاتهم وأحقادهم وأفكارهم السوداء وتستسلم إلى أياديهم الملطخة بالدماء . . .

وهكذا ضربوا ضربتهم الجبانة التي أرادوها ان تكون قاصمة . . لهذا الشعب الأبي وقائده الأمين . .

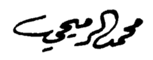
صلابة الجبهة الداخلية

□ لقد اتضح بما لا يقبل الشك صلابة الجبهة الداخلية الكويتية . . . وظهر ذلك في كلمة سمو الأمير في اليوم الذي عاد فيه الى مكتبه فقد قال : ـ

« من أجل الحفاظ على كل ما ترمز اليه الكويت ستتابع المسيرة ، لا يوقفنا ما حدث وما قد يحدث . . وبعون الله ستبقى الكويت مرفوعة اللواء، وسيبقى شعبها حاملا مسئولياته مهما يلق من صعاب » .

وقال : « اننا بذلنا الكثير لتصبح الكويت دار أمان واستقرار، ومنبراً للحرية والديمقراطية، ونبعاً للخير . وعلينا أن نبذل الكثير لحماية هذه المنجزات واستمرار إشعاعها . . ولاحماية دون نظام . . ولا نظام دون التزام دقيق بالتنفيذ . . . ولانجاح للالتزام إلا بجعله فوق المساومة والمجاملة على حساب الكويت . . فلنقبله مؤمنين بأنه حماية لكل شريف القصد واضح السبيل ، إن الشرفاء لا يخشون النور . فلنسلط النور على كل أجزاء الكويت، ولتكنْ الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام » .

وهكذا تعود الكويت من جديد مرددة مبادئها الدائمة، ومواقفها العربية والاسلامية الأصيلة . . يدعمها شعب محب وقيادة ذات بصيرة ثاقبة، ونظام سياسي ارتضاه الجميع كطريقة حياة ، ووسيلة للتخطيط للمستقبل .



هجرة العرب الى أمريكا



بين الإضطرار والإختيار

بقلم : الدكتور ميخائيل سليمان*

منذ أكثر من قرن من الزمان ، تدفق بعض العرب الى العالم الجديد ، أمريكا ، نتيجة لأسباب خاصة بذلك الزمان ، الا أن دفقات الهجرة تتابعت أيضا ، حتى بعد نيل الاقطار العربية لاستقلالها .

فما هي أسباب هجرة العرب الى أمريكا ، وماهي ظروف حياتهم الآن ، وماهو دورهم في المجتمع الأمريكي ، وماهي درجة تفاعلهم مع القضايا العربية ؟

هذا مايجيب عنه كاتب هذه الدراسة الذي يعيش ويعمل في احدى جامعات ولاية كنساس الأمريكية .

ان أحوال العرب في أمريكا اليوم تشبه كثيرا الاحوال والمشاكل التي واجهها قبل عشرين عاما تقريبا الامريكيون السود ، أو الذين انحدروا من اصل اسباني ، أو غيرهم من الاقليات العرقية والاثنية المختلفة الموجودة في أمريكا . وعلى سبيل المثال ، نرى أن العرب ـ الامريكيين الذين وصلوا ضمن الهجرات الأولى ، كثيرا مايجهلون تاريخ وحضارة العرب المجيدة ، لذلك فانهم لايستطيعون أن يقدموا لزملائهم وأبناء « وطنهم الجديد » المعلومات الجيدة عن العرب وحضارتهم وماضيهم العريق . ومع

* استاذ باكاديمية العلوم السياسية ـ جامعة ولاية كنساس ـ منهاتن ـ بالولايات المتحدة الامريكية له دراسة عن العرب والمسلمين في امريكا .



عند شاطىء البحر في صيدا ، لبنان ، قبل المغادرة الى أمريكا ـ أوائل القرن العشرين ميلادي

الأسف ، نجد أن الامريكيين يحملون فكرة سيئة وصورة غير صحيحة عن العرب والمسلمين اجمالا . وهذه الافكار والصور السلبية تسبب الكثير من المشاكل لابناء الجالية العربية هناك .

من هم العرب الامريكيون :

ونسأل من هم هؤلاء العرب الذين تركوا بلدهم وأهلهم ، وقاسوا الصعاب والاهوال ليستوطنوا بلادا غريبة وبعيدة عن وطنهم الأم ؟ وكم كانت أعدادهم ؟ لا أحد يعرف تماما تعداد الجالية العربية في أمريكا . والتقديرات تختلف كثيرا ، فتتراوح بين مئات الآلاف وأربعة ملايين نسمة . ولكن أحسن التقديرات تضع عدد العرب في أمريكا في حدود مليونين أو ثلاثة ملايين . ويجب الملاحظة أنه مع أن هؤلاء وأجدادهم جاءوا من بلاد عربية ، الا ان الامريكيين اعطوهم اسماء مثل سوريين ولبنانيين وفلسطينيين ، اي بالاشارة الى الأقطار التي جاءوا منها في الوطن العربي ، أو مارونيين وكلدانيين وأقباط ومسلمين ودروز ، الخ . وذلك اشارة الى ديانتهم أو طائفتهم . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان الامريكيون يستعملون كلمة اتراك أو « تيركو » للاشارة الى العثمانين والعرب لان الاكثرية العظمى من المهاجرين العرب يومذاك ، جاءوا من المناطق التي كانت تحت الاحتلال والحكم العثماني / التركي . وهكذا نرى أن سجلات الهجرة في امريكا حتى عام ١٨٩٩ ، ومن بعدها سجلات تعداد السكان حتى عام ١٩٢٠ كانت تشير فقط الى مهاجرين من تركيا في آسيا أو الى (اسيويين آخرين) دون أي اشارة الى عرب او حتى الى (سوريين) .

وقد وجد أبناء الجالية العربية ان مثل هذه التسمية ، اي أتراك ، هي تسمية غريبة وغير مستحبة ، وخصوصا وأن معظمهم كانوا قد تركوا تركيا وهاجروا الى أمريكا لكي يتخلصوا من الاستبداد والفساد والطغيان الذي كان منتشرا حينذاك . وعلينا أن نتذكر أنه ، بالنسبة للامريكيين ، كانت كلمة (تركي) تعني الشخص المسلم . وبما ان الاميركيين لم يحبوا الاتراك كثيرا ، وجد ابناء الجالية العربية الجديدة انفسهم في موقف غريب فبدأوا يطلقون على أنفسهم اسم سوريين وذلك اشارة الى منطقة سوريا الطبيعية بما فيها المناطق التي جزئت فيها بعد وأصبحت لبنان وسوريا والاردن وفلسطين . وهكذا نرى العديد من النوادي والجمعيات الخيرية والاجتماعية نشأت تحت اسم سوري وبدأ الامريكيون واعضاء الجالية العربية أنفسهم يستعملون اسم سوري بدلا من كلمة عربي عند الحديث عن أكلهم الشرقي او عاداتهم أو حتى لغتهم .

البداية والأسباب :

هناك عدة نظريات عن اكتشاف امريكا منذ مئات السنين ، قبل أن يصل اليها كريستوفر كولمبوس ، وقد ظهرت مؤخرا دراسات تقول انه يوجد اشارات عديدة تعطي بعض البراهين بأن العرب كانوا قد

اكتشفوا امريكا قبل كولمبوس بحوالي أربعمائة سنة . أما بالنسبة للفترة التاريخية الحديثة ، أي رحلة كريستوفر كولمبوس وابتداء الاستعمار الأوروبي للامريكتين، فلم تهاجر اعداد كبيرة من البلاد العربية الى الولايات المتحدة حتى منتصف القرن الماضي . ثم جاءت الهجرة العربية الى أمريكا على دفعات أو موجات متتابعة ، كانت أولاها في السبعينيات من القرن الماضي . ولكن تحول تيار الهجرة الى سيل صغير وبطيء مابين الحربين العالميتين ، وذلك لاسباب عديدة أهمها أن أمريكا نفسها خسرت بعض جاذبيتها ، بسبب الحروب والحياة الاقتصادية الصعبة وتحيز الامريكيين ضد الشعوب غير البيضاء . ولكن بدأت موجة جديدة وشبه عارمة من الهجرة العربية الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

هناك عدة اسباب لهجرة العرب من بلادهم ، ولاختيارهم الولايات التحدة الامريكية نفسها وطنا جديدا.وبين الاسباب التي دفعت البعض للخروج من بلاد الشام قبل حوالي قرن من الزمان ، نستطيع أن نذكر الفقر المدقع الذي كان منتشرا في جميع أنحاء البلاد تقريبا ، حيث كانت الاحوال الاقتصادية قاسية ومتقلبة ، اما الحياة السياسية فكانت ترتكز على حكم استبدادي بغيض.اما في المدة الاخيرة ، اي بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد ازداد عدم الاستقرار السياسي في المنطقة ، خاصة بعد احتلال فلسطين وانشاء اسرائيل دولة يهودية ، وماسبب ذلك من حروب وماس .

وربما كانت الاسباب التي جذبت العرب ورغبتهم في الهجرة الى امريكا اكثر أهمية أحيانا من الأسباب التي دفعتهم للخروج من الوطن العربي . فبالنسبة للمهاجرين الاوائل وحتى الحرب العالمية الثانية ، كانت التجارة والمغامرة وحب الاستطلاع من اهم الأسباب التي أغرت بالسفر وتحمل اعباء الرحلة وآلام الفراق ، وكانت مهمة معظم هؤلاء في بادىء الامر لاتتعدى كسب أكبر كمية من المال في أسرع وقت ليعودوا بعدها اغنياء ، بالمقارنة مع مواطنيهم في بلاد الشام ، فيصبحون من وجهاء القوم .

من بين اوائل رجال الاعمال هؤلاء كان التجار الذين ذهبوا لبيع أشغال يدوية ومزخرفات صدفية



نسخة من أوائل أعداد جريدة « كوكب أميركا » وهي أول جريدة عربية صدرت في الولايات المتحدة الامريكية . تأسست عام ١٨٩٢ .

مصنوعة في فلسطين ، وخصوصا في مدينتي القدس وبيت لحم . اما مكان التجارة فكان بلدا معينا ولفترة معينة مثل المعارض العالمية التي نظمت في فيلادلفيا عام ١٨٧٩ وشيكاغو ١٨٩٣ وسانت لويس ١٩٠٤ . كما هاجر بعض المزارعين العرب الى امريكا ـ ولكن القليل منهم ـ بعد أن أصدرت الولايات المتحدة عام ١٨٦٢ قانون تمليك الارض ، الذي منحت الحكومة الامريكية بموجبه كل شخص يتعهد بفلاحة الارض مساحة قدرها ١٦٠ اكرا ، اي حوالي ١٥٤ فدانا من الارض غير المزروعة ، لكي تكون منطقة اقامة له ، وتصبح الارض ملكه بعد خمس سنوات . ولكن اصبحت الهجرة العربية الى امريكا تيارا عندما سمع أهل بلاد الشام عن عظمة امريكا وغناها الفاحش وعن سهولة جمع الاموال ،وذلك حسب قصص وروايات المهاجرين الاوائل ، وبعض



من اوائل مؤتمرات الجالية العربية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٨

الزائرين الذين رجعوا وكتبوا مقالات وكتبا تروى عجائب العالم الجديد وحياة الرفاهية والحرية .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فكانت هجرة العرب الى امريكا خليطا بين هجرة ، أي الذهاب خصيصا للعيش والبقاء في امريكا كوطن جديد ، وبين سفر للدراسة والاستطلاع الذي كان كثيرا مايتحول الى اقامة دائمة . وهنا قد نستفيد من مقارنة بسريعة بين موجتي الهجرة العربية لنرى نقاط التشابه والاختلاف بينهما .

تكوين الجالية :

كان العمل الاول للمهاجرين الاوائل هو البيع المتجول ، أي انهم كانوا يحملون بضائعهم على ظهورهم ويجوبون في جميع انحاء البلاد بحثا عن الرزق . لذلك نجد ان الجالية العربية منتشرة في جميع انحاء الولايات المتحدة،في المدن الكبيرة وفي القرى الصغيرة أيضا . . ونعرف ان بعضهم اصبحوا اثرياء حتى بمقاييس الثراء في امريكا نفسها .

كانت البلاد العربية في اواخر القرن الماضي تحت وطأة الحكم العثماني ، وكان اكثر سكان المنطقة أميين ، ولايشعرون باية روابط قومية ، ومعظمهم لم يكن يعرف حتى معنى القومية أو الوطنية ، بل كانت العائلة والعشيرة والقبيلة أو الطائفة العربية من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تربط بين السكان .

الهجرة الثانية :

أما الجالية العربية التي نشأت وتكونت بعد الحرب العالمية الثانية فجاء معظم افرادها طلبا للعلم وبحثا عن الفوائد الموجودة في امريكا ، بلاد العلم والتقنية والصناعات المتطورة . هؤلاء كانوا امل اوطانهم عند رجوعهم ، كونهم سيصبحون الكادر المهني والاكاديمي والاداري في جميع مرافق الحياة وادارة المعامل والدوائر الحكومية . الا ان عشرات الآلاف من الطلبة العرب الذين جاءوا للحصول على شهادات جامعية وتربية تقنية أو علمية لم يرجعوا الى بلادهم ، بل اصبحوا مواطنين امريكيين . وازدادت اعدادهم كثيرا بوصول المهنيين الذين بدأو يهاجرون مع عائلاتهم وذويهم الى القارة الامريكية ، ابتداء من ستينيات القرن العشرين . وهؤلاء وأولئك كونوا القسم الاكبر من هجرة الادمغة العربية الى الغرب ، وأصبحوا بمثابة مساعدة اجنبية معاكسة ، أي من

الوطن العربي الى امريكا ، البلد الثري الصناعي ، المتقدم . وهكذا ، وبخلاف افراد الجالية الاولى كان افراد الجالية الجدد أبعد مايكونون عن الأمية ، بل بالعكس من اكثر وابرز المثقفين ، ليس فقط في الوطن العربي بل في امريكا نفسها . ولأول مرة حصلت الهجرة باعداد كبيرة ليس فقط من لبنان أو بلاد الشام ، بل من كل بلد عربي تقريبا ، ومن بين هؤلاء كان اليمنيون فقط قد أتوا باعداد كبيرة للعمل في المعامل ، كمصانع السيارات في ديترويت بولاية ميتشغان ، أو كمزارعين ، وخصوصا في ولاية كاليفورنيا . ولم يشكل المسيحيون العرب الاغلبية العظمى من المهاجرين الجدد كما كان الحال في السابق ، بل لأول مرة نرى عربا مسلمين يأتون الى امريكا باعداد تفوق احيانا اعداد العرب المسيحيين . وبدأوا يعملون على توضيح القضايا العربية الكثيرة للشعب الامريكي وممثليه في جميع الدوائر السياسية .

وبمعنى آخر ، فإن الجالية العربية لم تتفاعل تفاعلا سياسيا مهما مع وفي المجتمع الامريكي الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبمجيء نوع جديد من العرب ليستوطنوا أمريكا ، ويخلقوا مجموعة جديدة تسمي نفسها (العرب ـ الامريكيين) .

بين الوحدة والتمزق :

ولكن ، ان استعرضنا عوامل التمزق والتفريق داخل الجالية العربية ، يجب ان نذكر التيار الآخر الذي يتجه نحو تفاهم افضل وتعاون اوسع بين الجماعات والجمعيات العربية في المهجر الامريكي ، وخصوصا مابين المهاجرين القدامى والمهاجرين الذين جاءوا الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

ولحسن الحظ ، فقد ساعد على ازدياد الاحتكاك والاتصال والتعاون بين ابناء الجالية العربية الذين ولدوا وتربوا في امريكا وبين المهاجرين العرب الجدد ، ان احفاد المهاجرين الاوائل ، على عكس اجدادهم ، يحملون الشهادات العالية في المحاماة والطب والتعليم ، الخ . . أي في نفس الميادين التي نجد فيها السواد الاعظم من أبناء الجالية العربية الجديدة . بالاضافة الى ذلك ، أصبح الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم ، يتنافس الشرق والغرب بالتودد اليه ومحاولة مصادقة ابنائه أو اجبارهم على تقارب ما . وفي مثل هذه الاحوال وجد أبناء الجالية العربية في امريكا ان اصلهم العربي يساعدهم كثيرا في اعمالهم التجارية في المنطقة .

هناك عامل آخر بدأ يؤثر تأثيرا كبيرا في توحيد الجماعات العربية في أمريكا ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، بعد ان حصلت البلدان العربية على استقلالها من الاستعمار ، فقد أصبحت اللغة العربية والتراث العربي مصدر فخر واعتزاز الحكام والشعوب المتحررة الذين عبروا عن عروبتهم بمعاداة جميع انواع الاستعمار ، وبالعمل الدؤوب على بعث الامة العربية وانعاش التراث العربي . وبالطبع ، لم يكن ابناء الجالية في المهجر معزولين تماما عن هذه التيارات ، بل أصبحوا من أهم المشاركين في نشر راية القومية العربية .

كما قامت وسائل الاعلام في الغرب بدورها في نشر وتمتين أواصر الصلة بين أفراد الجالية العربية في أمريكا ، ولكن من حيث لاتدري . فعندما تكلم او كتب المراسلون الغربيون عن العراق او مصر او اليمن ، كانوا يكتبون عنهم كابناء امة عربية واحدة ، وعندما كان الاعلام الغربي يكيل الاهانات للعرب جميعا ، وجد الاقباط المصريون والموارنة اللبنانيون مثلا أن الغرب لايميز بين المسيحي والمسلم ، والقبطي والماروني في اهاناته لابناء المنطقة ان كانوا في الوطن العربي أو في أمريكا .

النكسة والجالية العربية :

كانت حرب ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل أهم الاحداث التي أثرت على الجالية العربية في أمريكا فكانت الخسارة الفادحة للجانب العربي صدمة عظمى للعرب جميعا . وكانت جميع وسائل الاعلام متحيزة تحيزا شديدا للجانب الاسرائيلي ، لدرجة ان وجهة النظر العربية لم تظهر حتى في اكثر وأشهر الجرائد والمجلات أو في الراديو والتلفزيون الامريكي. وكان ذلك حافزا كبيرا لمجموعات من المثقفين العرب في أمريكا لكي تقوم بتشكيل منظمات علمية وتعليمية وثقافية بالاضافة الى الجمعيات الاجتماعية ، لكي



الاستاذ يوسف عربيلي وأولاده الستة وقرينته وعائلة السيد عربيلي هي أول عائلة عربية (من دمشق) هاجرت الى أمريكا - وكان ذلك عام ١٨٧٨ .

تدافع عن حقوق العرب الامريكيين وحقوق العرب في البلاد العربية . وبمعنى آخر ، فان حرب ١٩٦٧ زادت وعي العرب الامريكيين بقوميتهم كعرب ، وفي الحقيقة ، ان هذا الوعي بالانتماء العربي لم يحصل بين ليلة وضحاها ، ولكن ١٩٦٧ قوت كثيرا هذه الميول ، وأصبحت حافزا لتنظيم نوع جديد من المنظمات العربية في امريكا - اي المنظمة التي تعمل علنا في الحقل الاعلامي ، التثقيفي ، السياسي ، بقصد توعية أبناء الجالية العربية بقضاياهم وبقصد توعية الشعب الامريكي بحقيقة مايجري في الشرق الاوسط .

وهكذا تكونت جمعية خريجي الجامعات من أصل عربي في آواخر عام ١٩٦٧ ، حين اجتمع عشرة اشخاص مكونين لجنة تأسيسة . وسرعان ماتشكلت الجمعية ، وبدأت عملها التربوي والتثقيفي وذلك بالدعوة الى مؤتمر خاص بالجمعية ، عقد بالعاصمة واشنطن ، عام ١٩٦٨ حيث قدمت عدة بحوث تتعلق بالجالية العربية نفسها ، وقامت الجمعية بتأسيس دار نشر خاصة بها ، وذلك لانه كان من الصعب ان تقوم المطابع الأمريكية بنشر كتاب ينتقد اسرائيل ، او يكون متبنيا لوجهة النظر العربية . وكان مناسبا ان يكون أول كتاب نشرته الجمعية « عن الجالية العربية في امريكا » ، وتبعته بعد ذلك نشرات اخرى قليلة عن الجالية ، مع أن معظم النشرات بدأت تركز اهتمامها على الوطن العربي والقضية الفلسطينية .

لكن هذه الجمعية كانت أول منظمة أمريكية عربية تعمل على أسس حديثة .

جمعيات أخرى :

وبعد خمس سنوات من تأسيس جمعية خريجي الجامعات من أصل عربي قامت شخصيات عربية ، وخصوصا من الجالية العربية القديمة ، بتأسيس الجمعية الوطنية للامريكيين العرب ، لتكون بمثابة « لوبي » ، أي جمعية سياسية تعمل للتأثير على صانعي

السياسة الامريكية ، وخصوصا في الكونجرس والرئاسة ، ووزارة الخارجية الامريكية . وفي عام ١٩٨٠ تأسست جمعية جديدة كان أهم اهدافها تحسين صورة العرب في امريكا ، والتصدي لكل مايمكن أن يشوه سمعة العرب أو الجالية العربية ، سواء كان ذلك في وسائل الاعلام او السينما او الكتب او الاعلانات الدعائية . . الخ.وفي الوقت نفسه ، بدأت جمعية اطلقت على نفسها اسم الجمعية الأمريكية العربية المناهضة للتمييز العنصري تشجيع الجالية العربية على احياء التراث العربي لاعضائها ، وكتابة تاريخ الجالية ، والافتخار بما قامت به من اعمال،وماقدمته من خدمات للوطن الجديد والانسانية جمعاء .

هناك عشرات ، بل مئات المنظمات والجمعيات التي أسسها ابناء الجالية العربية لتخدم حاجاتهم واهتماماتهم الاجتماعية والوطنية والسياسية والدينية . وبين الحين والآخر نرى جهودا ترمي الى توحيد كلمة هذه المؤسسات العديدة ، لكي تعطي انتاجا أكبر وأفضل لأفرادها وللجالية ككل . ولكن غالبا ما تبوء هذه الجهود بالفشل لأسباب عديدة . ومحاولات دمج كهذه اذا نجحت تكون بمثابة اتفاق على تنسيق خط سياسي معين .

وفي عام ١٩٧٩ تأسس الكونجرس الفلسطيني في أمريكا الشمالية ، بعد عدة سنوات من التفكير والنقاش والمشاورات . ولم يكن مولد هذه المنظمة سهلا ، اذ ان أصحاب التيارات السياسية المختلفة خاضت معارك كلامية كثيرة وعنيفة تمهيدا للتصويت والقبول بدستور الجمعية وانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية .

العرب في عيون أمريكية :

تسبب صورة العرب السلبية وخلافاتهم في أقطارهم مشاكل كثيرة للعرب في الحقل السياسي في أمريكا ، فنرى مثلا ان رجال السياسة الامريكيين يقومون بنصرة القضايا الاسرائيلية ، وأحيانا كثيرة يجدون أنه من المفيد لحملات انتخاباتهم أن يتهجموا على العرب ومواقفهم وقضاياهم .

ويتوقع السياسي الامريكي ، حتى قبل أن ينزل في الانتخابات ، انه سيخسر اذا اصبح موضع جدل او خلاف يكون هو فيه الى جانب العرب حتى لو كان مثل هذا الموقف ، في رأيه ، مفيدا لامريكا والامريكيين .

وبالنسبة للفلسطينيين نرى أن الصورة السلبية قد جعلت الامريكيين ينظرون اليهم كلاجئين او ارهابيين وليس كشعب.وهكذا يصبح من السهل على الامريكيين أن ينسوهم ، او ألا يكترثوا بهم ، وأن يرفضوا حتى الحديث مع ممثليهم الشرعيين ، أي منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن يمنعوا منظمة التحرير من الاشتراك في المناقشات والمفاوضات لايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية .

تغيير الأسماء :

أما بالنسبة للجالية العربية في أمريكا فكل مايؤثر على علاقات أمريكا بالوطن العربي يؤثر عليهم أيضا . ونتيجة لذلك نرى أن بعضهم يبتعدون عن أي ذكر لوطنهم الأصلي أو قوميتهم الأصلية وتراثهم العربي . وعند ذكر أصلهم القومي ، مثلا ، يذكر البعض البلد التي قدم منه مثل لبنان أو مصر او اليمن ، بينما يذكر آخرون انتماءهم الى ديانة أو طائفة معينة مثل ماروني أو درزي ، الخ ، وقد حاول بعض أبناء الجالية ، وخصوصا من المهاجرين الأوائل ، أن يندمجوا كليا في المجتمع الأمريكي فحوروا أسماءهم أو غيروها كليا لكي تبدو أوروبية أو أمريكية ، فهناك طبعا التغيير من الأسماء العربية الى مايعادلها في الانجليزية مثل JOHN بدلا من حنا وNOAH بدلا من نوح وDAVIDبدلا من داود ، وامين تحول الى أميل ورشيد الى ريتشارد وهكذا .

ومثل هذه الأعمال تزيد من انفكاك وتمزيق الجالية العربية الى مجموعات طائفية أو قطرية أو قروية ، او أنها تساعد على اندماج الجالية كليا في المجتمع الأمريكي . ان الجالية العربية وجدت نفسها ـ وحتى في أوائل الثمانينيات من هذا القرن ـ الجالية والوحيدة تقريبا التي تستطيع الصحافة الأمريكية ووسائل الاعلام وبعض رجال السياسة أن تهاجمها بسهولة وبدون ردود فعل قوية وفعالة . □



ثلاثون عامًا على: مؤتمر باندونج

من موقف الحياد الإيجابي إلى الدعوة لإقامة نظام عالمي جديد

بقلم: الدكتور فؤاد مرسي

ثلاثون عاما مرت على عقد مؤتمر باندونج فى اندونيسيا ، وهو المؤتمر الذى أرخ لبداية مرحلة تاريخية جديدة شهدت صحوة شعوب آسيا وافريقيا وتبلور قواها الوطنية التى اندفعت فى اعادة تشكيل عالمنا المعاصر .

فما هى التطورات والاحداث التى استجدت على تركيبة العالم السياسية والاقتصادية بعد ذلك الحدث المهم ؟ وما الذى حصل داخل المجموعة الجديدة ؟

اجتمعت تسع وعشرون دولة منذ ثلاثين سنة تمثل قارتي آسيا وأفريقيا بجموعهما البشرية الحاشدة وعلى تنوع أفكارها وعقائدها وأديانها واختلاف نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتعلن وقوفها على الحياد من محاولات دفع العالم الى الحرب ، ولم تكن البشرية قد لعقت بعد كافة جراحها المتخلفة عن الحرب العالمية الثانية .

الأحلاف والحرب الباردة

فقبل انعقاد مؤتمر باندونج بثماني سنوات بالضبط ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأقل من عامين ، أطلق تشرشل دعوة الحرب الباردة ، وقبله بشهر واحد ، أي في شهر مارس ١٩٤٧ ، كان ترومان قد أعلن مبدأه لاحتواء الشيوعية العالمية ، وبعدها بثلاثة شهور وضع مبدأ ترومان في التطبيق في برنامج مارشال في أوروبا .

وفي شهر يونيو ١٩٤٨ بدأ حصار برلين واشتعلت الحرب الباردة بين معسكري الرأسمالية والاشتراكية على النطاق العالمي ، وأخذت تتشكل أحلاف عالمية عسكرية وسياسية واقتصادية ، مثل حلف الاطلنطي وحلف وارسو ، بل ظهرت الدعوة لجر بلدان آسيا وأفريقيا الى أحلاف فرعية لها ، وبدأ التمهيد داخل الوطن العربي لاقامة حلف بغداد .

وحينذاك أدى سوكارنو الرئيس الاندونيسي الراحل دورا نشطا لاجتماع أغلبية دول آسيا وأفريقيا



في بـانـدونـج كي تعلن ارادة شعوبها ـ وقـد نـالـت استقلالها السياسي ـ في العيش في العالم بعيـدا عن أخطار حرب عالمية ثالثة ، سـوف تكون بغـير شك حـربا نـووية قـد تفني البشـريـة وتصيب بقـايـاهـا بـالتشويـه ، وبالفعـل فلقـد أصبحت هنـاك تسـع وعشـرون دولة آسيـوية وأفـريقية تمثـل نحو نصف البشـرية ، لكي تبـرز خوفهـا من الحـرب وسعيهـا للسلام انطلاقا من مبادىء « بانشاشلا » التي التقت الهند وأندونيسيا .

يقـول يانيكـار المؤرخ الهنـدي المعـروف جيـدا للعرب : إن باندونج كانت أول تأكيد واضح لرغبة الشعوب الأسيوية والافريقية في ادارة شئونها في ظل الاستقلال ، فروح باندونـج هي تأكيـد الاستقـلال الـوطني ، سياسيـا ومعنويـا ، للشعوب الافـريقيـة الأسيوية ، وقد كان اعلانها التزام موقف الحياد بين المعسكرين ممارسة كبرى لاستقلالها الوطني ، ولذلك رد « دالاس » وزير خارجية أمريكا في ذلك الحين بأن موقفها ذاك موقف لا أخلاقي ، ففي رأيه أن الحياد موقف سلبي ، لكن مؤتمر باندونج أعلن أن الحياد الذي يدعو اليه هو حياد ايجـابي ، يقف مع قضـايا التحرر الوطني وتصفية الاستعمار القديم وحق تقرير المصير للشعوب ، كما يقف مع الجهود المشتركة لحل مشـاكل الشعـوب التابعـة والبلدان المستعمرة ، في الـوقت الذي يكتـل جهود آسيـا وأفريقيـا من أجل السعي نحو السلام العالمي والتعاون بـين الدول ، ولهذا قال جمال عبد الناصر في المؤتمر : ليست المسألة هي مجرد الحيلولة دون نشوب الحرب العالمية ، لكنها توجيه الجهود بثبات نحو خلق مجتمع دولي جديد .

باندونج . . الرمز

وتحولت باندونج الى رمز كبير في حياة شعوب آسيا وأفريقيا ، تحولت الى قوة مهمة في النضال من أجل السلام في العالم أجمع ، لكنها أصبحت أيضا قوة دافعة من أجل الاستقلال السياسي والتحرر الوطني واعادة صياغة العـلاقات الـدولية ، وكـان أهم انجازاتها تصفية الاستعمار القديم ، فقد توالت الاحداث بعد مؤتمر باندونج بسرعة .

في خريف ١٩٥٥ عقدت مصر صفقة الاسلحـة التشيكيـة بفضـل الـدور الـذي قـامت بـه الصـين حينذاك ، وتصاعدت المقاومـة ضد حلف بغـداد ، وعندما سحبت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تمويلها لبناء السد العالي ، قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس العالمية ، فلما وقع العدوان الثلاثي على مصـر هبت شعوب آسيا وأفريقيا بصورة لم تعرف من قبل وكانت هزيمة العـدوان بفضل صمـود مصر والموقف الذي اتخذته هذه الشعوب وقوة الرأي العام العالمي والانذار السوفيتي ، وفي العام التالي ، أعني في عام ١٩٥٧ ، تـأسست المنظمـة العـالميـة لتضـامن شعـوب آسيـا وأفـريقيا ، واختتمت الخمسينيـات بـاعـلان الامم المتحدة عن عقد الستينيـات بوصفـه عقدا لتصفيـة الاستعمار القديم .

ومـع النجاح البـاهر الـذي حققته هـذه العملية التاريخية ، انعقد المؤتمر الاول للدول الحريصة على دعم استقلالها الوطني ورفض الانتماء الى المعسكرين العالميين في بلجـراد عاصمـة يوجـوسلافيـا في شهر سبتمبـر ١٩٦١ ، كان العـالم يواجـه عندهـا خطرا شديدا يهدد بالحـرب ، فقد اشتـدت حدة الحـرب الباردة وأخفقت دورة الجمعية العامة للامم المتحدة التي حضرها رئيسا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في فيينا ، واستأنف الاتحاد السوفيتي اجراء التجارب النووية بعد أن كان قد أوقفها بقرار من جانبه ، وكان

هناك عدوان الدول الاستعمارية على شعب الكونجو بزعامة لومومبا . وكانت محاولة أمريكة لغزو كوبا .

في مؤتمر بلجراد ترسخت سياسة عدم الانحياز بزعامة تيتو ونهرو وعبد الناصر ، وكانت تطويرا بارعا لموقف الحياد الايجابي في ظروف اشتداد الحرب الباردة، وتطلع شعوب آسيا وأفريقيا الى تأسيس استقلالها الاقتصادي بعد كسب استقلالها السياسي وتوطيده ، وكان لمصر دور بارز في اثارة القضية بعبارات واضحة فقد قال عبد الناصر : « من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم أمام الشعوب التي لم تستكمل نموها الاقتصادي والاجتماعي ، وينبغي لنا أن نذكر أنه لا يمكن أن يكون هناك استقرار في عالم تتفاوت فيه مستويات المعيشة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذي نراه الآن . ومع أني لا أريد أن أثير أحقادا قديمة فان التقدم الصناعي على سبيل المثال في عدد كبير من بلدان أوربا كان قائما على الثروات التي جرى نزحها بطريقة منظمة من آسيا وأفريقيا » .
وخرج المؤتمر باعلان صريح يؤكد ايمان الدول النامية باستحالة تأمين استقلالها السياسي وتحقيق تنميتها الاقتصادية الا في ظروف السلام في العالم .

وأفضى المؤتمر الاول لمجموعة دول عدم الانحياز الى عقد مؤتمر قمة في القاهرة في شهر يوليو ١٩٦٢ مخصص لقضايا التنمية ، ولاول مرة شاركت دول من أمريكا اللاتينية في أعمال عدم الانحياز ، وأيد المؤتمر في « اعلان القاهرة » الذي صدر عنه عقد مؤتمر عن التجارة الدولية كانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد دعت اليه ، وهو الذي انعقد بالفعل في عام ١٩٦٤ تحت اسم « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » وتتوالى اجتماعاته حتى الآن كل أربع سنوات .

مستجدات جديدة

ان حركة عدم الانحياز التي تضم غالبية سكان الكرة الارضية هي في الواقع ثمرة ونتاج شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من أجل التحرر الوطني ، وهي تضم الان أكثر من مائة دولة يوجد بعضها في أوروبا ، ولقد غدت عاملا هاما يؤثر على مجرى التطور في العالم كله على نحو ايجابي ، وقفت منذ البداية ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، وأيدت بشكل واضح كل سعي لوقف سباق التسلح وخصوصا التسلح النووي وصياغة اجراءات فعالة لنزع السلاح والالتزام بمبادىء التعايش السلمي وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول .
وكما تركز الولايات المتحدة على شن حملة نشطة لتخويف شعوب الدول غير المنحازة من الخطر العسكري السوفيتي ومن الشيوعية واتهام السوفييت بالاطماع التوسعية وتصدير الثورات الوطنية والاجتماعية ، فانها لا تكف أبدا عن محاولات تقويض حركة عدم الانحياز نفسها أو إضعافها ، كما تحاول وقف تقدم الاشتراكية ، وهى تعمل بكل همة من أجل تعطيل عملية التحرر الوطني والاجتماعي في العالم أجمع ، وتركز بصفة خاصة على عرقلة خطوات التنمية الاقتصادية التي تقدم عليها الدول النامية ، وليس ذلك اتهاما أعمى للدول الرأسمالية الكبرى ، ففي الدول النامية حاليا أكثر من مليار إنسان يعانون المجاعة ، ويموت يوميا قرابة أربعين ألف طفل من الجوع والانهاك والمرض ، ويصبح الكثيرون معوقين أو متخلفين عقليا ، لكن هذه الدول هي نفسها التي يخرج منها سنويا ما يبلغ مائتي مليار دولار يذهب نصفها الى الاحتكارات الدولية .
وفي عام ١٩٧٣ انعقد المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز في الجزائر قبل أسابيع من حرب اكتوبر ، وفي المؤتمر جرى تقييم للجهود التي بذلت منذ عام ١٩٦٤ والتي لم تفض إلى تحسن ملموس في أوضاع شعوب الدول النامية ، على الرغم من الانفراج الدولي الذي أخذ يعود في النصف الاول من السبعينيات .. ومن ثم دعا المؤتمر لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وكلف الرئيس بومدين بطلب عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة قضية المواد الاولية وقضية التنمية ، وبالفعل انعقدت الدورة الخاصة السادسة في شهري ابريل ومايو ١٩٧٤ ، وأسفرت مناقشاتها عن اعلان وبرنامج عمل من أجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد .
على هذا النحو ، وفي ظروف الانفراج الدولي ، تركزت الجهود على تحقيق الاستقلال الاقتصادي

وتحديد الموقف من الاستعمار الجديد ، وبمرور الوقت تطور الموقف ليصبح نضالا عاما في سبيل اقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد .

فالتبعية للدول الاستعمارية،والعلاقات التجارية غير المتكافئة،وسطوة الشركات متعددة الجنسية الساعية لفرض سيطرتها على المستعمرات السابقة والتخلف التكنولوجي ، كلها عوائق أساسية أمام التطور السريع للبلدان غير المنحازة ، وتؤدي أزمة الرأسمالية الى احتدام هذه المشاكل واضافة مشاكل أخرى اليها قِبَل المديونية الخارجية المتصاعدة وأعباء التضخم الوافد والمستورد والانفاق العسكري المتزايد .

ولاشك أن انفجار حرب أكتوبر وقيام البلدان المنتجة والمصدرة للنفط بتحديد أسعاره لاول مرة من جانبها ، ومن ثم تضاعف أسعاره عدة مرات في زمن قصير ، قد طرح في الافق إمكان تغيير العديد من النظم التي تسود التبادل الدولي غير المتكافي ، ولقد بدا وقتها أن من حق الدول النامية أن تناقش المسلمات التي حكمت هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية السائدة حتى ذلك الحين ، وتطلعت من ثم إلى مستقبل أفضل،تتمثل حدوده الدنيا في تغيير (اطار) العلاقات الدولية،واقامة اطار جديد يتكفل بتصحيح أسلوب عمل آليات السوق العالمية وذلك بفضل ادخال قدر من التنظيم الواعي عليها ، وفي ظل هذا الاطار الجديد كان يمكن أن تجد مشاكل التنمية حلولا أكثر توفيقا ، وتم بالفعل التوصل الى صيغة جديدة للنظام الدولي بحيث يقوم على « التبعية المتبادلة » .

نظام دولي جديد

غير أن هذه الصيغة التي بدت أملا مغريا للبلدان النامية في نضالها من أجل التنمية ، لم تقبلها أغلبية الدول المتقدمة التي أصرت على أن تكون التبعية المتبادلة تبعية غير متكافئة ، أي لصالح طرف دون الآخر ، وفي عام ١٩٨٠ حاولت لجنة « برانت » أن تصحح الطرح وتعيده من جديد ، لكنها فشلت وبقيت توصياتها حبرا على ورق ، بل تجاهلتها الدوائر الحاكمة في البلدان الرأسمالية الكبرى .

ومضت عشر سنوات،بل اكتملت احدى عشرة سنة على بزوغ الدعوة لاقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد ، توالت خلالها الدعوة لنظام دولي جديد في كافة المجالات وخصوصا في مجال الاعلام ، لكنها لم تتقدم كثيرا عن النقطة التي بدأت منها ، فمازالت الدعوة دعوة ، ومازال الأمل أملا . وعلى الرغم من الجهود الممتازة التي تبذلها الامانة العامة لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، وعلى الرغم من الاجتماعات الدورية الحافلة لهذا المؤتمر كل أربع سنوات ، وعلى الرغم من النضالات الفرعية التي مارستها مجموعة البلدان النامية من خلال بعض تنظيماتها وخصوصا منظمة الاوبك ، فان الموقف العملي مازال متخلفا الى حد بعيد نتيجة لتعنت الدول الرأسمالية الكبرى وخصوصاالولايات المتحدة الامريكية . ولقد أدى هذا بمؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي انعقد أخيرا في نيودلهي في عام ١٩٨٣ الى احياء الدعوة لاقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد في صورة بالغة القوة .

وتمضي السنون منذ باندونج فاذا هي ملحمة تاريخية حافلة ، انتصرت فيها ارادة شعوب آسيا وأفريقيا وسحقت الاستعمار القديم ، ثم أخذت تعيد بناء الحياة على أرضها ، فواجهت مهام التنمية الاقتصادية المستقلة وضرورات التقدم الاجتماعي ، ولكن كان عليها أن تقاتل من أجل ذلك ضد الاستعمار الجديد بكافة أشكاله . ومازال النضال متصلا .

ولاشك أن نضال الشعب العربي ضد العدوان الاسرائيلي وضد سياسة الاحلاف والقواعد والتسهيلات العسكرية وضد التواجد العسكري الامريكي في أي أرض عربية وضد التحالف الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي ، ونضاله من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن أجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد خال من التبعية والاستغلال ، هو نضال يعبر عن استمرار تلك القيمة التي أرساها مؤتمر باندونج وهي القيمة التي ازدهرت وترعرعت حتى الان فأنعشت ضمير الانسانية المعاصرة وصقلت روحها ـ مهما تكن العقبات ثقيلة والمنجزات ضئيلة . □

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

بقلم : محمود المراغي

فقراء وأغنياء .. في رحلة التاريخ

حين احتفل العالم - في أكثر من عاصمة - بمرور ثلاثين عاما على باندونج ، كان السؤال الرئيسى : متى تتحقق أهداف الشعوب الافريقية الآسيوية ، التي تمثلت في أهداف حركة هى حركة عدم الانحياز ، ودخلت - فى معظمها - فى دائرة ما يسمى بهموم العالم الثالث ؟

كان السؤال ، وكان البحث منصرفين للمستقبل المنظور والماضى القريب . . وكان التأمل طاغيا على الدراسة ، والأسف غالبا على الأمل .

شىء رئيسى افتقدته هذه الاحتفالات ، وهذه التأملات لمسيرة الفقراء فى ثلاثين عاما . هذا الشىء اسمه : البعد التاريخى الشامل . . فالماضى القريب لايفسر وحده حركة التاريخ ، وحين يشهد العالم العديد من الثورات والتغيرات والقفزات ، ويستمر الفقير على فقره وانتشاره ، ويستمر الثرى والقوى على ثرائه وقوته وتركزه . . حين يحدث ذلك يصبح الأمر مثيرا للجدل ، ودافعا للتساؤل .

ولكن حين يكون الأمر بالأرقام تذوب الدهشة ، ويتبدد الجهل بالحقيقة .

الحديث حول الدول النامية ، والمصطلح جديد نسبيا ، ويتغير معناه من حين الى آخر ، بل ان الدول التى تدخل فى اطار ما نسميه العالم النامى يتغير موقعها ، ويتحرك فى دراسات واحصاءات المؤسسات الدولية ، وفق عديد من المؤشرات ، أبرزها : مستوى الدخل . فى آخر تعريف للبنك الدولى أن عدد الدول النامية يقرب من مائة دولة ، بخلاف دول يقل تعدادها عن المليون نسمة ، وأن هناك الدول النامية المنخفضة الدخل ، ويقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٤١٠ دولار فى السنة . . أي بما يزيد قليلا عن دولار واحد فى اليوم . . وهناك الدول المتوسطة الدخل ويزيد فيها نصيب الفرد عن هذا الحد .

وبالطبع فان التعريف ، وان ساعدنا على فهم الظواهر وحصر نطاقها ، فانه ليس الأكثر أهمية . . فالأهم هى تلك الأرقام المثيرة التى نشرها البنك الدولى حول الفقر والثراء فى مائتى عام ، أو بالتحديد فى مائة وثمانين عاماً ، تمتد من عام ١٨٠٠ ميلادية حتى عام ١٩٨٠ .

فى ذلك العام الذى بدأ به القرن التاسع عشر كان تعداد سكان العالم : (٩٤٤) مليون نسمة ، وكانت الدول النامية - وبمقاييس ذلك العصر - تمثل (٧٤٪) من هذا التعداد-فى عام (١٩٠٠) وبعد مائة عام هبطت نسبة الدول النامية من السكان ، وأصبح تعدادها يمثل (٦٦٪) فقط ، وظل الحال كذلك حتى منتصف القرن على وجه التقريب ، وبما يعنى أن العالم الثالث ورغم خضوعه للنهب الاستعمارى ، قد طاله شىء من التقدم ، وانتقل لفيف من شعوبه الى نطاق الدخل الأعلى والمعيشة الأوفر ، وهو أمر طبيعى مع تقدم فنون الزراعة والصناعة ومناحى التعليم والثقافة والصحة . كان المنطقى - والذى حدث بدرجة ما حتى منتصف القرن العشرين - أن يسير العالم للأمام ، وان تقل نسبة الفقراء يوما بعد يوم .

ولكن ذلك الشىء المنطقى لم يستمر طويلا ،

الأرقام تفاجئنا ، والاحصاءات تقول:إن تعداد العالم عام ١٩٨٠ قد أصبح (٤٣٣٣) مليونا ، بينهم ٧٥ ٪ يعيشون فى الدول النامية . معنى الأرقام أننا وخلال النصف الثانى من القرن العشرين قد عدنا الى ما كان عليه الموقف ـ أو اسوأ قليلا ـ فى عام ١٨٠٠ . . ومعنى الأرقام اذا اضفنا نصيب الدول النامية من انتاج العالم خلال نفس الفترة أن الفقر يزداد . . والثراء ايضا . . فثلاثة أرباع العالم ـ وهم سكان الدول النامية ـ كانوا يقدمون ٤٤ ٪ من الانتاج العالمى عام ١٨٠٠ ، فاصبحوا يقدمون فى عام ١٩٨٠ (٢١٪) من الانتاج فقط .

ربما تكون التعريفات للفقر والثراء والنمو والتقدم قد اختلفت ، والمعايير قد تباينت خلال رحلة السنين . . لكن الأكيد أن العلاقات النسبية كما عرضتها الأرقام السابقة تظل صحيحة وصادقة وتقول : الثروة تزداد تركزا والفقراء على حالهم من حيث العدد ، وأسوأ من حالهم السابق من حيث ما يحصلون عليه .

باستمرار التحصيل يتضح أن انسان العالم المتقدم يحوز اثنى عشر ضعفا لما يحوزه انسان العالم النامى من الانتاج . ومن فرص الحياة ، بينما لم تتجاوز هذه المسافة أكثر من ثلاثة أو أربعة أضعاف في بداية القرن التاسع عشر .

التغير اذن . . للوراء ، وليس للأمام ، والفترة الحاسمة هى النصف الثانى من القرن العشرين .

لم تنجح فى تغيير الصورة وتقريب المسافة جهود باندونج فى التكتل ، التى تحدثت فى أول (تجمع شامل وواسع لشعوب آسيا وافريقيا عن التنمية وزيادة التعاون الاقليمى ، والمعونات الدولية ، وتنويع الصادرات وتصنيعها ، واستقرار أسعار المواد الأولية .

ولم تنجح فى التغيير جهود لاحقة فى الستينيات ، حين انعقد مؤتمر الدول النامية فى القاهرة عام ١٩٦٢ ، وحين انعقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية فى جنيف عام ١٩٦٤ أيضا ، لم تنجح جهود السبعينيات حين ارتفع مطلب نظام اقتصادى دولى جديد يقيم العدل بين المجموعات الدولية ، ويختصر مسافات التقدم ، ويزيد الاعتماد المتبادل بين الدول .

خلال هذه المرحلة ورغم هذه الجهود ـ ارتفع نصيب الدول المتقدمة من ٦٠٪ من الصادرات العالمية عام ١٩٥٠ الى (٧١,٨٪) عام ١٩٧٠ . . واتسعت الهوة فى الدخل حتى سجلت دول اقتصاديات السوق الصناعية متوسط دخل قدره (٨١١٢) دولارا عام ١٩٨١ فى مقابل ٢٧٠ دولارا فى الدول ذات الدخل المنخفض . . وسجلت أرقام النمو فى المجموعة الأولى (٣,٤٪) سنويا بين عامى ١٩٦٠ ـ ١٩٨١ بينما سجلت المجموعة الثانية (واذا استبعدنا الهند والصين ذات المعدل المرتفع) اقل من١٪ وكانالبعض اقل من صفر .

فى التفسير قد تأتى ثورة التكنولوجيا وثورة الكمبيوتر ونظم المعلومات ونمط الانتاج فى كل من المجموعات الدولية . وفى التفسير قد يأتى انخفاض مستوى التعليم والتدريب وانتاجية الفرد فى الدول النامية . . وقد ترد نسبة من يدخلون العملية الانتاجية ، ومن يبقون على هامش هذه العملية فى بطالة ظاهرة أو مقنعة . . وقد يتحدث البعض عن دور المرأة فى قوة العمل ، وعن زيادة النسل والسكان بمعدلات مرتفعة .

وقد يكون ذلك كله صحيحا ، لكن الصحيح أيضا أنه كما تم استيراد أسباب الثراء قديما من المستعمرات الى الدول المستعمرة ، فان أسباب الفقر يتم الآن تصديرها من دول المركز المتقدمة فى الجانب المادى ، الى دول أقل تأثيرا فى القرار الاقتصادى الدولى وهى الدول النامية .

واذا كان الاقتصاد الدولى قوامه تبادل السلع والخدمات والتكنولوجيا والأموال ، فان هذا التبادل يتم بشروط الأغنياء وأسعار يفرضها الأثرياء . . وحين يرتفع سعر مايقدمه انسان العالم الأول وينخفض سعر ما يقدمه انسان العالم الثالث . حين يحدث ذلك بقوة القبضة فى الشمال ، والتشرذم والتبعية فى الجنوب ، فان حاصل التاريخ لابد أن يكون على هذا النحو : الفقر بنفس الاتساع خلال قرنين ، والثراء اكثر تركزا خلال نفس الفترة .

الى أين يمضى عالم الفقراء ؟ وهل تحل معضلته قيادة تنبه وتحرص وتستثير الهمم وتقلب الأوضاع ؟ وهل يلعب استقلال القرار وحده الدور الحاسم فى التغيير ؟ الأمر بحاجة الى نقاش واسع . □

بين المتنبي .. والنامي !

بقلم : الدكتور احسان عباس

ان الشهرة الواسعة التي نالها المتنبي ، منذ أن ظهر في أفق الشعر حتى يومنا هذا قد تجعل الكثيرين ينكرون أو يستكثرون اقتران اسمه بالنامي . فمن هو النامي هذا ، وما حكايته مع المتنبي ؟

الشاعر أبو العباس أحمد بن محمد النامي الدارمي المصيصي ، كان في عصره يرى في نفسه منافسا للمتنبي ، بل اننا اذا شئنا مزيداً من الاحتكام الى الامر الواقع قلنا : ان كثيرين من معاصري الشاعرين كانوا يعدون هذه المنافسة أمراً طبيعياً إيماناً منهم بموهبة النامي وجودة شعره ، ولعل بعضهم كان يصرح بتفوق النامي على معاصره ، دون أن يحس بأن للعصبية ضد المتنبي دورها الكبير في ذلك الموقف .

وتدخل تلك المنافسة أحياناً في جو « رومنطيقي » وتتوشح بالخيال الجميل ، وان كان الخيال لا يغني كثيرا عن الحقيقة . فنحن نعلم من باب الحقيقة أن سيف الدولة أوقع بقبائل بني عقيل وغيرهم سنة ٣٤٤هـ - حين عاثوا في نواحيه تخريباً ، وأن المتنبي نظم في تلك الحادثة قصيدة مطلعها :

طوالُ قناً تطاعنها قصارُ
وقطرُك في ندى ووغى بحارُ

راوح فيها بين الاشادة بالانتصار ، والتمجيد لتلك القبائل التي لم تعرف الضيم والانقياد من قبل ، ولهذا كان الانقياد لسيف الدولة غريباً على طبيعتها :

وما انقادت لغيرك في زمان
فتدري ما المقادة والصَّغار

وجرى فيها على سجيته من إكبار البطولة والميل الى الحرية - دون أن يسيء الى ممدوحه ، أو يغمز من جانب تلك القبائل التي لم تكن سوى « يدٍ لم يُنْعِها الا سوار » ايمانا بتلك الرابطة التي يجب أن تكون ملتقى التآلف والوحدة بين زعيم عربي وقبائل عربية . وفي المناسبة نفسها نظم النامي قصيدة يقول فيها دون أن يخفي انحيازه للممدوح :

كأن عليا والقنا في ظهورهم
سماء رمتهم بالنجوم الزواهر
فولت تناجي بالنجاء خلالها
وتجأر من أحكام سُمْرٍ جوائر

الى هنا ينتهي التاريخ لتبدأ الاسطورة التي تقول : نشب بين أدباء حلب خلاف طويل حول أي القصيدتين أجود ، فلم يجدوا لديهم من سبيل سوى الاحتكام الى نقاد محايدين ، فكان أن كتبوا القصيدتين وأرسلوهما الى علماء الشعر ببغداد ، فأعيدت قصيدة النامي اليهم وقد كتبت بماء الذهب ، وكان ذلك إشعاراً بأنها تتفوق على قصيدة المتنبي .

الصراع

ترى من هم هؤلاء الجهابذة من النقاد الذين كانت تحفل بهم بغداد ، وعلى أي أساس بنوا حكمهم ، ولماذا اختاروا ماء الذهب ؟ أذلك لانه كناية عن النفاسة البالغة أم لأن الذهب نفسه يذكر بأسطورة « المذهبات » و « المعلقات » المنسوبة الى الجاهلية ؟ مهما يكن من شيء فان هذه الاسطورة تشير الى وجود منافسة حقيقية بين الشاعرين أو قل بين المتعصبين لكل واحد منهما .

واذا نحن تأنينا في النظر والحكم أحسسنا بعطف خاص على موقف النامي ، ربما أحس به من معاصريه من لم يكن منهم يؤمن بتفوقه على منافسه ، فقد التحق النامي ببلاط سيف الدولة قبل أن يقدم اليه المتنبي بزمن غير قصير، وكان هو يحس - كما كان الناس الذين يعرفونه يحسون - أن طول الانتماء يعني طول الولاء ، وأنه لا يجوز بعد كل هذا التعلق بركاب سيف الدولة أن يفضل عليه شاعراً حديث القدوم الى حلب ، شاعراً صغير السن اذا هو قيس بالنامي ، اذ كان النامي حينئذ قد تجاوز الخمسين ، دون ريب ، وهذا ما يصوره قول النامي متحدثا عن سيف الدولة لأحد أصدقائه : « خدمته الدهر الأطول ، وما رعى واستجمل أن يقول لي : قال المتنبي . . وأنا الذي أقول فيه :

له نظرة نحو الحمول بحومل
وأخرى الى ودّان صادقة الود

الى ها هنا عند الوداع الذي به
عهدت وما بي بالتجلد من عهد
فيا قلب أعوانٌ عليك كثيرةٌ
وما لك من صبر عليهن من بدّ
وشاةٌ وعدالٌ وبرقٌ ودمنةٌ
ألا قلّما أجدت عليك وما يجدي

أبيات جزلة السبك ، فيها من مراعاة الجناس والتطبيق ما عرف عن النامي ، ولكن المحصل منها ضئيل ، وهي تقف شاهدا على أن الصراع بين النامي والمتنبي ليس صراعا بين جيلين - وصراع الاجيال لا يرحم - وحسب ، انما هو بين مذهبين شعريين لا مجال للقاء بينهما .

بلى ، قد يكون هناك لقاء ، في بعض ما يشيعه العصر أحيانا من مناخ عام ، وما تفرضه المماحكات من تحدّيات قائمة على الغلو في الشعور بالاعتداد الذاتي ، الذي يشترك فيه المحق والمبطل ، في جو تتحكم فيه « عقدة الاستعلاء » ، فاذا قال المتنبي :

خليلي إني لا أرى غير شاعر
فلم منهم الدعوى ومني القصائد

أو « أفي كل يوم تحت ضبني شويعر » وجدنا النامي يصف قصائده بأنها مما يدق مثله على امرىء القيس وأنها تتفوق على شعر النابغة والحطيئة وتجعل طرفة بن العبد « عبدا » عنده :

من المذهبات الدارميات شُرَّدٌ
تدق معانيها على الملك الكندي
تزيد على شأوي زياد وجرول
وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي

ولكن مثل هذا اللقاء شكلي عارض ، فأما المسافة الشاسعة فيمثلها البون بين شعر ينطوي ويموت مع المناسبة التي أثارته ، وشعر يتخذ من المناسبة تعبيرا عن موقف انساني متجدد على مر الزمن .

الحاضر يبز الماضي

ولم يكن المتنبي خصما سهلا ، لأن اعتداده بنفسه كان يتجاوز أحيانا حدود كل تواضع تعارف عليه الناس ، بل لأن ذلك الاعتداد كانت تسنده طاقة شعرية عديمة النظير لم يرزق أحد مثلها ، وهي طاقة

تمنحه - فيما تمنحه - القدرة على أن يربك خصمه بعبارة موجزة يزيف فيها كل ما يتمدح به الخصم . فقد كان النامي من طول ملابسته للحمدانيين يستشهد في شعره بأيام تغلب وانتصاراتها في الجاهلية ، لأن الحمدانيين يرجعون في أصولهم الى قبيلة تغلب . وحين رأى المتنبي هذا الاتجاه لدى منافسه قال في احدى قصائده معرضا به :

والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده
في الجاهلية عين العيِّ والخطل
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وكأنما هو يقول له : ان الحاضر يبذ الماضي ، وان من آمن بمجد الحمدانيين في الحاضر لم تكن به حاجة الى استثارة الماضي ، لأن الدنيا في تطور ، وبنو حمدان في ظل الاسلام ليس بهم حاجة الى مفاخر تغلب النصرانية ، أو كما قال المتنبي نفسه في رثاء خولة أخت سيف الدولة :

وان تكن تغلب الغلباء عنصرها
فان في الخمر معنى ليس في العنب

« في الخمر معنى ليس في العنب » ذلك هو التفسير الطبيعي للتجدد ، وذلك هو أيضا التفسير لغلبة الأجيال الطالعة في صراعها ، وكأن المتنبي يقول : قد يكون النامي شاعرا كبيرا عند نفسه وعند أنصاره ، ولكنه يجب أن يتفطن الى أن محصلة الزمن قد تتمخض عن من يتفوق عليه ، وليس في هذا تنكر للتراث ، وإنما فيه ايمان باستمرار التحول الذي قد يأتي بجديد يفوق القديم .

عناصر التفوق

ولم تكن الطاقة الشعرية التي منحها المتنبي نفسه هي التي تقرر وحدها تضاؤل النامي الى جانبه ، بل كان في طبيعة النامي نفسه ما يكفل للمتنبي احراز التفوق ، اذ لم يكن النامي ذا موهبة تلبي الموقف الوسط بين البديهة والروية - على الاقل - بل كانت موهبة من النوع الذي لا يجود الا بعد روية طويلة وتحايل على استدرار القريحة ، فكان اذا أراد أن يعمل شعرا قضى فترة طويلة جدا وهو يروض نفسه على ذلك . وكان « ذا مزاج » خاص في نظم الشعر ، فاذا أخذ في نظم قصيدة ، ونطق في داره جارية أو غلام أثناء نظمه استبد به الغيظ وكاد أن يقتل من يعطل لديه عملية النظم ، وكان ذلك يقطع عليه خواطره فتتوقف القصيدة ولا يستطيع اكمالها . وقد حدَّث هو عن نفسه أنه جلس ذات ليلة يعمل شعرا فسمع صياح الديك فانقطع وعجز عن الاستمرار في النظم . كذلك فان طريقته في النظم كانت خاضعة للاستيحاء وقدح القريحة بالاستلهام وخلق الجو المناسب . فكان اذا أراد أن يعمل قصيدة جمع عددا كبيرا من دواوين القدماء والمحدثين وأخذ ينظر فيها لينقدح بها خاطره وتتحلب على سن قلمه المعاني المسعفة ، وكثيرا ما كان يصرف سبعة أشهر أو أقل أو أكثر حتى يكمل قصيدته فتأتي وقد فاتت مناسبتها .

طرائف

ومن أطرف ما يروى في هذا الصدد - ولعله نوع من المبالغة المقصودة للاضحاك - أن سيف الدولة رزق بمولود ، وتوافد اليه الشعراء يهنئونه في هذه المناسبة الا النامي فانه جاء بعد شهور بقصيدة نظمها في التهنئة بالمولود ، فقال له سيف الدولة : « يا أبا العباس قد حان لنا أن نسلمه الى الكُتّاب ، تنشدنا تهنئة بولادته الآن ؟ » . وكانت الحادثة من فتح أو صفة لوقعة أو تهنئة بعيد مما يحفز الشعراء الى القول ، فكان النامي هو الوحيد الذي يأتي بعد فوات المناسبة بوقت طويل يستأذن سيف الدولة في الانشاد ، فكان سيف الدولة يتعمد اغاظته ، متظاهرا بأنه نسي المناسبة ، رافضا أن يستمع اليه ، حتى يبلغ حد البكاء ، وعندئذ يرق له سيف الدولة ويقول له : نعم ، نعم تذكرت ، هات قصيدتك . وفي أحيان أخرى كان سيف الدولة يخرج به من الممازحة الى الجد فيأبى عليه أن ينشد ما أعده ، لتطاول المدة ، فتبقى في نفس النامي حسرة دفينة .

وحين اكتشف سيف الدولة مواطن الضعف هذه وغيرها في النامي ، أخذ يستغلها للتندر والتفكه ، غير عابىء بما يجره ذلك من إحراج يخرج النامي عن طوره ويجعله هزأة بين نظرائه . فقد استحسن سيف الدولة قصيدة لزهير مطلعها . ان الخليط أجدُّ البين فانفرقا » ، فوعده النامي أن يعارضها بقصيدة تتفوق

عليها جودة في مدح سيف الدولة ، ولما تمت قصيدة النامي نظما خرج بها الى ممدوحه فلقيه على نهر حلب (نهر قويق) فترجل وأخذ ينشده قصيدته ، فكان أن أظهر سيف الدولة بعض امارات التنقص لتلك القصيدة - تعمدا للعبث بأعصاب شاعر يعرف عنه سرعة الغضب - فما كان من النامي ألا ان توقف عن الانشاد وذهب الى شاطىء النهر فخرّق الأوراق وغسل ما عليها من حبر في ماء النهر ، بمرأى من سيف الدولة ، وهكذا ضاعت الى الابد تلك القصيدة التي تبدأ بقول النامي - في مطلع جميل - :

ما أنت مني ولا الطيف الذي طرقا
ردّا الكرى واستردّا مني الأرقا

ولهذا تنتقل المنافسة بين الشاعرين الى مستوى جديد حين تصبح مصدر امتاع لسيف الدولة . ورغبة من هذا الامير في اذكاء الصراع بين القرائح كأن يحفز الشعراء لهجاء المتنبي ، ويقال - وهذه رواية لا بد من أن تؤخذ بحذر - إن النامي هجا المتنبي بدافع من هذا التحريض فقال :

قد صح شعرك والنبوة لم تصحّ
فدع النبوة لا أبا لك واسترح
واربح دما أصبحت توجب سفكه
ان المتمتع بالحياة لمن ربح

وان أبا الطيب أجابه بقوله :

نار النبوة من زنادي تقتدح
يغدو عليّ من المها ما لم يرح
أمري اليّ فان سمحت بمهجة
كرمت عليّ فان مثلي من سمح

وان هذه المناظرة الشعرية لم تقف عند هذا الحد بل مضت قدما واستجمعت حطبا جزلا لنار المكايدة ، فقال النامي :

أطللت يا أيها الشقي دمك
لا رحم الله كلّ من رحمك
أقسم لو أقسم الأمير على
قتلك قبل العشاء ما ظلمك

فأجابه المتنبي بقوله :

أيهم أتاك الحمام فاصطلمك
غير سفيه عليك من شتمك

وبعده أبيات أخرى من هجر القول نتحرج في روايتها . والسؤال الذي يمكن أن يثار هنا هو : هل هذا صحيح ؟ واذا كان المتنبي قد هجا النامي - فلم - لم تثبت الابيات في ديوانه ؟ ترى هل كان كل هذا من تأليف الفريقين المتنازعين . فريق المتعصبين للنامي وفريق المتعصبين للمتنبي ؟ أغلب الظن أن ذلك كذلك ، أو أن المتنبي بعدما رأى تفاهة المعركة آثر أن يسقط كل هذا « الهراء » من ديوانه .

مصارعات

واذ أرجح أن تكون هذه المقطعات الهجائية موضوعة على لسان الشاعرين ، لا أنكر أن المنافسة بينهما كانت حادة بفعل الاستثارة ، لا من سيف الدولة وحده ، بل من جمهور محبي التفرج بمناظر « المصارعات » ، والراغبين في التشفي بمصير المغلوب ، ولو وصلنا شعر النامي لوجدنا فيه كثيرا من الهجاء الصريح لخصمه ، ومما يؤيد ذلك « هجائية نثرية » كتبها النامي لفضح العيوب والمساوىء في شعر المتنبي يقول فيها : « فأين ذهبت ، وفي أي ضلالة همت ، ومن أي قليب جهالة اغترفت . . » تعليقا على بيت لم يعجبه من شعر أبي الطيب ، فأما المتنبي فانه كان قادرا على أن يصرع خصمه - بل خصومه - بمحض التعريض ، كأن يقول ، بالغا أعلى درجات السخرية والاعتداد الذاتي معا :

أجزني اذا أنشدت شعرا فانما
بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت بعد صوتي فانني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

ولقد ركدت ريح هذه المهاترات - أيا كانت طبيعتها - بعد ارتحال المتنبي عن حلب ثم وفاته سنة ٣٥٤ هـ . وبعد سنتين توفي سيف الدولة وامتد العمر بالنامي بعده فعاش في قول المقلل أربعة عشر عاما ، وفي قول المكثر ثلاثة وأربعين ، ولا ندري شيئا عن تلك الفترة من حياته . لعله شغل نفسه بالتدريس والتأليف ، فكان يلقي على الطلاب أماليه بحلب ، ويعمل على انجاز كتاب له في العروض سماه « المقنع » ، ولما لم يعد الامير الذي كان الشعراء يتبارون في احراز رضاه موجودا ، فقد أصبحت تلك المماحكات أصداء خافتة لا تكاد تسمع الا على سبيل التذكر . □

لقاء في صفة المفرد

لئن ذهبتِ بلا وعدٍ نُقرِّرُه
ولا لقاءٍ إذا شئنا نُكرِّرُهُ

فلستِ أوّلَ من ولّتْ مخلّفةً
فؤادها بين أضلاعي أُدثّرهُ

وقد مكثتِ شعوراً حين يطفحُ بي
يظلُّ ينفضني نفضاً وأسْتُرُهُ

هل تذهبين وفي عينيكِ أكثرُ من
عشقٍ يحاولُ أن نبقى نفجّرُهُ

هل تذهبينَ الى ماتكرهين كما
أبقى أُعاني حضوراً لأبرّرُهُ

سأرفضُ الحاضرَ المفروضَ سيّدَتي
بالرغم منا وأجفوه وأُنكِرُهُ

كأنني حاملُ أحزانَ من عَشِقوا
ولم ينالوا . وحُزني فيك أكثَرُهُ

كأنَّ طيفَكِ مُذْ يأتي يُذكّرني
بما بعينيك من سحرٍ سَأذْكُرُهُ

لقد أتيتِ كما لو كنتِ جاهزةً
إلى اللقاءِ كنهرٍ خفتُ أعْبُرُهْ

لا موْعدُ بيننا حتى نقولَ كما
يشاءُ وغدُ نعانيهِ ونسهرُه

ولستُ أعرفُ من أنتِ سوى وَلَهٍ
مشابهٍ وَلَهي عيناكِ تُظهرُهُ

للشاعر محمد الفايز



تكرّرين التفاتاً لا أقاومه
فأنتحى جانباً والقلب ينظره
لم أدرِ من أنتِ .كانت مقلتاك هوىً
يدعو وفيك شعورٌ صرتُ أشعُرُهُ
وجاء صوتك نشواناً فنبَّهنى
وجرَّنى لحديثٍ أنتِ مصدَرُهُ

وقد رأيتُ جمالاً قبل ذاكَ وما
يبدو بعينيك أحلاه وأكبرُهُ
يمتد نحوى شهيّاً فى تطلُّعِهِ
بلا اكتراثٍ ويدعونى وأحذَرهُ
ومانكرتكِ لكنّى شُدِهت كما
يرتاُع للبدرِ طفلٌ حين يبهرُهُ

وأذهلتنى شفاهٌ مثلما فُتِحَتْ
خزائنٌ وَفَمٌ قد لجَّ أحمرُهُ
وكنتُ مذ كنت دوماً أستجيب إلى
داعى الهوى حين يدعونى وأشكُرهُ

اذا سكتُّ ففى صمتى هواتُفُه
أو التبستُ فحالاتى تفسِّرُهُ
والعشقُ من صفة العشاق نكهتُهُ
فيهمْ وعالُمه الأقصى وجوهُرهُ



مأرب
واليمن الجديد

استطلاع: [illegible] تصوير: طلعت الحسيني

مجموعة من طلبة جامعة صنعاء في المكتبة الجامعية .. إن اليمن كلها تحاول اليوم أن ترتفع الى مستوى الجامعة .
وفتاة جامعية تحمل الكتاب في الحرم الجامعي وتعلن في فخر استعادة حقها في التعليم .



من منا لم يقرأ التاريخ . . تاريخ اليمن القديم وهو يحدثنا عن حضاراته التي
دفنت تحت التراب وبقيت هناك قرونا طويلة . . في هذه الرحلة السريعة بين ربوع
اليمن شهدت « العربي» قصة بلد نفض عن نفسه تراب النسيان ، وخرج الى النور..
انها قصة اليمن الجديد الذي يلهث للحاق بركب الحضارة والتحديث .

ثمة شعور غريب انتابنا ونحن نقف في قلب هذا الوادي السحيق الذي تحتضنه الجبال الشاهقة . . وبين الأطلال التي عاشت تتحدى الزمن وتحكي لنا قصة أعظم وأقدم عمل هندسي في تاريخ شبه الجزيرة العربية . . انه شعور المرء الذي يواجه الواقع بعد رحلة الى عالم مجهول . .

المكان الذي وقفنا فيه نتأمل حكايته مع الزمن هو سد مأرب في اليمن الشمالي . . فقد كان مقصدنا ووجهتنا منذ أن بدأت الحياة تدب في هذه البقعة الأثرية القديمة من أرض اليمن ، وتعلن للعالم أن الحضارات لاتموت . . فهي قد ترقد وقد يدوم رقادها لفترة طالت أو قصرت . . ولكن الحياة لاتلبث أن تدب فيها من جديد ، لأنها حضارة .

كان سد مأرب حتى عهد قريب مجرد أثر من آثار اليمن ، الذي يشد السائحين والزائرين الذين يبحثون في بطون الكتب ليقرأوا عن الحضارات التي سادت ثم بادت . . الى أن كان عام ١٩٨٤ في العيد الثاني والعشرين لثورة سبتمبر ، التي أخرجت هذا البلد العربي الشقيق من عزلته ، ووضعته في بداية الطريق نحو بناء مجتمع جديد لامكان فيه للتخلف الذي كان طابع الحياة في عصر الامامة ، الذي فرض عليه العزلة عن كل مايمت الى العالم الخارجي وراء حدوده، المغلقة بصلة ، من قريب أو من بعيد . .

لقد مضت الثورة تبني اليمن الجديد . . بفضل المساعدات التي قدمها ومازال يقدمها الاخوة العرب . . ومع حركة التحديث والبناء التي واكبت الثورة ، جاء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الى مأرب ، حاملا معه الهدية التي قدمها لشعب اليمن (٧٠ مليون دولار) . وهكذا تحقق الأمل في احياء سد مأرب القديم . .

الحضارات لاتموت

قلت لمرافقنا بعد رحلة بالسيارة من صنعاء (العاصمة) الى سد مأرب ، قطعنا خلالها مائة وسبعين كيلومترا في ثلاث ساعات . . قلت : « لو كان توينبي المؤرخ الكبير الذي عاش أطول رحلة في تاريخ التأريخ . . لو كان توينبي حيا اليوم ، لما تردد في أن يعود الى كتابه « تجاربي » ليضيف اليه : « ان الحضارات لاتموت » .

لقد كانت دراسة التاريخ عند توينبي رحلة ممتعة مليئة بالفكر والتأمل والعمق . ولقد قام هذا المؤرخ المعروف بعدة رحلات إلى أرضنا . . هنا في « الشرق الأدنى » خرج خلالها بعدة نتائج كانت في بعض جوانبها يناقض بعضها بعضا ، فهو تارة يقول ان الحضارات لاتدوم ، وتارة يؤكد أنها لا تموت . . كتب يقول في خاتمة أحد فصول كتابه الذي يروي فيه حكاياته مع التاريخ ، ومع وقفاته أمام الآثار في شرقنا القريب : « هنا ترقد الحضارات الواحدة فوق الأخرى . . القلاع والمعابد والحصون . . . كلها في بقعة واحدة . . حضارات فارسية ويونانية ورومانية وبيزنطية وفينيقية واسلامية . . لماذا ذابت واندثرت . . إنها لم تدم ، ولكنني لا أظن أنها ستبقى طويلا تحت التراب » ، ولقد رحل توينبي مع حيرته ، وكانت أمنيته أن يرى الحياة تدب من جديد في الحضارات التي وقف أمام اطلالها ، فقد كان توينبي يقف في حزن وهو يتأمل تلك الأطلال من حوله ، تماما كما كان يجلس ويسرح بفكره عندما يخلو الى نفسه ، ويتذكر الأصدقاء الذين ضحوا بأرواحهم في الحروب من أجل حياة أفضل . . وكثيرا ماكان يخرج منديله من جيبه ليمسح دمعة حاول أن يحبسها .

أرض الجنتين

ربما طال بقاء السد القديم تحت التراب .. ولكن هاهي الحياة تعود اليه بعد أكثر من ألفين وخمسمائة عام .. لقد وقفنا فوق ماتبقى من جسم السد وبواباته القديمة والأحجار الضخمة التي شيد بها ، وقد تناثرت هنا وهناك في الوادي السحيق ، الذي كان يمتلىء بمياه الأمطار المتساقطة ، والذي كانت مياهه تروي مساحة هائلة من الأرض تمتد من مأرب الى حضرموت (في اليمن الجنوبي الآن) .. وقفنا وتطلعنا حولنا نبحث عن أرض الجنتين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .. فلم نجد لها أثرا ..

ان أحدا لايعرف على وجه التحديد من هو أول من قام بانشاء هذا السد ،حتى كتب التاريخ القديمة والحديثة في حيرة من أمر صاحبه .. من يكون ؟ فالبعض يعتقد أن باني السد هو « سبأ بن يشجب » والبعض الآخر يقول بل هو « سمهو على ينوف » وابنه « يثعمر » وكلاهما من ملوك القرن الثامن قبل الميلاد ، مستندين في ظنهما الى النقوش التي كشفوا عنها على جدار السد الذي أعيد ترميمه بعد ذلك في عامي ٤٧٠م ثم ٥٤٣م .

ويقع السد على بعد أربعة كيلومترات من مدينة مأرب القديمة ، التي يقال أن آباء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، ينحدرون منها .. ويستقر البناء القديم في وادي « ذنة » وهو مضيق منخفض تتجمع فيه المياه من المرتفعات التي تحيط به ، وهناك ثلاثة وديان رئيسية تصب فيه مياهها هي ذمار وماهلية وسبأ ، الى جانب الوديان الأخرى الصغيرة ..

وفي هذه البقعة التي وقع عليها اختيار أجدادنا منذ قرون طويلة مضت ، سوف يقام السد الجديد الذي احتفل الشيخ زايد مع أخيه رئيس جمهورية اليمن العقيد على عبد الله صالح بوضع حجر الأساس في اليوم الأول من شهر اكتوبر من العام الماضي ..

سد مأرب الجديد

ومشروع بناء السد الجديد الذي تقوم بتنفيذه احدى الشركات التركية ، يستهدف تجميع مياه



دخلت الطائرة لتربط بين مدن اليمن الرئيسية ، ولكن مازالت الطرق البرية تشكل حلقة اتصال هامة بينها .

السيول الناتجة عن تساقط الأمطار فوق مساحة من الأرض ، تقدر بحوالي عشرة آلاف كيلومتر مربع ، للاستفادة منها في موسم الجفاف ، ويقدر متوسط تصريفها السنوي بحوالي مائتي مليون متر مكعب ، داخل خزان السد الذي تصل سعته الى ضعف هذه الكمية من المياه ، حتى يمكن اختزان المزيد منها عندما تكون السماء أكثر سخاء .

اما ارتفاع جسم السد فسوف يصل الى تسعة وثلاثين مترا ، وطوله سبعمائة وثلاثة وستون مترا ، وعرضه من أسفل مائة وخمسة وتسعون مترا ، ومن أعلى ستة أمتار ، ويبلغ حجم الردميات للسد ، او السد الترابي ، مايقرب من الثلاثة ملايين متر مكعب .

وقد وضعت التصميمات على أساس تمرير مياه الري خلال نفق بالجانب الأيمن للسد ، يبلغ قطره حوالي مترين ونصف المتر ، وطوله مائة وخمسة وتسعون مترا ..

ولانريد أن نمضي في التفاصيل ، فهي مازالت على الورق ، وان كان العمل قد بدأ في بنائه وهو يسير



مبنى جامعة صنعاء القديم .. لقد كانت الجامعة هي هدية دولة الكويت لليمن الشقيق



[illegible] اليمني [illegible] في [illegible]



واجهة أحد المباني الحديثة بجامعة صنعاء التي تخرج منها آلاف الطلبة والطالبات منذ قيامها



وخرجت المرأة اليمنية من وراء جدران بيتها الذى لم تكن تبرحه لتمارس حقها المشروع في تلقى العلم لأول مرة منذ قرون طويلة.

سريعا ، وقد انتشرت الآلات والمعدات في الموقع ، وتجمع الرجال الذين يحملون عبء البناء .

مـاذا تعني اعـادة بنـاء سـد مـأرب ؟ يقـول الدارسون : « ان العائد الاقتصادي سوف يصل الى أربعة عشر بالمئة سنويا . وانه سوف يحقق زيادة في المساحة المزروعة في منطقة المشروع تصل الى ثلاثين الف هكتار ، أي مايوازي مائتي مليون متر مربع ، وذلك بفضل اتباع النظم الحديثة في الري ، كالري بالرش والتنقيط ، والري المحوري .

وسوف يحقق السد بعد ذلك ضمان توافر المياه بصفة دائمة طوال أشهر السنة ، الى جانب حماية الأراضي الزراعية من الانجراف بفعل السيول والفيضانات . هذا العمل الهندسي الرائع الذي ظل يبعث الحياة الى الأرض في السهول والجبال الخصبة على مدى قرون طويلة في اليمن القديم ، ماالذي حل به وكيف تحول الى انقاض وأكوام من الحجارة ، وقد كان شريان الحياة في هذه الأرض الطيبة ؟ ألم يكن ممكنا أن يبقي ويمضي في العطاء ، وهو الذي دخل التاريخ كأحد المعالم الحضارية الخالدة التي تؤكد عظمة وشموخ الانسان العربي ، الذي كان له دور بارز واسهام كبير في تشييد الحضارة الانسانية القديمة ؟

خواطر ألحت على ونحن نسير فوق انقاض السد الذي كان ! واقف متأملا عند أطراف بوابة التاريخ ، وسط السهل القابع عند سفح الجبال الشاهقة ، التي زال من حولها كل أثر للحياة ، وبقيت هي تتحدى الزمن وتحكي لنا صفحات من التاريخ .

الفأر هدم السد

وقلت لمرافقنا : « كيف تهدم السد ؟ »

وقال : « لن تجد مرجعا واحدا يقول لك كيف ، ولا متى انهار هذا البناء العظيم ، ولكنك سوف تجد حتما تلك الأسطورة التي تناقلتها الأجيال عبر القرون . . اسطورة الفأر الذي ظل يأكل في جدار السد والناس من حوله في عجب مما يحدث أمامهم ، دون أن يخطر على بال أحد منهم أن وراء هذا التخريب في جدران السد القوية فأرا صغيرا أو كبيرا . ولم يستطع أحد حتى الآن أن يكتشف سر هذه القدرة الهائلة التي استقرت في أسنانه ، التي كانت أقوى من أي معول من معاول الهدم والتدمير .

ـ وهل عثروا على الفأر ؟

ـ تقول الأسطورة انهم وجدوه غارقا بعد ذلك في مياه السد عندما راحت تتدفق بقوة ، لتجرف معها كل شيء قام في طريقها . . فقد أغرق الطوفان اليمن . .

في الطريق الى تعز

في اليوم التالي ، كنا على موعد مع مدينة تعز وهي أجمل مدن اليمن على الاطلاق . . المسافة بينها وبين صنعاء العاصمة حوالي أربعمائة كيلومتر ، تقطعها السيارة في ثمان ساعات ، الطريق اليها ممهد ، ولكن أي طريق ؟ انها أشبه بأفعى تتلوى في قلب الجبل . . انها سلسلة جبال سمارة التي تمتد من الشرق الى الغرب ، جبال شاهقة ترتفع عن سطح البحر بحوالي ألف وخمسمائة متر ، وأكثر من ذلك في بعض أجزائها . . وهكذا اليمن كلها . . الجبال المرتفعة تحتضن قراها ومدنها . . الجبل دائما هناك يطالعك في أي مكان وفي كل مكان تذهب اليه . . ولكنك عندما تقترب منه وتزحف بسيارتك التي تسير في الطريق الذي شق في بطنه ، لاتملك الا أن تقف حائرا مشدوها ، وقد تملكك شعور بالرهبة والخوف أحيانا ، اذا نزلت قليلا وتطلعت الى السفح . . أو اذا حاولت أن تجول بعينيك في هذا الفراغ الهائل الذي لايلبث أن يصطدم بالجبال ، قبل ان تعرف من أين بدأ . انك في هذا المكان الصغير الذي تجلس فيه داخل سيارتك لاتستطيع أن تمنع نفسك من الاحساس بتفاهة الانسان وعظمته . . فأين مكانه من هذه الطبيعة القوية القاسية ؟ انك بالكاد ترى الناس الذين يعملون ويفلحون الأرض من هذا الارتفاع الشاهق ، وكأنهم مخلوقات لاتزيد في حجمها عن دمى الأطفال . . ولكن الانسان نفسه هو الذي أتاح لك فرصة الوجود في هذا المكان الذي تطل منه ، وأنت ماض في طريقك تزحف بسيارتك . . فهو الذي تحدى الجبل ، وراح يضرب في صخوره ليشق لك الطريق الذي تقف فيه ، وتشرف منه على الطبيعة من حولك .

وربطها ، وسيلة أساسية للاتصال ، ويجد فيه السائح متعة لاتتاح له اذا ركب الجو ، وحبس نفسه داخل هذا الصندوق الضيق الذي لايتيح له أن يرى من وراء زجاج نوافذه الصغيرة أكثر من قمم الجبال العالية .

ونعود الى رحلتنا التي بدأناها في الصباح .. لقد كنا نتوقف عند كل شيء يمت الى مهمتنا بصلة .. ولكن ماهي هذه المهمة ؟ .. لماذا جئنا الى اليمن ؟ لقد كانت مهمتنا تنحصر في أن نكتب عن هذا القطر الشقيق ، من خلال النهضة التعليمية التي تشهدها البلاد ، وأثرها على التنمية الاقتصادية ، وعن سد مأرب الذي بدأت الحياة تعود اليه بعد هذا الرقاد الطويل ، وماسوف يترتب على قيام هذا السد من تطور في الزراعة والمشروعات الزراعية .

وكلها عناوين جانبية تقع تحت عنوان عريض ، هو التحديث في اليمن ، أو اليمن الجديد ..

ونمضي في رحلتنا في بطن الجبل .. ونجول بعيوننا من حولنا .. البيوت الصغيرة شيدت فوق الجبل ، المزارع الخضراء تكسو الأرض عند السفح ، وفي كثير من أنحاء الجبل نفسه .. فقد كانت المدرجات الخضراء ترتفع الواحدة فوق الأخرى ، وقد اكتست كلها باللون الأخضر .. لون الحياة .. فالتربة خصبة ، ومياه الأمطار في الصيف تروي الأرض التي انتشرت فيها الحبوب ، التي تساقطت من الثمار في الخريف .. حبوب المحاصيل التي جنوها وأكلوها .. ذرة وقمح وخضراوات ، وفواكه في البساتين ..

جئنا على غير موعد

قال لنا مرافقنا : أنتم لم تروا اليمن الأخضر ، كما يبدو في موسم الزراعة ، ان كل شبر من هذه الأرض الواسعة الشاسعة يكسوه الزرع .. ومع هذا فلا يخلو اليمن من الزراعة على مدار السنة ، لأن الطقس عندنا يختلف من منطقة الى أخرى ، طبقا لارتفاعها عن سطح البحر واعتدال جوها أو ارتفاع درجة الحرارة فيه .. لو أن موعد زيارتكم لنا قد تقدم بعض الشيء أو تأخر لرأيتم المزيد مما جئتم تبحثون عنه .

ومن بعيد ، عندما استوى الطريق أمامنا وهبطنا



المرأة تقوم بكل أعمال الرجل ، لأنه غائب ، فهو يهاجر الى الخارج من أجل الرزق والعيش ، ويتركها وراءه لتعنى بالبيت والحقل .

وقبل الثورة كانت الرحلة بالسيارة عبر الجبال الى أي مدينة من مدن اليمن ضربا من المغامرة .. فقد كانت الطرق ضيقة غير ممهدة ، قد تصلح لدابة تسير عليها في حذر ، ولكنها تضيق بالسيارة التي كثيرا ماكانت تسقط بركابها الى السفح ، حيث تنتهي رحلتهم مع الحياة هناك في القاع .. أما الآن فقد اتسعت الطرق الجبلية وأصبحت ممهدة من أجل وحدة أرض اليمن ووحدة شعبه ..

الطائرة هناك ... ولكن

لقد حملت مسيرة التحديث الطائرة الى اليمن ، وأصبحت رحلاتها الداخلية تربط بين كل أجزاء البلاد القريبة والبعيدة ، ولكن بقي بعد ذلك الطريق البري ، الذي لاغنى عنه من أجل دعم اقتصاد البلاد



الـزراعـة في السهل المنبسط الذي تحتضنه جبال اليمن في جميع أنحاء البلاد حتى في قلب الجبـل نفسه







الثروة الحيوانية وتنميتها تلقى عناية الدولة . . مجموعة من الأبقار الفريزيان في إحدى مزارع تربية الحيوانات .

من الجبل لاحت لنا صورة لم يكن ممكنا أن نمر أمامها دون أن تستوقفنا . . كانت مجموعة كبيرة من الأبقار ترعى في احدى المزارع النموذجية . . وذهبنا اليها . . إنها مزرعة رصابة ، سميت بهذا الاسم نسبة الى قرية رصابة التي دمرها زلزال اليمن منذ بضع سنوات خلت ، وهي أكبر قرى اليمن .

قامت المزرعة في عام ١٩٨٠ ، عندما استوردت اليمن مجموعة كبيرة من الأبقار الحلوب « الفريزيان » من انجلترا ، وقد كبرت المزرعة خلال السنوات الخمس الأخيرة ، وارتفع عدد الأبقار فيها ، وانتجت أعدادا كبيرة من العجول التي قاموا بتسمينها وبيعها للسوق المحلي ، ووزعت أعداد من الأبقار على المزارعين للتهجين . .

ونترك مزرعة الأبقار ونمضي . . ولكننا لانلبث أن نتوقف مرة أخرى عند مجموعة من الحظائر التي انتشرت في بقعة أخرى على الطريق المنبسط أمامنا ، قبل أن نصعد الى الجبل من جديد . . انها شركة سبأ للدواجن ، وهي شركة مساهمة يمنية انشئت برأسمال كويتي - مصري - يمني .

قامت الشركة عام ١٩٧٩ ، وكان الهدف منها انتاج دجاج اللحم ، وانتاج الأعلاف ، وأخيرا «الكتكوت» الذي يوزع في السوق المحلي على الفلاح الذي يتولى هو مهمة تربيته وتسمينه ، تحت اشراف المهندسين الزراعيين بالشركة . .

وقد بلغ الانتاج في العام الواحد أكثر من مليونين ونصف مليون دجاجة للاستهلاك المحلي ، عندما بدأت رحلة الشركة معها ،كانت « كتاكيت » صغيرة عمرها يوم واحد ، حملتها الطائرات الخاصة المعدة لنقل « كتاكيت » من أوروبا الى اليمن . . ويتكلف استيراد«الكتكوت»الواحد مايقرب من ثلاثة ريالات يمنية ، ويباع بعد تربيته وتسمينه بحوالي أربعة عشر ريالا ، وتبدأ عملية البيع بعد مرور ستة أسابيع على وصوله بالطائرة الى حظائر تربية الدواجن .

شركة سبأ واحدة من أربع شركات كبرى تقوم بانتاج الدواجن والبيض ، ومن المتوقع أن تحقق اليمن اكتفاء ذاتيا في الدواجن خلال خمس سنوات .

ونعود الى رحلتنا مع الجبل . . . الطريق الى تعز يبدو كما لو كان بلا نهاية ، ولكن الرحلة ممتعة ، رغم

أنها طويلة محفوفة بالمخاطر ، أو هكذا خيل لنا ، ولكن ابتسامة سائق السيارة التي لم تفارق شفتيه أبدا ، نجحت في أن تبدد مخاوفنا بعض الشيء .

ووصلنا والشمس توشك على الغوص في الأفق البعيد ، لقد بدأ الظلام يكسو المدينة ، ومن شرفة الفندق الذي نزلنا فيه رأينا تعز بالليل . . مدينة جبلية عالية تسبح في الأضواء . . أفواج السائحين الذين ازدحمت بهم الفنادق كادت تهددنا بالمبيت في المقاعد التى لم نفترق عنها في السيارة طوال الرحلة ، لولا تدخل الاخوة الذين عثروا لنا على غرفة في فندق « الأخوة » . ففي تعز مطار دولي تهبط فيه الطائرات القادمة من كل انحاء العالم .

في ريف تعز

وفي الصباح كنا على موعد مع تعز الخضراء . . مع مياهها المخزونة التي تتدفق بحساب لتروي الأرض . . ومع المشاتل التي تنتشر في جميع أنحاء المدينة خارج المناطق السكنية . . ومع الريف وحياة أهله التي تتسم بالبساطة والقناعة والكفاح والصبر .

وفي وسط كل هذا ومعه ومن حوله ، كانت المرأة اليمنية هناك . . انها تقوم بدور اساسي لأن الرجل في أغلب الاحيان غائب عن البيت انه مهاجر وراء الحدود ، في بقية أقطار الوطن العربي ، وفي السعودية والكويت وبقية دول الخليج بصفة خاصة ، حيث يعمل من أجل رزقه وعيشه . وهو يذهب وحده ، تاركا امرأته وأطفاله وراءه . . فتراها في الحقل تزرع الأرض ، وتجني المحصول ، وتعني بتربية أبنائها ، وترعى حيواناتها . . انها مسؤولة عن تسيير دفة الحياة في غيبة رجلها .

ورأينا المرأة اليمنية في الشارع وفي المدرسة وفي الجامعة . . الجيل القديم منهن مازال يختفي راء الحجاب الذي جاء به الأتراك أيام الحكم العثماني . . أما الجيل الحديث المتعلم ، فيكتفي بغطاء الرأس . .

الحقل هو المكان الوحيد الذي رأينا فيه المرأة اليمنية بلا حجاب . . فهو مملكتها في بلد يعمل ٨٥٪ من اجمالي القوى العاملة فيه بالزراعة . .

من أجل هذا اهتمت ثورة اليمن بهذا القطاع ، وأعطته الأولوية في التنمية ، تمشيا مع أهداف الثورة . .

ومن أجل هذا أيضا أولت الدولة اهتماما خاصا بالتعليم ، ايمانا منها بأن التربية وخطة التنمية الشاملة أمران متلازمان . . لايمكن لأحدهما أن يتحقق دون الآخر . .

لم يكن اليمن يقف وحده عندما ثار الشعب على التخلف وعلى حكم « الامامة » الذي عاش في ظله معزولا عن العالم الخارجي القريب والبعيد . . فقد وقفت معه الشعوب العربية تسانده وتؤيده بالرجال والمال . . وكانت التضحيات كبيرة والمال كثير ، وقام اليمن الجديد .

وعندما استقرت الأمور في اليمن وبدأ الشعب يخرج من حالة السبات التي كان يعيشها . . بدأت رحلة بناء اليمن الجديد . .

قال لنا مسؤول عربي كبير : « لقد كانت الكويت سباقة ، كعهدنا بها دائما ، فما كادت تنقضي بضعة أشهر على قيام ثورة اليمن ، حتى بدأ مكتب دولة

سد مأرب في العلم الوطني

علم الجمهورية العربية اليمنية يحكي قصة اليمن ، فهو يتكون من ثلاثة الوان ، اللون الاسود ويرمز الى عهد الظلام والحكم الرجعي ، والأبيض ويرمز الى مبادىء الثورة ونقائها ، يتوسطه نجم أخضر يرمز الى اليمن الخضراء ورخائها ، ثم اللون الأحمر يرمز الى الثورة .

أما شعار اليمن فهو النسر الذي يرمز الى قوة الشعب وانطلاقه الى أفق التحرر ، باسطا جناحيه على العلم الوطني ، كما نقش به رسم يمثل سد مأرب ثم شجرة البن باعتبارهما من أبرز معالم اليمن .

وجـه مـن اليـمـن القديم يحكى قصة هـذا القطر العربى الشقيق مع الزمن . .



قرية صغيرة بطبيعتها القديمة وملابس أهلها التقليدية .. أشجار الفاكهة وسعفها في الأرض تتحدى مع الريح



اللوحة التذكارية التي تحكي عن ...
... إلى اليمن ...

شعار الدولة يحكي قصة اليمن قبل وبعد الثورة مع
شجرة البن الشهيرة وسد مأرب





ومنذ سنتين أو ثلاثة شقت الدولة طريقا جديدا الى حجة ، في قلب الجبال المخيفة التي لابد من اجتيازها للوصول اليها . . وزارها من كان يسمع عنها وعن جمالها ، وكان بين زوارها الشاعر صاحب القصيدة التي يحفظها طلبة المدارس في صنعاء . .

قال الشاعر فيها . .

مـلئَت مُـهـجـتي سـرورا وبهـجـة
حين أبصرت مَعقِل « الحسن » حجَّة
بـلدة غـير انها تـسـلُب اللُّب
تـسبى القـلوبَ من غـير ضـجـة
بنيتْ في السماء فـالنـاس فيهـا
كـل شخص يرعى حواليه بُـرْجَه
تـتـبـاهـى بهـا الجـبـال ويـعـنـو
تحتـهـا ممرع يـداعـب مـرجـه

أما الشاعر صاحب القصيدة فهو الاستاذ أحمد السقاف . واما نحن فقد تأخرنا وكان لابد لنا ان نختار بين زيارتنا لحجة وبين اللحاق بالطائرة . . وقلنا : نعود اليوم الى عملنا ونترك حجة لزيارة أخرى . الم يقولوا لنا ان المواطن العربي ليس في حاجة الى تأشيرة دخول الى اليمن . . ومن أراد ان يجلس فليجلس . . ويجلس هنا بمعنى الاقامة .

من يدري فقد نذهب الى حجة ونجلس فيها . ☐



اليمن الشمالي

مساحة الجمهورية العربية اليمنية د ١٩٥ الف كيلومتر مربع .

* تعداد السكان حوالي تسعة ملايين نسمة .
* المزروعات التقليدية في اليمن هي القطن والقمح والشعير والذرة والخضراوات والفواكه والبن اليمني المشهور ، ويعرف بين المخا لانه كان يصدر الى جميع انحاء العالم من ميناء المخاء على البحر الأحمر .
* أكبر ثلاث مدن في اليمن هي « صنعاء » العاصمة وتعداد سكانها حوالي ٢٨٠ الف نسمة ، يليها ميناء الحديدة على البحر الأحمر (١٢٧ الف نسمة) ، ثم تعز (١٢٠ الف نسمة) ، ويربط بين المدن الثلاث خطوط جوية منتظمة الى جانب الطرق البرية الممهدة .
* تنتشر تربية الحيوانات عند سفوح الجبال في جميع أنحاء اليمن .
* تطورت صناعة صيد الأسماك ، وهي صناعة قديمة بعد انشاء مؤسسة خاصة تهتم باستثمار الثروة السمكية .
* هناك صناعات قامت بعد الثورة ومن بينها صناعة الغزل والنسيج ، وصناعة الاسمنت والطوب الحراري ، وتعبئة المشروبات الغازية ، والصناعات المعدنية ، والزيوت والصابون ، والبلاستيك وصناعة الالومنيوم ، والبسكويت وعصير الفواكه ، والسجائر .
* وفي اليمن ثروات معدنية اكتشف منها حتى الآن معدن الفضة الذي يصنعون منه حلى النساء ، وكذلك النحاس والحديد والرصاص والملح .

وترية الكمان الأولى

شعر : محمد حلمى حامد



كلانا وحيدٌ بلا أمنية
فلا تزرعى الحبَّ فى القلبِ قَسْرا
فقد كنتِ نهرا
وكنتِ ابتسامةَ حلمٍ أطلَّ وعمرا
فهلْ دمتِ للقلبِ نعمةَ هذا الصباحْ
وهل أسلمتكِ الطيورُ البريئةُ
للجرحِ .. أمْ ساومتكِ الجراحْ
سلامٌ عليكِ من ..
من الآنَ للموتِ
والبعثِ بعدَ فواتِ الأوانْ
سلامٌ عليكِ إذا مرَّ طيفُ
هوانا المدَانُ ...
فقد غيَّبوه عنِ الوعيِ دهرا
وقد أشعلوه ولمَّا يَزَلْ فى
السماواتِ بدرا
سلامٌ عليكِ منِ القلبِ للقلبِ
لن يرجعَ الحبُّ قسراً
فقد كانَ زهرا
ومنذُ رحلتِ العصافيرُ ماتت
وقدكنتِ للروحِ سرًّا .



أشعة المستقبل

اعداد : رؤوف وصفي*

الليزر ... أشعة عجيبة تتألق في الأفق العلمي للتكنولوجيا الحديثة .. والمستقبلية .. إنها أشعة الموت والحياة .. فلها قوة تدميرية مروعة للأهداف المعادية في الفضاء ... كما أن لها القدرة على الإشفاء من السرطان .

ماهو الليزر ؟

شهد صيف عام ١٩٦٠ أول عرض لمصدر جديد للضوء ذي خصائص فريدة ، منها انه مركز جدا ، ومن ثم فطاقته مروعة ، الى حد أنه يتمكن من اطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس ، ومن ناحية أخرى يمكن التحكم في قوة هذا الضوء الجديد ، حتى أن الجراحين يستخدمونه في اجراء العمليات الجراحية الدقيقة في العين البشرية .

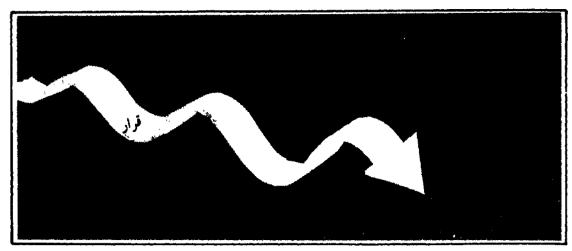
كما يمكن لاشعة هذا الضوء العجيب ان تحدث ثقوبا في ألواح الصلب السميكة ، وكذلك اشعال الكربون ، ولأنها تمر في حزم متوازية ضيقة فيمكن ارسالها من كوكب الارض الى القمر ، أي حوالي ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، فلاتضيء الا مساحة يبلغ قطرها حوالي ثلاثة كيلومتر فقط .

وتتميز هذه الاشعة بانها نقية جدا ذلك أن كل الضوء الذي بها له نفس الطول الموجي ، وهي أيضا متماسكة اي أن كل الموجات الضوئية بها متماثلة تماما وهذه الخواص لها استخدامات عديدة في الحياة العملية .

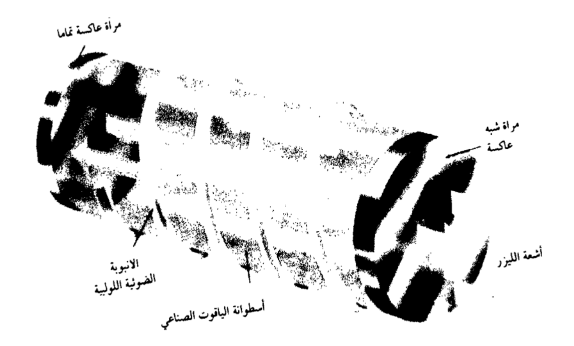
واطلق العلماء على هذه الأشعة الفريدة (الليزر Laser) وهذه الكلمة مكونة من الحروف الاولى من عبارة Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation اي تضخيم الضوء بواسطة القذف المثار للاشعاع

وتعتبر أشعة الليزر من أهم المنجزات التي تحققت

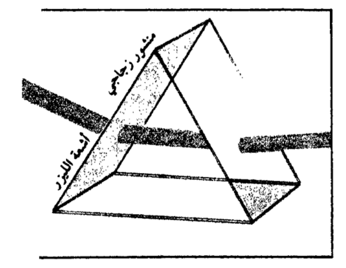
* عضو الاتحاد الدولي لكتاب الخيال العلمي والجمعية الدولية لعلوم المستقبل .



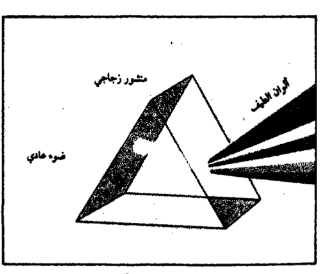
موجة الضوء



جهاز ليزر الياقوت



ضوء الليزر لا ينحلل



الضوء العادي يتحلل الى ألوان الطيف

في العصر الحديث ، اذ أنها أصبحت تستخدم بكفاءة عالية في مجالات مختلفة،وخصوصا في الصناعة والفضاء والطب والحرب ، والاتصالات والمعلومات وفن التصوير المجسم (الهولوجرافيا) . ولتوضيح طبيعة أشعة الليزر ، يجب أن نتعرف على بعض المفاهيم الأساسية والمصطلحات المستخدمة .

الذّرة :

تتكون المواد - بأشكالها الصلبة والسائلة والغازية - من مجموعة منتظمة من الذرات التي هي أصغر جزء من المادة . وتتكون الذرة من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنات كهربية موجبة) ونيوترونات (ذات شحنات متعادلة) وحول نواة الذرة هناك الكترونات (ذات شحنات كهربائية سالبة) تدور في مدارات مختلفة البعد عن النواة . وتأخذ المادة الشكل الصلب عندما تكون الذرات متقاربة جدا ، أما في الشكل السائل فيكون لدى الذرات بعض الحرية في الحركة ، تتباعد الذرات جدا عن بعضها في الشكل الغازي .

الأشعة الكهرومغناطيسية :

تنتج الاشعة الكهرومغناطيسية من تفاعل الذرات المختلفة مع مجالات مغناطيسية وكهربية في الفضاء ، وهي تشمل موجات الراديو والاشعة تحت الحمراء ، والاشعة المرئية والاشعة فوق البنفسجية والاشعة السينية (اشعة اكس) وأشعة جاما والاشعة الكونية .

إن الضوء العادي هو شكل من أشكال الطاقة وجزء من الاشعة الكهرومغناطيسية ، ويطلق على أصغر وحدات الضوء (الفوتون) وكل منها يحتوي على نبضة طاقة ، وتختلف كمية الطاقة حسب طبيعة الفوتون ، ويسير الضوء بسرعة تبلغ حوالي٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

الضوء العادي . . . والليزر :

يتكون الضوء العادي من موجات ضوئية مختلفة الطول والتردد واللون ، وهي مختلطة ببعضها دون انتظام . ويمكن أن نتبين هذا اذا قمنا بامرار الضوء العادي (ضوء الشمس مثلا) خلال منشور زجاجي ، فنجد أنه يتحلل الى الوان عديدة نطلق عليها ألوان الطيف،وتتكون من الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي ، وكل لون له طول موجي معين . وطول هذه الموجة الضوئية هو الذي يحدد لونها .

ويطلق على أعلى جزء من موجة الضوء (قمة الموجة) أما أدنى جزء فيطلق عليه (قرار الموجة) وطول الموجة هو المسافة بين قمتين متتاليتين . أما تردد الضوء فيقصد به عدد الموجات التي تمر من نقطة معينة في الثانية الواحدة . وبمقارنة الضوء العادي بأشعة الليزر يتضح لنا مايلي :-

١ - أشعة الليزر ذات اتجاه واحد ثابت ، وهي تختلف عن الضوء العادي الذي ينتشر في جميع الاتجاهات ، ومن ثم فاشعة الليزر تركز الطاقة عند نقطة محددة تماما .

٢ - أشعة الليزر متماسكة ، أي أن جميع الطاقة المنبعثة لها نفس طول الموجة وترددها ، اما الضوء العادي فهو يحتوي على العديد من الموجات المتباينة الطول والتردد .

٣ - اشعة الليزر ذات لون واحد نقي (أو على الأرجح هي حزمة ضيقة جدا من الأشعة) ، بينما يتكون الضوء العادي من العديد من الوان كثيرة مختلطة (الوان الطيف) .

كيف يعمل الليزر ؟

يتكون جهاز الليزر من ثلاثة أجزاء رئيسية : مادة يطلق عليها (الوسط الفعال) التي تنتج أشعة الليزر ، ومصدر للطاقة لاثارة ذرات الوسط الفعال ، ووحدة يطلق عليها (وحدة تضخيم الضوء) وهي غالبا في شكل مرآتين احداهما عاكسة تماما والاخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

وقد يكون الوسط الفعال في أجهزة الليزر مادة صلبة (مثل الياقوت الصناعي) أو مادة سائلة (مثل مادة النيوديوم المذابة في أكسيد كلوريد الصوديوم) أو مادة غازية (مثل الهيليوم والنيون وثاني أكسيد الكربون) .

وهذا الوسط الفعال من خواصه أنه يقذف بضوء شديد التركيز والتماسك ، اذا وجهت اليه طاقة مثل التيار الكهربائي أو الاشعاع الضوئي ، ذلك تبعا للنظرية الكمية فان الذرة ـ عند اثارتها بمصدر طاقة ـ تصبح قادرة على امتصاص هذه الطاقة ، ويؤدي هذا الى انتقال الكتروناتها من مدارها الطبيعي الى مستوى اعلى ، ولكن سرعان ماتعود الى مستواها الطبيعي مرة أخرى ، متخلية عن الطاقة التي امتصتها من قبل ، في شكل فوتون ضوئي بنفس الطول الموجي ، ولكن بشدة أكبر بكثير ، بحيث أن كل فوتون وارد يسبب انفلات فوتون آخر .

وبتطبيق مبادىء النظرية الكمية أمكن التفكير في اختراع جهاز الليزر . وهنا يثار سؤال:كيف يعمل جهاز الليزر باستخدام النظرية الكمية ؟ حتى يمكن الاجابة عن هذا السؤال ، نقوم بشرح لكيفية عمل أول جهاز لليزر ، والذي كان كان يطلق عليه (جهاز ليزر الياقوت) . كان يتكون من انبوبة ضوئية لولبية ، تلتف حول قضيب سميك من الياقوت الصناعي اسطواني الشكل (الياقوت الصناعي نوع من أوكسيد الألمنيوم ، مع كمية من الكروم مذابة فيه) وعلى طرفي اسطوانة الياقوت الصناعي مرآتين ، إحداهما عاكسة تماما والأخرى شبه عاكسة (تعكس حوالي ٩٥٪ من الضوء الساقط عليها) .

وتستخدم الأنبوبة الضوئية اللولبية في اصدار ضوء شديد الكثافة ، يقوم بامتصاصه قضيب الياقوت الصناعي في زمن قصير جدا ـ حوالي عدة أجزاء من الف من الثانية الواحدة ـ ثم يعيد اطلاقه بشدة أكبر وبشكل مواز لمحوره ، وينعكس عند اصطدامه بالمرآتين عند طرفي القضيب ، ومن ثم فهو يمر عدة مرات خلال قضيب الياقوت الصناعي ، وهذا ينتج عنه تضخيم لاشعة هذا الضوء ، ذلك أنها تكتسب طاقة أكبر من قضيب الياقوت الصناعي بمرورها عليه عدة مرات جيئة وذهابا ، وتزداد هذه الأشعة الى الحدالذي يسمح لها بالانطلاق عبر المرآة شبه العاكسة . وهكذا تصدر أشعة الليزر ، بخواصها الفريدة بأي لون من ألوان الطيف ، وقد تصدر في شكل أشعة غير مرئية (الأشعة تحت الحمراء مثلا) .

أنواع الليزر :

هناك العديد من اشعة الليزر تنتج عن أجهزة متباينة الأشكال ، والتي تستخدم في أغراض مختلفة . ويمكن ان نصنفها تبعا للوسط الفعال الذي يوضع بالجهاز (مواد صلبة ـ سائلة ـ غازية) ذلك أن الوسط الفعال هو الذي يحدد طول موجة أشعة الليزر ، لان طول الموجة ينتج عن التغير في مستويات الطاقة بهذه المواد . ومن أهم أنواع الليزر :ـ

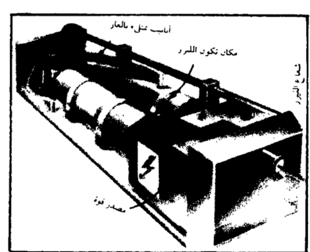
ليزر الغاز : يتألف هذا النوع من الليزر من أنبوب زجاجي ، يحتوي على مزيج من غازي الهليوم (٩٠٪) والنيون (١٠٪) ويتصل بقطبين كهربيين لامرار التيار الكهربائي ، وفي طرفي الأنبوب مرآتان أحدهما عاكسة تماما ، والأخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

ويعمل ليزر الغاز عندما تثار ذرات الهليوم أولا بالتيار الكهربائي ، فتنتقل طاقتها الى ذرات النيون التي تصدر أشعة الليزر من خلال المرآة نصف الشفافة . وتعتبر أشعة الليزر الصادرة من أجهزة الليزرالغازي أفضل بكثير من تلك التي تصدر عن الأجهزة التي تستخدم المواد الصلبة أو السائلة ، وذلك لشدة تماسك ضوئها ، سواء فوق الأرض أو في الفضاء ، وأيضا لمداها الكبير وطاقتها العالية .

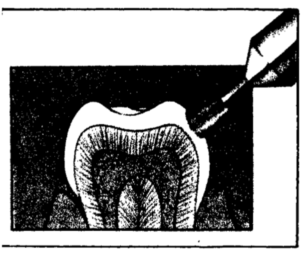
وتستخدم أشعة الليزر الغازي في البحوث العلمية مثل التي تجري في الفضاء ، كذلك في ارسال الأحاديث والموسيقا على صور التلفزيون . ومن أجهزة ليزر الغاز أيضا تلك الاجهزة التي تعمل بواسطة غاز ثاني أكسيد الكربون ، ويصدر عنها اشعة ليزر غير مرئية (اشعة تحت الحمراء) وتعتبر ذات قوة عالية وتستخدم في الأغراض الصناعية .

ليزر السوائل : يتكون الوسط الفعال في هذا النوع من أجهزة الليزر ، من سائل خاص ، يحضر من اذابة مادة النيوديوم باكسيد كلوريد الصوديوم .

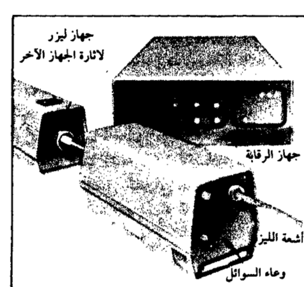
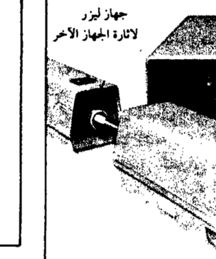
ويتميز ليزر السوائل بسهولة تحضيره في المختبرات ، كما أن المواد المستخدمة فيه اقتصادية لدرجة كبيرة ، بالمقارنة بأجهزة الليزر الأخرى ، بالاضافة الى امكانية تغيير السائل المستخدم بسهولة ، للحصول على أشعة ليزر ذات موجات ومواصفات جديدة دون تغيير جهاز الليزر .



جهاز ليزر الغاز

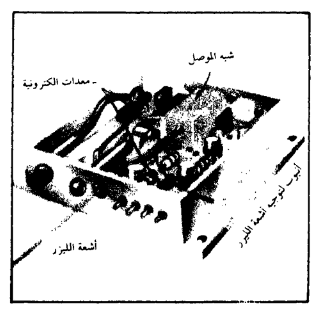


ازالة التسوس بأشعة الليزر

جهاز ليزر السوائل

لحام الشبكية بأشعة الليزر

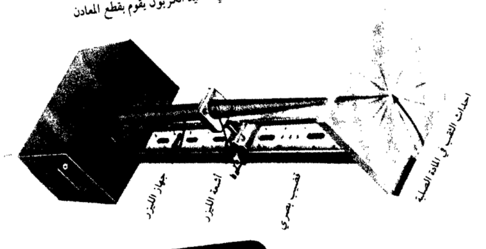


جهاز ليزر المواد الصلبة

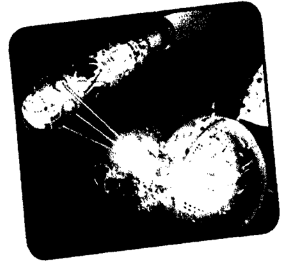


اجراء عملية جراحية في العين بأشعة الليزر

جهاز ليزر قوي يعمل بغاز ثاني أكسيد الكربون يقوم بقطع المعادن



جهاز ليزر
يستخدم في
ثقب المواد الصلبة



تدمير الأقمار الصناعية
المعادية بأشعة الليزر

ليزر المواد الصلبة : يصنع جهاز ليزر المواد الصلبة من أشباه الموصلات ، مثل الترانزستور ، وهي ببساطة وحدات دقيقة تسمح بمرور التيار الكهربائي في اتجاه واحد فقط ، وتمنعه من المرور في الاتجاه المعاكس .

ويمكن استخدام هذا النوع من أجهزة الليزر في الأقمار الصناعية ، أو نقل المعلومات في الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر) ، وحتى كمصدر ضوء يمكن توجيهه الى الأجهزة الأخرى من الليزر لتشغيلها ، وتنتج أجهزة ليزر المواد الصلبة أشعة بأطوال موجات مختلفة ، تتراوح من الأشعة فوق البنفسجية الى الأشعة الحمراء .

تطبيقات الليزر :

الليزر في الطب :

* شهدت السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا في مجال استخدام أشعة الليزر في الجراحة ، فقد تمكن العلماء من اختراع جهاز اطلقوا عليه (المبضع الليزري) يمكن الطبيب الجراح من استخدام أشعة الليزر بخواصها الفريدة في اجراء العمليات الجراحية ، بنفس الكفاءة التي يستعمل فيها مبضعه المعدني . ويتكون هذا المبضع الليزري من جهاز لتوليد أشعة الليزر ذات طاقة مخفضة ، حيث تتخلل ذراعا معدنيا مفرغا ، يتصل بسلاح دقيق يشبه المبضع العادي للجراح ، وبواسطة عدسة خاصة مثبتة في بداية المبضع يمكن جمع حزمة أشعة الليزر ، وتركيزها عند الطرف واجراء العمليات الجراحية بها .

ويتميز المبضع الليزري بأنه مرن ، ويمكن تحريكه الى أي مدى يريده الجراح ، كذلك يمكن توصيله بمجهر الكتروني للعمليات الجراحية البالغة الدقة ، ويرجع السبب في تفضيل اجراء العمليات بالمبضع الليزري الى أنه يتمكن من فتح الجرح في جزء من الثانية ثم يغلقه دون ألم ، ومن ثم يمنع تدفق الدماء الى الخارج ، وهذا شيء بالغ الأهمية أثناء إجراء العمليات الجراحية الدقيقة ، ويطلق على الجراحة باستخدام المبضع الليزري اصطلاح (الجراحة دون دماء) .

* أمكن مؤخرا استخدام أشعة الليزر في استئصال الأورام في المخ ، خصوصا الأورام السرطانية عند المراحل الاولى لاكتشاف المرض ، حيث استخدمت قوة التركيز الهائلة لأشعة الليزر فى قتل الخلايا السرطانية ، ومن ثم أمكن تفادى انتشار هذا المرض القاتل الى الخلايا السليمة .

* فى حالات انفصال الشبكية فى العين (اى تمزقها) والذى قد يسبب فقدان النظر ، أمكن استخدام أشعة الليزر الدقيقة . . بعد تخفيف طاقتها الى حد كبير - فى لحام الشبكية فى نقاط صغيرة بمؤخرة العين ، ومن ثم أمكن اعادة الرؤ يا للاشخاص الذين كانوا يعانون من انفصال الشبكية .

وفى هذه العمليات الجراحية التى تجرى فى العين ، توجه أشعة الليزر الى المريض عبر عدسة العين الى داخلها ، دون أن تحدث أى ضرر لأنها شفافة ، وتفيد حرارة الليزر فى لحام الشبكية من جديد فى موضعها الأصلى .

* أمكن استخدام أشعة الليزر فى معالجة الأسنان المصابة بالتسوس ، وذلك عن طريق توجيه شعاع الليزر على مكان التسوس لحرقه ، ومن ثم منعه من القضاء على السن تماما ، ويعتمد شعاع الليزر فى هذا على طاقته العالية ، وسهولة توجيهه الى الأماكن الدقيقة وحيث أن هذه العملية لا تسبب أى الم ، فان الطبيب لا يستخدم أى تخدير موضعى .

* يمكن استخدام أشعة الليزر فى علاج الأمراض التى تصيب المعدة ، خاصة قرحة المعدة ، ويتم ذلك عن طريق اطلاق أشعة الليزر من خلال أنابيب مثبتة فى جهاز خاص يطلق عليه (الأندوسكوب) .

ويتكون جهاز الأندوسكوب من مجموعات من الأنابيب الدقيقة ، تكون فى مجموعها وحدة فى سماكة الأصبع البشرى ، ويمكن امرار الجهاز من حلق المريض الى المعدة دون ألم ، حيث يمكن لاشعة الليزر أن تعالج القرحة أو أى مرض آخر بالمعدة ، ويستخدم فى هذا النوع من العمليات الجراحية أجهزة ليزر غازية .

الليزر فى الصناعة :

أصبح التطور التكنولوجى سمة من سمات العصر ، ولابد أن يصاحب هذا التطور استخدام أجهزة ووسائل حديثة ، وقد اثبتت أجهزة الليزر

كفاءة عالية فى هذا المجال .

* يمكن لاشعة الليزر أن تقوم باعمال عديدة فى التكنولوجيا الحديثة ، وخصوصا فى الصناعات الدقيقة التى تستخدم ترانزستورات فى حجم رأس الدبوس ، حيث تحتاج الى وصلات ملحومة بدقة بالغة ، وتستخدم غالبا أجهزة تستخدم غاز ثانى أكسيد الكربون لأصدار اشعة ليزر قوية .

وقد أمكن لأشعة الليزر [illegible] سنتيمتر واحد بقاعدة ترانزستور فى مدة تبلغ واحدا على مليون من الثانية ، ومن ثم أصبحت تستخدم فى صناعة المصابيح الكهربائية والحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية .

* أمكن - باستخدام عدسة ضوئية - أن تركز كل طاقة أشعة الليزر على مساحة ضيقة جدا مهما يكن بعدها عن مصدر الليزر ، ومن ثم تتمكن من رفع درجة حرارة الهدف أكثر من مئة ألف درجة مئوية (تبلغ درجة حرارة سطح الشمس عشرين ألف درجة مئوية) . وهذا يؤدى الى قطع وقص ولحام وثقب الأجسام المعدنية المختلفة ، مهما كانت صلابتها (مثل الماس والفولاذ) أو حجمها خصوصا فى صناعة الساعات ، حيث ان لمثاقب الليزر قدرة هائلة ، بالاضافة الى امكانها تحديد الموقع المراد ثقبه بدقة بالغة .

الليزر فى المجال العسكرى :

* دأب كتاب الخيال العلمي لعشرات من السنين فى قصصهم على استخدام سلاح رهيب يصدر أشعة ذات قوة تدميرية مروعة ، أطلقوا عليها (أشعة الموت) ولعل أول من استخدمها الكاتب هـ . ج . ويلز فى روايته الشهيرة (حرب الكواكب) حيث استخدم الغزاة (سكان المريخ) أشعة الموت فى محاولة القضاء على سكان كوكب الأرض .

وتمر السنون وتظهر القدرة التنبئية لكتاب الخيال العلمى، ويتمكن العلماء فعلا من اختراع هذا السلاح الإشعاعى المدمر فى عام ١٩٦٠ ، واطلقوا عليه (اشعة الليزر) وزودوا به الأقمار الصناعية القاتلة ، والمنصات الفضائية ، والمدافع والطائرات والدبابات لتستخدم طاقة الليزر الهائلة فى تدمير الأهداف المعادية بسرعة الضوء ، وخصوصا عندما تطلق من الفضاء الخارجى الى أهداف محددة فوق كوكب الأرض .

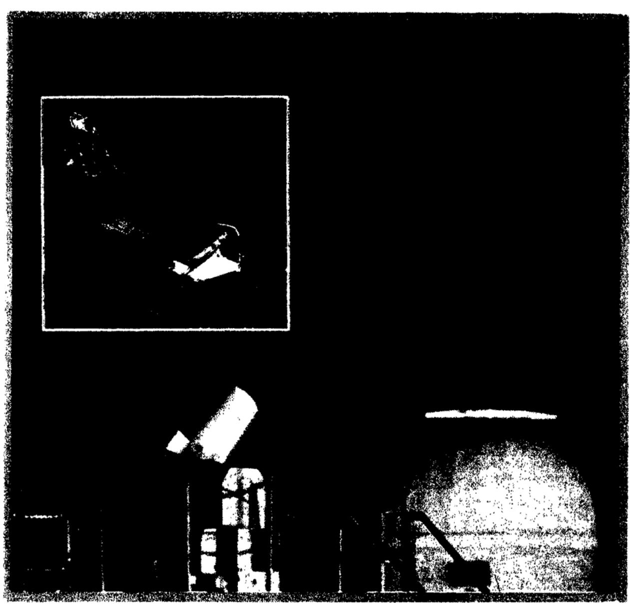
* يرى العلماء أن الحرب القادمة ستدور رحاها فى الفضاء ، ومن ثم سيكون شعاع الليزر هو الوسيلة الفعالة للدفاع ضد القذائف النووية الموجهة العابرة للقارات ، فيمكن لأشعة الليزر بطاقاتها المروعة أن تقطع المسافة من أجهزة الدفاع الى الصاروخ المعادى فى اجزاء من الثانية .

الليزر .. فى الفضاء :

* يمكن استخدام أشعة الليزر فى قياس المسافات الشاسعة بالفضاء ، وقد أمكن قياس المسافة بين كوكب الأرض والقمر بدقة بالغة ، فالقمر على بعد حوالى ٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر ، وباستخدام أشعة الليزر من كوكب الأرض واطلاقها الى القمر حيث تنعكس على عدة أسطح عاكسة - وضعها هناك رواد فضاء من بعثة ابللو ١١ عام ١٩٦٩ - ثم ترتد مرة أخرى الى كوكب الأرض ، وهذه الرحلة التى طولها ذهابا وايابا حوالى ٨٠٠,٠٠٠ كيلو متر تستغرق من أشعة الليزر حوالى ٢,٥ ثانية فقط ، ويقيس العلماء نبضات الليزر من العاكس من نقطتين مختلفتين على سطح الكرة الأرضية ، ومن ثم فهم يتمكنون - باستخدام سرعة الضوء - من معرفة المسافة الدقيقة بين كوكب الأرض والقمر الى اقرب ١٥ سنتميترا . كما يمكن قياس سرعة تباعد القمر من الأرض ، وكيف تتأرجح الكرة الأرضية على محورها .

* ثمة ظاهرة غريبة فوق كوكب الأرض يطلق عليها (تزحزح القارات) وتتمثل فى تحرك قارات الأرض ببطء شديد مجرد عدة سنتيمترات كل عام . ولقياس هذا التحرك يتم اطلاق شعاع الليزر من قمر صناعى فى مدار حول كوكب الأرض ، ويمكن قياس التحرك البطىء جدا عن طريق انعكاس اشعة الليزر من نقطة معينة فوق قارة ما ، ثم انعكاسه من نقطة أخرى بعد مدة من الزمن ، والفرق بين النقطتين يمثل تحرك القارة .

* من النتائج المثيرة لعصر الفضاء زيادة معلوماتنا عن كوكب الأرض ، فتستخدم الأقمار الصناعية فى



جهاز ليزر يوجه الى القمر حيث ينعكس من المرايا (الى الأعلى) التي وضعها رواد فضاء أبوللو ١١ فوق سطح القمر

اطلاق أشعة الليزر الى مناطق مختلفة من الأرض لدراسة شكلها وقياس سطحها بدقة بالغة .

الليزر . . فى الاتصالات :

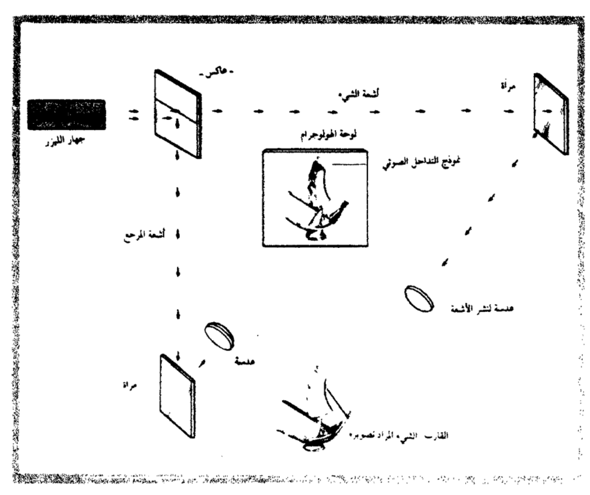
شهدت تقنية نقل المعلومات ثورة تتمثل فى استخدام اجهزة اتصال بالغة التعقيد ، وذات كفاءة عالية تعتمد على أشعة الليزر فى تشغيلها .

فقد امكن استخدام أشعة الليزر فى نقل البيانات والمعلومات ، اما باطلاق الاشعة بشكل مباشر ، أو بامرارها فى الياف بصرية . ولا يعتبر اطلاق أشعة الليزر بشكل مباشر وسيلة عملية لنقل البيانات والمعلومات ، ذلك انها تتأثر بشكل كبير بالسحب والضباب ، ومع هذا فيمكن استخدامها فى الفضاء الخارجى فى الاتصالات بين الاقمار الصناعية ، حيث لا يوجد ما يعيق مثل هذه الاتصالات .

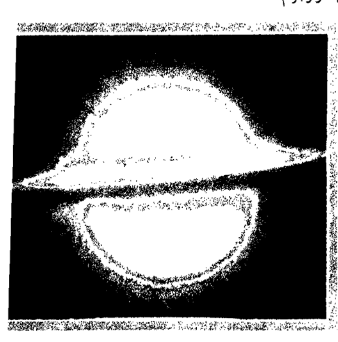
ويمكن استخدام أشعة الليزر بكفاءة عالية فى الاتصالات ونقل البيانات والمعلومات عند امرارها عبر الألياف البصرية .

الألياف البصرية :

أحدثت الألياف البصرية ثورة فى الاتصالات الحديثة ، وهى عبارة عن أسلاك شفافة دقيقة جدا (يصل قطر بعضها الى ما يقرب من الشعرة الآدمية) وتصنع من مادة السيليكا والزجاج الشديد النقاء .



جهاز الليزر لتكوين الهولوجرام



تظهر الصورة فقاعة دقيقة (٢ مليمتر) من مادة خاصة ، تم تسخينها بواسطة جهاز ليزري قوي ، فارتفعت درجة حرارتها بشكل هائل فاصدرت طاقة كافية للذرات لتندمج .



القارب الأصلي وصورته المجسمة

وتتكون الألياف البصرية من منطقة مركزية يطلق عليها (التجويف الداخلى) وهى عاكسة للضوء ، ومنطقة أخرى تمثل الجدران الداخلية لهذه الأسلاك يطلق عليها (الغلاف) . وتتميز الألياف البصرية عن الأسلاك النحاسية العادية بأن كل منها قادر على نقل حوالى ٢٠٠٠ مكالمة هاتفية ، بينما السلك النحاسى الواحد ينقل حوالى ٣٠ مكالمة فقط . وتعتبر الألياف البصرية أيضا أخف وزنا ، اذ يبلغ وزن ٥٠٠ متر منها حوالى ٢٥ كيلو جراما بينما يبلغ وزن نفس الطول من أسلاك النحاس العادية حوالى طنين (٢٠٠٠ كيلو جرام) . وتمر أشعة الليزر داخل الألياف البصرية على شكل نبضات ، حيث تتعرض لانعكاسات عديدة بين طبقتين مختلفتين فى الكثافة (التجويف الداخلى والغلاف) ثم تصل فى النهاية الى هدفها حاملة معها البيانات والمعلومات على شكل نبضات كهربية ، وقد توضع عدسات دقيقة جدا داخل الألياف الزجاجية كل مسافة محددة ، ذلك لتجميع أشعة الليزر كلما تفرقت .

كيف تحمل أشعة الليزر . . المعلومات :

حتى يمكن تخزين أو بث المعلومات بأشكالها المختلفة (مثل الأصوات والصور ومخرجات الكمبيوتر . .) فانه يجب تحويلها الى نبضات كهربية . وهكذا تتحول المعلومات الى نبضات كهربية تعبر عنها تماما .

وعلى سبيل المثال فان صوت المتحدث فى الهاتف يتحول الى نبضات كهربية تعبر عنه تماما ، ثم تمر عبر الاسلاك الى هاتف المستمع وتتحول مرة اخرى الى صوت مميز .

ويتم بث المعلومات عن طريق أشعة الليزر كما يلى :-

تتحول المعلومات المراد بثها الى نبضات كهربية ، تعبر عنها تماما ، ثم يتم توجيهها الى جهاز الليزر ، فيصدر أشعة تتحول تماما مثل النبضات الكهربية وتساويها ايضا فى الشدة ـ اى أن المعلومات قد تحولت الى أشعة ليزر معدلة ـ وعند الهدف هناك أجهزة استقبال خاصة تحول اشعة الليزر الى معلومات مرة اخرى . وهكذا يمكن لاشعة الليزر أن تستخدم لحمل المعلومات من مكان لآخر ، أو تخزينها على أقراص خاصة يطلق عليها الأقراص البصرية ، وهى تستخدم أيضا فى تسجيل الموسيقا وأفلام الفيديو .

الأقراص البصرية :

يتكون القرص البصرى من سطح معدنى فضى مثل المرآة ، يعكس الضوء فى شكل ألوان الطيف ، ويغطى بطبقة رقيقة من البلاستيك النقى ، وهو فى حجم اسطوانة الموسيقا العادية ، وعلى السطح هناك العديد من الثقوب الصغيرة الدقيقة جدا يطلق عليها (الحفر) أما المناطق المستوية التى بينها فيطلق عليها (المسطحات) ولكي نتعرف على دور أشعة الليزر فى عرض المعلومات ، نأخذ حالة عرض أفلام الفيديو .

يتم عرض المعلومات (فيلم الفيديو) عن طريق توجيه أشعة الليزر من جهاز الفيديو بشكل عمودى على سطح القرص البصرى المسجلة عليه المعلومات ، وذلك أثناء دورانه ، على أن يكون مدى الأشعة من مركز القرص الى حافته ، ويعكس السطح اللامع للقرص أشعة الليزر الى جهاز الفيديو مرة اخرى ، حيث يتم التقاطها بواسطة وحدة الكترونية ، تقوم باصدار نبضات كهربية مختلفة بمجرد وصول أشعة الليزر اليها . وحيث أن الحفر والمسطحات فوق سطح القرص البصرى تعكس أشعة الليزر بشكل مختلف ، وعند وصولها الى الوحدة الألكترونية بجهاز الفيديو ، تقوم هى أيضا باصدار نبضات كهربية مختلفة مثل أشعة الليزر التى انعكست اليها ، ثم يحول جهاز الفيديو هذه النبضات الكهربية الى صور وصوت (فيلم الفيديو) .

الهولوجرافيا (فن التصوير المجسم) :

من اهم تطبيقات أشعة الليزر ما يطلق عليه (الهولوجرافيا) أى فن التصوير المجسم الذى يظهر الابعاد الثلاثة للاجسام . ويعتمد هذا الفن على (الهولوجرام) الذى يعنى الصورة الكاملة .

ويبدو الهولوجرام كالصورة العادية ، ولكنه فى الواقع يختلف عنها اختلافا جوهريا .

تخيل أن آلة تصوير عادية التقطت صورة لرجل يقف أمام سيارة ، فاذا نظرت الى هذه الصورة

وحركت رأسك من جهة لاخرى سيظهر الرجل دائما وهو يحجب نفس الجزء من السيارة هذا النوع من الصور يطلق عليه (ذو البعدين) أما اذا اخذت صورة هولوجرام لنفس المنظر (الرجل والسيارة) لاختلف الأمر ، فاذا حركت رأسك من جهة لأخرى ، لاتضح لك ان الرجل يتحرك بالنسبة للسيارة . وبمعنى آخر فان الهولوجرام تقدم صورا ذات أبعاد ثلاثة ، ومن ثم تبدو الصور كالمناظر التى نشاهدها فعلا فى الطبيعة ، فمن كل زاوية يبدو للمشاهد ان المنظر مختلف . فاذا نظرت لصورة الهولوجرام للرجل والسيارة وحركت رأسك نحو اليمين لظهر لك الرجل يتحرك الى اليسار بالنسبة للسيارة ، وتنتج صور الهولوجرام من اضاءة شيء ما بأشعة الليزر التى تصدر بضوء ذي لون محدد (أى بطول موجة ضوء معينة) ، ويتم تخزينها فى الهولوجرام ، ولا يمكن رؤيتها الا باطلاق أشعة الليزر بنفس طول الموجة مرة اخرى خلال الهولوجرام ، كما يمكن تخزين الهولوجرامات فوق فيلم أو على زجاج خاص .

كيف يتم تسجيل الهولوجرام ؟

يوضح الرسم كيف يتم تسجيل الهولوجرام :ـ تمر أشعة الليزر خلال عاكس ، حيث تنقسم الى قسمين : القسم الأول يطلق عليه (أشعة المرجع) تسقط على مرآة فتنعكس خلال عدسة تقوم بنشر هذه الأشعة التى تسقط على لوحة الهولوجرام ، وهى اما فيلم فوتوغرافى ، أو من زجاج خاص مغطى بمادة حساسة للضوء .

اما القسم الثانى من أشعة الليزر والتى يطلق عليها (أشعة الشيء) فانه يتم توجيهه بواسطة مرآة وعدسة الى الشيء المراد تصويره (فى مثالنا : القارب) وتسلط هذه الاشعة على القارب ثم تنعكس فى كل الاتجاهات ، وعندما تتقابل هذه الاشعة المنعكسة مع أشعة المرجع تكون نموذجا خاصا للقارب يطلق عليه (نموذج التداخل الضوئى) أى تداخل أشعة الشيء مع أشعة المرجع .وهذا النموذج هو الذى يقوم بتخزين كافة المعلومات عن تفاصيل القارب ويسجله فوق لوحة الهولوجرام .

وتبدو صورة القارب ذات أبعاد ثلاثة ومطابقة للأصل تماما ، ولكنها بلون واحد فقط ، تبعا لنوع الليزر المستخدم ، ويكون هذا اللون واضحا تماما ومتألقا لانه ناتج عن ضوء نقى ذي طول موجى واحد .

الليزر .. وافاق المستقبل :

اخذ الليزر يشق طريقه بكفاءة عالية عبر الأفق العلمى فى العصر الحديث ، ومن التجارب التى تجرى فى الوقت الحاضر ليتم تطبيقها فى المستقبل :

مصادر جديدة للطاقة : يبحث العلماء دائما عن مصادر جديدة للطاقة ، فمن غير المتوقع ان تبقى المصادر الحالية (الفحم والنفط والغاز) الى الأبد ، ومن ثم يسعى العلماء جاهدين الى ايجاد مصادر أخرى يستمدون منها الطاقة .

وثمة مصدر محتمل للطاقة هو (الاندماج النووى) الذى يحدث عند درجات حرارة مروعة تبلغ ملايين الدرجات ، فالشمس مثلا تطلق الطاقة بفعل الاندماج النووى الذى يحدث عندما تتحد ذرات معينة فتطلق الطاقة عند اندماجها ويمكن لأشعة الليزر أن تحدث تسخيناً للمواد يؤدي إلى الإندماج النووي وإصدار الطاقة .

التلفزيون المجسم :

يجرى العلماء المزيد من التجارب على الهولوجرام بهدف جعله يظهر بألوان متعددة مثل الأصل تماما ، وهناك ايضا محاولات لجعل الهولوجرام يتحرك ومن ثم يمكن أن نشاهد فى المستقبل القريب تلفزيونا مجسما ذا أبعاد ثلاثة . كما يمكن استخدام شاشات تلفزيون كبيرة بحجم الجدار حيث يمكن الاستفادة من خصائص أشعة الليزر (صفاء اللون والكثافة الشديدة) . ويكفى أن تسلط أشعة الليزر على الهولوجرام بنفس الزوايا التى استخدمت فى تصوير المناظر المختلفة المسجلة ، حتى نرى نفس هذه المناظر كما هى فى الطبيعة ، ويكفى أن تمر نسبة معينة من هذه الصور فى الثانية حتى نراها تتحرك . ويتوقع العلماء أن يكشف لنا المستقبل القريب عن المزيد من التطبيقات المذهلة لتقنية الليزر الذى اطلق عليه بحق .. أشعة المستقبل . □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . . . » النساء ٩٤ .

ذكروا في سبب نزول هذه الآية عدة قصص متشابهة تحمل معنى واحدا ، فقد قيل إن رسول الله (ﷺ) بعث جماعة من المسلمين الى المشركين فقاتلوهم حتى لاذ المشركون بالفرار . وتبع رجل من المسلمين كافرا حتى أدركه ، فلما أراد أن يقتله برمحه صاح الرجل : « أشهد أن لا اله الا الله ، اني مسلم » غير أنه طعنه فقتله . فلما عاد الى رسول الله وروى له ما حدث ، قال له النبي : « فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه ؟ » فقال : « يارسول الله ، لو شققت بطنه أكنت أعلم ما في قلبه ؟ » قال : « لا ، فلا أنت قبلت ما تكلم به ، ولا أنت تعلم ما في قلبه » .

وقيل ان القاتل هو أسامة بن زيد بن حارثة والمقتول مرداس الغطفاني من أهل فدك . فلما قدم أسامة على النبي وأخبره ، عظّم النبي الامر عليه وقال : « قتلت رجلا يقول : لا اله الا الله ؟ !! » قال أسامة : « يارسول الله ، انما تعوذ من القتل » (أي قالها خوفا من السلاح) فعاد النبي يقول : « قتلته بعدما قال لا اله الا الله ؟ ! هلا شققت عن قلبه لتنظر أصادق هو أم كاذب ؟ » . قال أسامة : « فما زال رسول الله يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » .

والحكمة التي نستقيها من الآية الكريمة التي نزلت بهذه المناسبة أو مناسبة مماثلة ، وكذا من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله** » ، هي أن الأحكام انما تناط بالمظان والظواهر ، لا على القطع واطلاع السرائر . ذلك أنه لما كان من المستحيل ، حتى لو شققنا عن بطن امرىء ، أن نعلم ما في قلبه ، لم يكن ثمة مفر من قبول ما يبين عنه لسانه ، والحكم باسلامه متى نطق بالشهادة . وهو المعنى الذي قصده تعالى بقوله : « **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا** » .

يقول القرطبي في تفسيره : ان الله لم يجعل لعباده غير الحكم بالمظاهر ، ولايعني هذا أن الايمان هو الاقرار فقط ، فقد كان المنافقون يقولون هذا القول وليسوا بمؤمنين . غير أنه ليس للعبد طريق الى الحكم على ايمان امرىء الا ما سمع منه ، مع أن حقيقة الايمان هي التصديق بالقلب . وعن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية : حرم الله على المؤمنين أن

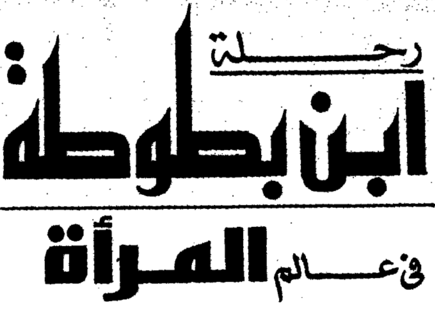
يقولوا لمن شهد أن لا اله الا الله « لست مؤمنا » فهو آمن على ماله ودمه ، ولا تردوا عليه قوله .

ومن المؤسف حقا ، رغم وضوح معنى الآية والحديث ، أن المسلمين لم يكفوا قط ، منذ وفاة النبي الى يومنا هذا ، عن عادة تكفير من يخالفهم في رأي ديني : عثمان كفروه ، وعلي بن أبي طالب كفروه ، ومعاوية كفروه ، وقد سبق لهم أن كفروا الامام الغزالي ثم أسموه بعد موته حجة الاسلام ومحجة الدين ، وكفروا الباقلاني ثم قالوا انه صاحب أجل الكتب في اعجاز القرآن ، وكفروا ابن تيمية الذي باتت تعاليمه أساس المذهب الوهابي السائد الآن في المملكة العربية السعودية وفي قطر ، وكفروا الطبري صاحب أعظم تفسير للقرآن ، وكفروا الشيخ محمد عبده حين دعا الى استخدام ماء الصنبور في الوضوء بدلا من الميضأة التي كانت تعج بالجراثيم ، وكفروا جمال الدين الافغاني وهو ماهو .

قال الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » : « زعمت طائفة أن في بعض كتبي ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين ، وأن العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر ، كفر . فهون أيها الاخ المشفق على نفسك واصبر على ما يقولون . فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين وقد قالوا أنه مجنون من المجانين ؟ وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم معبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دنانيرهم ، وارادتهم جاههم ؟ فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ؟ (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) . . خاطب صاحبك وطالبه بحد الكفر ، فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري ، أو مذهب الحنبلي ، أو مذهب المعتزلي ، أو غيرهم ، فاسأله من أين يثبت له كون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني ، ولم صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني ؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الأشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان قدّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ؟ ! فان رخص للباقلاني في مخالفة الاشعري ، فلم حجر على غير الباقلاني ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم ؟ . . . ان من جعل الحق وقفا على واحد بعينه هو الى الكفر أقرب . ومع ذلك فان كل فرقة تكفر مخالفها : فالحنبلي يكفر الاشعري ، والاشعري يكفر الحنبلي ، والمعتزلي يكفر الاشعري . ولا ينجيك من هذه الورطة الا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتها ، فينكشف لك غلو الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا . فهم ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : « اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » .

كذا قال الغزالي رحمه الله . ونضيف نحن قولنا ان أظلم الناس لنفسه ولغيره من قضى بحرمان الآخرين من استخدام نعمة التفكير التي أنعم الله عز وجل بها علينا وقصرها على نفسه ، ومن جعل من جماعته كنيسة بوسعها أن تقضي بالحرمان ، وتوزع صكوك الغفران □

كان الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حذرا في الحروب ، شديد الروغان من قرنه ، لا يكاد أحد يتمكن منه ، وكانت درعه صدرا لاظهر لها ، فقيل له : ألا تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك ؟ فقال : إذا أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه إنْ أبقى عليَّ



بقلم الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور

عبر رحلاته الثلاث وخلالها عاش ابن بطوطة رحلة رابعة في عالم رحب ومثير ، وهو عالم المرأة التي كانت حاضرة أبدا لديه . والمقال التالي محاولة لرسم صورة المرأة كما قدمها لنا الرحالة الشهير .

ينبغي أن نوضح من البداية أننا لم نقصد بهذا العنوان الادعاء بأننا اكتشفنا لابن بطوطة رحلة رابعة جديدة . فهذا الرحالة المغربي الشهير الذي عاش في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر للميلاد - لم يقم الا برحلات ثلاث ، هي التي أملى أخبارها على محمد بن جزي الكلبي كاتب السلطان أبي عنان المريني ، وصارت هذه الرحلات في مجموعها تعرف برحلة ابن بطوطة .

بين المؤرخ والرحالة :

والواقع أننا في دراستنا للتاريخ - وخصوصا في جانبه الاجتماعي - نجد في كتب الرحلات نوعا من المادة العلمية لانجد نظيرها في مدونات التاريخ المألوفة ، من حوليات وطبقات وتراجم وغيرها . ذلك أن كتاب هذه المدونات يهتمون بالحكام ومشاهير الأفراد ، والأحداث السياسية والحروب ونحوها ، ولايعبأون بالاشارة الى الأوضاع الاجتماعية والأحوال المعيشية للشعوب الا قليلا .

أما الرحالة فيعني بكل مايصادفه من طبائع البشر وغرائب البلدان ، ويدخل في نطاق رصده الأحوال المعيشية للافراد والجماعات ، مما يسفر عن رؤية اجتماعية صادقة .

وقد أدت وحدة العالم الاسلامي حينذاك الى حرية التنقل والترحال ، فارتحل المشارقة الى المغرب والمغاربة الى المشرق . وقد غلب تيار المغاربة المرتحلين لابتغائهم التجارة والعلم ، وحرصهم على أداء فريضة الحج بالحجاز قلب المشرق العربي ، وكثيرا ماعرج هؤلاء المغاربة في تشريقهم على البلدان الاسلامية العريقة التي اجتذبتهم ، بما لها من ارتباط بالتاريخ الاسلامي وأحداثه وتطوره ، مثل مصر والشام والعراق ، وربما اليمن ، وقد كانت التشكيلات الجماعية لهذه الرحلات مهونة لمشقاتها ،



باعثة على الاطمئنان فيها ، كما كانوا يصادفون على امتداد طريقهم للتجارة والحج أماكن الايواء والراحة داخل المدن وخارجها ، كما استضافتهم المؤسسات الدينية ، كالمساجد والزوايا والربط والخانقاوات وخصوصا رجال الدين منهم .

ومن الحجاج والرحالة المغاربة الذين حرصوا على تدوين مشاهداتهم في البلاد التي زاروها ، نذكر على سبيل المثال ثلاثة هم : ابن جبير ، وابن بطوطة ، والبلوي المغربي .

ابن بطوطة ورحلاته الثلاث :

ابن بطوطة ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي،ولد في طنجة سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) ، أي في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر للميلاد . وقد قام بثلاث رحلات جاب فيها عديدا من بلاد العالم القديم بقاراته الثلاث ، افريقية وآسيا وأوروبا . ولاشك أن أهم هذه الرحلات كانت رحلته الاولى التي بدأها سنة

٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) وقضى فيها أكثر من أربع وعشرين سنة ، حج خلالها أربع مرات وبين كل حجة وأخرى طاف بعديد من البلاد .

ففي طريقه للحج أول مرة ، سلك طريق مراكش وتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام ، وبين الحجتين الأولى والثانية طاف بالعراق وبلاد العجم . وبعد الحجة الثانية زار اليمن وشرق افريقية وعمان والخليج والبحرين . وفيما بين الحجتين الثالثة والرابعة عاد مرة أخرى الى مصر ، ثم سافر الى بلاد الترك ، فطاف بمدن آسيا الصغرى ، ومنها انتقل الى القرم وبلاد القفجان شمالي البحر الاسود ، والى أرض البلغار ، وزار القسطنطينية . ثم اتجه الى الهند ، مارا بخوارزم وخراسان ، وتركستان ، وأفغانستان والسند . وقد حظي ابن بطوطة عند السلطان محمد شاه في دهلي ، فأرسله في سفارة الى ملك الصين . وأثناء عودته مر بكثير من جزائر الصين والهند ، حتى وصل الى الهند عن طريق سومطرة ، ثم اتجه الى أرض عمان ، وزار العراق والشام ، قبل أن يقصد مكة لاداء فريضة الحج للمرة الرابعة . وعندئذ غلب عليه الحنين الى وطنه ، فقفل راجعا الى المغرب ، ووصل فاس سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) بعد غيبة طويلة استمرت قرابة ربع قرن .

وكانت هذه الرحلة أطول رحلات ابن بطوطة وأكثرها متعة ، استنفدت أخبارها قرابة ٩٨٪ من مجموع مذكراته التي أملاها على ابن جزي .

أما رحلته الثانية فكانت قصيرة ، الى الاندلس وغرناطة وبعض بلاد المغرب . ولكنه ما كاد يفرغ من هذه الرحلة الثانية ، حتى اتجه الى فاس حيث ودع السلطان ، وشرع في السفر فورا الى بلاد السودان العربي - في غرب افريقية - وهذه هي رحلته الثالثة التي استغرقت نحو عامين (٧٥٣ - ٧٥٤ هـ ، ١٣٥٢ - ١٣٥٤م) .

وعند عودة ابن بطوطة من هذه الرحلة الأخيرة ، عكف على املاء أخبار رحلاته على كاتب السلطان ابن جزي ، وكان الفراغ من تدوينها سنة ٧٥٦ هـ . وقضى ابن بطوطة السنوات الأخيرة من حياته في كنف السلطان أبي عنان المريني ، الى أن توفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧م) .

وسرعان ما شدت مذكرات ابن بطوطة - بعد أن تم تدوينها - انتباه الباحثين والمفكرين ، ومن معاصريه الذين أشاروا اليه والى كتاباته العالم ابن خلدون . ويبدو أن المعلومات التي ذكرها ابن بطوطة في أخبار رحلاته جاء بعضها على درجة من الجدة والغرابة بالنسبة لمعاصريه ، جعلت بعضهم « يتناجى بتكذيبه » . ولكن الواقع أثبت أنه كان أمينا فيما روى ، دقيقا فيما وصف ، حتى أن المستشرق الشهير دوزي نعته بالرحالة الصادق الأمين .

واذا اتسمت بعض أجزاء رواياته بشيء من المبالغة فان علينا أن نتذكر أن ابن بطوطة لم يكن يدون ملاحظاته ومشاهداته أولا بأول ، ولا يوما بيوم ، وانما اختزنها كلها في ذاكرته وفكره ، حتى أملاها بعد سنوات طويلة على ابن جزي ليدونها له . وتجب الاشارة الى ضرورة تقدير الظروف التي أحاطت بابن بطوطة والتي ربما حالت - في بعض الأحيان - دون التحقق من أشياء شاهدها عن كثب .

نفقات الحل والترحال :

واذا كان الباحثون قد اهتموا بما جاء في رحلات ابن بطوطة من معلومات عن احوال البلاد التي ساح فيها ، والشعوب والناس الذين التقى بهم في رحلاته ، فان ذلك جاء على حساب العناية بدراسة شخصية ابن بطوطة نفسه ، ومحاولة تفهم سلوكه ، والقاء اضواء على حياته الخاصة وأحواله ، طوال تلك السنين التي قضاها مغتربا ينتقل من بلد الى آخر . كيف كان يعيش ؟ من أين حصل على نفقات متطلبات حياته في حله وترحاله ؟ وأهم من هذا وذاك ، ماذا كانت نظرته الى المرأة طوال اسفاره ؟ وكيف كانت علاقاته بها ؟ هل قضى تلك السنوات الطويلة أعزب زاهدا ، أو أنه لم ينسَ نصيبه من الدنيا ؟

أما عن موارده المالية التي عاش عليها ، والتي مكنته من مواصلة اسفاره البعيدة ، فيبدو أنها كانت وفيرة ، فلم يشك أبدا من ضيق ذات اليد في أية مرحلة من مراحل سياحته . والمعروف عن ابن بطوطة أنه نشأ - في مسقط رأسه - في سعة من العيش ، بحيث يبدو أنه شرع في القيام برحلته الكبرى ، ومعه ذخيرة غير قليلة من المال .

ولكن الرحلة جاءت طويلة ، واستغرقت قرابة ربع قرن من الزمان ، وتطلبت نفقات انتقال وطعام وشراب ومبيت . . ولذا نرجح أن المبلغ الذي خرج به ابن بطوطة من بلده لم يكف الا لسد نفقات المرحلة الأولى من تلك الرحلة الطويلة ، وهي المرحلة التي انتهت بوصوله الى الحجاز وتأدية فريضة الحج لأول مرة .

ومن الواضح أن ابن بطوطة اعتمد بعد ذلك على المنح والانعامات التي تلقاها من كثير من حكام البلاد الاسلامية التي طاف بها ، وخاصة حكام البلاد غير العربية الذين أدى احساسهم بالبعد عن قلب العالم الاسلامي جغرافيا وحضاريا ولغويا ، الى تلهفهم على استقبال فقيه مثل ابن بطوطة وفد عليهم من أرض عربية ، ملم بأحكام الاسلام ، حاصل على عديد من الاجازات العلمية من بعض علماء المغرب والمشرق جميعا .

هذا الى أن ابن بطوطة قام ببعض الأعمال ، وتولى بعض الوظائف في عدد من البلاد التي دخلها ، وأقام بها بعض الوقت . من ذلك ولايته القضاء في بعض البلاد الآسيوية ، اذ تولى القضاء في الهند نحوا من عامين ، وفي الصين نحوا من عام ونصف . ويروى أنه عندما تولى القضاء في دهلي جعل له ملكها مرتبا قدره عشرة آلاف دينار في السنة ، وخصص له مجاشر (أي مخصصات عينية من الطعام وغيره) بمثل ذلك المبلغ ، كما أمر له باثني عشر ألف دينار أخذها فورا من خزانة الملك ، وأعطاه فرسا بسرجه ولجامه . . . »



ابن بطوطة والمرأة :

على أن الجانب الذي لم ينتبه اليه كاتب أو يتعرض له باحث حتى اليوم هو موقف ابن بطوطة من المرأة خلال أسفاره الطويلة : نظرته اليها ، وملاحظاته عليها ، وموقفه منها ، وعلاقاته بها .

لقد غادر ابن بطوطة بلاده في المغرب مستهلا أولى رحلاته وهو في شرخ شبابه في الثانية والعشرين من عمره . وعاد من رحلته هذه الى مسقط رأسه ، وهو على أبواب الشيخوخة وقد قارب الخمسين من عمره . ومعنى ذلك أنه قضى زهرة شبابه بعيدا عن بيته وبلده . فهل أمضى هذه السنوات عزبا ، متحديا غرائزه البشرية ، بل مخالفا روح الاسلام وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

ومن ناحية أخرى ، فان ابن بطوطة جاب في رحلاته الثلاث بلادا مترامية الأطراف متباينة الخصائص ، وزار شعوبا متعددة متفاوتة العادات والتقاليد ، للمرأة في كل منها وضع خاص يتفاوت بين التكريم والامتهان . فهل عني ابن بطوطة في تسجيل أخبار رحلاته باعطاء المرأة حقها من العناية ، أو أن وضعه الديني حال بينه وبين التعرض بالاشارة الى وضعها الاجتماعي وزينتها وسلوكها ، أسوة بكثير من معاصريه من الكتاب ورجال الدين ؟؟

عن السؤال الأول ، لم يشر ابن بطوطة - من قريب أو بعيد - الى وضعه الاجتماعي عندما غادر طنجة - مسقط رأسه - لأول مرة عام ٧٢٥هـ . هل كان متزوجا عندئذ وترك وراءه في بلاده زوجة أو أكثر ، وربما بعض الأبناء والبنات ؟ كل ما ذكره في مستهل رحلته الاولى أنه حزم أمره « على هجر الأحباب من الاناث والذكور » . فهل اشتملت دائرة أحبابه عندئذ على زوجة - على الاقل - أو أنه لم يقصد بالتعبير سوى الوالدين - اللذين تركهما على قيد الحياة - ومن في حكمهما من الاقرباء وأولى الأرحام والأصدقاء والأحباب ؟ ربما جاء تقديمه الاناث على الذكور تكريما لأمه ، لما للأم من مكانة أسمى في ظل آداب الاسلام وتعاليمه. هذا الى أنه في ختام رحلته، عاد الى بلاده بعد غيبة طويلة ، فلم يشر الى بيت يحن اليه، ولا الى زوجة أو أبناء طال غيابه عنهم ، وانما عاد الى طنجة بعد غيبة ربع قرن ليبحث عن قبر والدته

ويتجه الى زيارته فورا .

على أنه اذا كان ابن بطوطة قد غادر بلاده ـ على ما نرجح ـ عزبا فانه لم يستطع مواصلة حياة العزوبة طويلا . وما كادت تمر بضعة أشهر على مفارقته طنجة حتى عقد بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس ، وبنى بها بطرابلس الغرب . ويتحدث ابن بطوطة عن نفسه ، فيقول انه غادر طرابلس الغرب في شهر المحرم سنة ٧٢٦هـ « ومعي أهلي » ، ويقصد بأهله زوجته . وهذه أول اشارة ترد في رحلته الى زوجة له .

ومهما يكن من أمر ، فان الرابطة الزوجية لم تستمر طويلا بين ابن بطوطة وزوجته التونسية ، اذ وقعت مشاجرة بينه وبين صهره ، « أوجبت فراق بنته » ومع ذلك ، فان هذه التجربة ، في الحياة الزوجية ـ على قصر مداها ـ جعلته يستسيغ هذا اللون من حياة البشر الطبيعية ، ويحن بعد قليل الى وجود شريكة الى جانبه ، يأنس بصحبتها ، وتخفف عنه متاعب الطريق . ويغلب على الظن أن ابن بطوطة حرص منذ ذلك الوقت ، في معظم مراحل رحلته ، على أن يحتفظ في ص حبته بامرأة أو أكثر يعاشرها في صورة يقرها الشرع الشريف ، والتي لاتتعارض وأحكام الدين . على أن الملحوظة التي تسترعي الانتباه والتسجيل هي أن واحدة من هؤلاء الصاحبات لم تكن لها صفة الاستمرار في صحبته . ذلك أنه دأب على مفارقتهن بالمعروف ـ واحدة بعد أخرى ـ اما لخلاف بين الطرفين ، واما لان بعضهن كن لا يستطعن مغادرة بلادهن ومواصلة الرحلة معه الى بلاد أخرى ، بمعنى أن تنقلاته وسفراته لم تساعده على الاستقرار طويلا في صحبة امرأة من زوجاته أو جواريه . وهكذا يبدو أن ابن بطوطة عاد في نهاية رحلته الى بلاده ومسقط رأسه وحيدا ، مثلما غادرها وحيدا . وهو في هذا السلوك لم يخرج كثيرا عن دائرة الاسلوب الشائع الذي اتبعه غيره من التجار ورجال العلم وغيرهم من رواد الرحلة في تلك العصور .

وما كاد ابن بطوطة يفارق زوجته الأولى أثناء الطريق من طرابلس الغرب الى الاسكندرية ، حتى تزوج « بنتا لبعض طلبة فاس » ، من المرافقين له في الرحلة . واحتفل ابن بطوطة بزواجه الثاني هذا احتفالا مرموقا ، فبنى بزوجته المغربية الجديدة عند مكان يعرف باسم قصر الزعافية ـ على الطريق الى الاسكندرية ـ وأقام وليمة كبيرة للركب المرافق له ، ومن أجل ذلك توقفت مسيرة الركب يوما كاملا . والغريب أن ابن بطوطة توقف عن الاشارة الى هذه الزوجة تماما في مذكراته بعد ذلك ، هذا الى ما نلاحظه من أنه تجنب الاشارة الى حياته الخاصة ، لاسيما ما يتعلق بأمور الزواج وعلاقته بالمرأة أو نظرته اليها ـ طوال السنوات التالية ، التي طاف فيها بلاد مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وشرق افريقية وعمان والبحرين ، وغيرها من البلاد العربية . وظل ملتزما الصمت في ذلك حتى دخل بلاد الترك سنة ٧٣٢هـ .

والمعروف أن الترك اشتهروا في تلك العصور بالحسن والجمال ، حتى ان أجمل الجواري والمماليك المجلوبين الى كثير من بلاد الاسلام وبلاط الملوك والحكام كانوا من الترك ، ومن في حكمهم من العناصر القريبة منهم كالجركس والتركمان وغيرهم ، وبانتقال ابن بطوطة الى بلاد الترك دخلت المرأة حياته الخاصة مرة أخرى من باب جديد ، هو باب الجواري ، ولم يكن في هذا مايتعارض وأحكام الدين والشريعة ، تمشيا مع قوله تعالى : « ما ملكت يمينك » و « ماملكت أيمانكم » .

ولتوضيح ذلك نقول ان ابن بطوطة كان موضع تكريم المسلمين وحكامهم في تلك البلاد فأنعموا عليه بكثير من الانعامات ـ كما أسلفنا القول ـ ومن جملتها بعض الجواري ، من ذلك مايرويه من أنه عندما أراد مغادرة بلاد السلطان محمد أوزبك خان ـ حاكم



القفجان شمالي البحر الأسود ـ جهزت لركوبه عربة « مغشاة باللبد ، ومعي بها جارية لي » . ونرجح أن هذه لم تكن الجارية الوحيدة لابن بطوطة في تلك المرحلة ، وانما تجمعت لـه حصيلة من الجواري في رحلته ببلاد الروم والقفجان ، وما يلي هذه البلاد شرقا .

يؤيد ذلك ما يرويه ابن بطوطة بعد قليل من أنه عندما غادر بخارى كانت عنده جارية قد قاربت الولادة ، وكان يريد حملها الى سمرقند لتلد بها ، ولكنها ولدت بالطريق ، وأخبره بعض أصحابه أن المولودة بنت . ويستمر ابن بطوطة في روايته فيقول انه أرادأن يتحقق الخبر « فاستحضرت الجواري فسألتهن فأخبرنني بذلك » . ولعل في هذا مايوضح أنه كانت في صحبته أكثر من جارية . ولايفوتنا أن نشير الى أن ابن بطوطة فرح بهذه المولودة ، وتفاءل بمقدمها ، إذ « كانت هذه البنت مولودة في طالع سعيد ، فرأيت كل مايسرني ويرضيني منذ ولدت » . وكان أسفه شديدا على وفاتها بعد وصوله الى الهند بشهرين ، كما يشير الى وجود « الجارية أم البنت » معه عند وفاتها ، مما يدل على أنه عاش جوا أسريا بين جواريه وابنته في تلك المرحلة .

ومضى ابن بطوطة في حياته الخاصة محاطا بالجواري أثناء اقامته بالهند وهي الاقامة التي طالت نحوا من عامين . من ذلك أن وزير سلطان دهلي أهداه عشر جوار من سبي الكفار ، « فأعطيت الذي جاء بهن واحدة منهن ، فما رضي بذلك . وأخذ أصحابي ثلاثا صغارا منهن ، وباقيهن لا أعرف ما اتفق لهن » .

أربع زوجات في ذيبة المهل :

على أن ابن بطوطة لم يلبث أن تزوج في جزائر ذيبة المهل ـ في جنوب آسيا ـ أثناء طريقه من الهند الى الصين . وقد ذكر ابن بطوطة عن أهل تلك الجزائر انهم كلهم مسلمون ، وأن الزواج عندهم سهل « ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج ، فاذا حان سفره طلق المرأة ، لأنهن لايخرجن من بلادهن . ومن لايتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر ، وترضى منه في مقابل ذلك بأيسر شيء من الاحسان . . . والتزوج في هذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء . وأكثر النساء لايُسمي صداقا ، وانما تقع الشهادة وتعطى صداق مثلها . واذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء ، فاذا أرادوا السفر طلقوهن . . . »

وبالاضافة الى ذلك فيبدو أن هناك عاملين شجعا ابن بطوطة على الزواج في تلك الجزر ، أولهما أنه أقام فيها فترة ليست بقصيرة ، تولى خلالها القضاء ، والآخر ما اتصفت به نساء تلك الجزر من جمال فائق ، وعناية بالزينة ، فضلا عن حسن المعاشرة ، وصف ابن بطوطة هؤلاء النساء بأنهن لايغطين رؤوسهن ، وأنهن يمشطن شعورهن ، وقمصانهن قصار الأكمام ، وحليهن كثيرة تملأ مابين الكوع والمرفق ، عدا الخلاخيل وقلائد الذهب المدلاة على الصدور . . . . ثم اختتم ابن بطوطة تلك الأوصاف بقوله : « ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى ما سواها ، بل تأتيه بالطعام ، وترفعه من بين يديه ، وتغسل يده ، وتأتيه بالماء للوضوء . . . »

ولعل هذه الصفات هي التي أغرت ابن بطوطة بالزواج من أربع نساء في تلك الجزر ، بعضهن من علية القوم وينتمين بصلات القربى الى الحكام .

ثم كان أن اعتزم ابن بطوطة الرحيل عن تلك الجزر ، فأرسل اليه الوزير رسالة نصها « أعط صداقات النساء ، وديون الناس ، وانصرف اذا شئت » . فطلق ابن بطوطة اثنتين من زوجاته الأربع ، وكانت الثالثة حاملا منه ، فجعل لها أجلا تسعة أشهر ان عاد فيها ، والا فأمرها بيدها . أما الزوجة الرابعة فقد أصرت على صحبته والسفر معه ، رغم التقاليد السائدة من عدم خروج المرأة من البلاد في صحبة زوجها الوافد . ولم يستطع ابن بطوطة منعها ، فاصطحبها معه . ولكنها لم تلبث أن مرضت في الطريق ، وأحبت الرجوع فطلقها وتركها . وكانت الأشهر التسعة قد مرت فطلق غيابيا الزوجة التي كان قد تركها حاملا وضرب لها الأجل ، ولايدري سوى الله مصير الجنين الذي كان في أحشائها ، فقد تكون لابن بطوطة ذرية تعيش اليوم في جنوب القارة الآسيوية .

وهكذا تحرر ابن بطوطة من زوجاته الأربع بنفس السرعة التي بنى بها عليهن. وكان أن عاد ابن بطوطة مرة أخرى الى حياة الجواري « وأرسلت الى جارية كنت أحبها، وسرت في تلك الجزائر من اقليم الى اقليم ... » ويلاحظ أن ابن بطوطة استخدم مصطلح « الحب » في ذلك الدور - وهو في الأربعين من عمره - وفي تلك المرحلة من رحلته في جزائر جنوب آسيا ذات الخضرة والماء والجمال وكانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها ابن بطوطة هذا المصطلح في تلك المرحلة وتلك الجزر. ذلك أنه ذكر قبل ذلك بأسطر - خلال حديثه عن زوجاته الأربع - أن احداهن « كانت أحبهن الى » ومجيء هذا المصطلح في مذكرات ابن بطوطة التي أملاها بعد ذلك بنحو عشر سنوات وقد جاوز الخمسين من عمره، دليل على أن عقله الباطن كان يختزن قدرا من الذكريات، وأن قلبه كان يحتوى قدرا من العواطف والأحاسيس نحو النساء اللائي أحبهن.

الزواج ... والحب:

ولابد لنا من وقفة قصيرة هنا لتدبر العوامل الكامنة وراء تلك الاشارات العاطفية التي صدرت عن ابن بطوطة في تلك المرحلة من مذكراته. هل نرجعها الى اكتمال عواطف الرجل وقد بلغ الأربعين من عمره، أم نرجعها الى طبيعة المرأة وجمالها الفائق في تلك المنطقة من العالم، حسبما أشار ابن بطوطة نفسه في مذكراته هذا مع ملاحظة أنه سبق لابن بطوطة الزواج مرتين في مستهل رحلته، مرة من تونسية والاخرى من مغربية، ولكنه لم يستخدم مصطلح الحب مطلقا عندما أشار الى علاقته بكل من هاتين الزوجتين، كذلك دأب على اصطحاب بعض الجواري معه منذ أن دخل بلاد الترك، كما سبق أن أشرنا، وأنجب بنتا من احداهن ولكنه لم يشر صراحة الى أن علاقته بواحدة منهن قامت على اساس حب واقعي. ان ابن بطوطة لم يعرف هذا النوع من الحب الا في جزر جنوب آسيا.

ومهما يكن من أمر، فان ابن بطوطة عند انصرافه من جزائر ذيبة المهل - في طريقه الى بلاد المعبر (جزر الهند الشرقية) - لم تكن في صحبته فقط تلك الجارية التي أحبها، وانما صحبته جارية أخرى. وكان أن اشتدت الريح بهم وهم قبالة البر، وأوشكت السفينة على الغرق، فأراد ابن بطوطة أن ينزل الى المعدية (قارب النجاة)، « وكانت لي جاريتان وصاحبان من أصحابي، فقالا: أتنزل وتتركنا ؟ فآثرتهما على نفسي، وقلت: انزلا أنتما والجارية. فنزل رفيقاي، وأحدهما محمد بن فرحان التوزري والآخر رجل مصري، وجارية معهما، والاخرى تسبح ».

ومن الواضح أن المعدية، - أو قارب النجاة - كانت لاتتسع لاكثر من ثلاثة، وأن الجارية التي أنزلها ابن بطوطة في القارب هي المقربة من قلبه. التي أشار اليها سابقا بأنه يحبها، أما الاخرى فقد تركها تسبح الى الشاطىء

وعند عودة ابن بطوطة من الصين الى الهند، مر بجزيرة سومطرة، فوجد سلطانها الملك الظاهر قد عاد من غزوة وبصحبته سبي كثير، فبعث لابن بطوطة بجاريتين ومنذ ذلك الوقت صمت ابن بطوطة صمتا تاما عن ذكر جواريه، فلم يشر اليهن في مذكراته حتى عودته الى مسقط رأسه. والغالب أنه تخلص منهن بطريقة أو بأخرى - كالبيع أو الاهداء - قبل الشروع في العودة الى وطنه عن طريق مكه، حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة. ونرجح أنه تحاشى اصطحاب الجواري معه عند مروره بأرض عربية، حفاظا على كرامته ومكانته. كذلك يبدو أن ابن بطوطة لم يحاول الزواج ولم يقتن جارية بعد ذلك، وخصوصا في رحلته الثالثة الى غرب افريقية وصحرائها. كل ما في الأمر أنه اشترى « خادم معلمة » من بلدة تكدا في طريق عودته عبر الصحراء الغربية من السودان الى بلاده.

المرأة والمجتمع الاسلامي:

هذا عن مغامرات ابن بطوطة الشخصية في دنيا المرأة. ومنها يتضح - حسبما ذكره - أنه تزوج خلال رحلته الاولى ست مرات، عدا سنوات طويلة قضاها في صحبة الجواري، في حدود ما أحله الله.

على أن هذا لم يكن ما جاء في مذكرات ابن بطوطة عن المرأة، اذ حرص هذا الرحالة على أن يسجل كل طريف عن أحوال الشعوب التي ساح في بلادها،



واضعا عاداتها وتقاليدها . ولا بد أنه تعرض لاحوال المرأة بالوصف في كثير من تلك البلاد .

ويبدو أن وضع ابن بطوطة كفقيه ، زاول القضاء في بعض البلاد الاسلامية التي طاف بأنحائها ، لم يحل بينه وبين النظر الى المرأة في تلك البلاد نظرة الفاحص المدقق المستقصي ، للوقوف على صورتها الحقيقية كاملة ووضعها الاجتماعي بدقة . بل ان عمله قاضيا في بعض البلاد أتاح له فرصة طيبة ، لتردد كثيرات عليه ، للشكوى أو الاحتكام اليه .

أما عن أوضاع المرأة الاجتماعية في بعض البلاد الاسلامية ، فقد ذكر ابن بطوطة عن قبائل البجة ـ أو البجاة ـ في صحراء مصر الشرقية حول عيذاب على شاطىء البحر الأحمر ، أنهم لايورثون البنات . هذا في حين ذكر عن أهل الشام أن من عاداتهم أن البنت يجهزها أبوها ، مما يدل على أن الزوج كان هو الذي يقوم بهذه المهمة في المغرب . وبالنسبة لبلاد اليمن يحكي ابن بطوطة عن نساء زبيد أن « للغريب عندهن مزية ، ولايمتنعن عن تزوجه ـ كما تفعله نساء بلادنا (المغرب) ـ ، فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته ، وان كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له ، الى أن يرجع أبوه . ولاتطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولاكسوة سواها . واذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لايخرجن عن بلدهن أبدا . . . . »

وكان الوضع السائد في الجناح العربي من العالم الاسلامي أن البنت ليس لها رأي في اختيار زوجها ، وانما كانت الكلمة لابيها .

ويختلف الوضع بالنسبة للمسلمين في بعض البلاد غير العربية وخصوصا في جنوب آسيا حيث كانت المرأة « مالكة أمر نفسها » في الزواج ، بمعنى أنه من حقها اختيار شريك حياتها ، ولايستطيع أبوها اجبارها على الزواج من رجل لاترغبه . وقد حكى ابن بطوطة أنه بعد أن اتفق مع الوزير سليمان ـ في جزائر ذيبة المهل قرب الهند ـ على الزواج من ابنته ، وتحدد موعد العقد وحضر الناس . . . ابطأ الوزير في الحضور ، ثم اعتذر أمام الناس بمرض البنت ، وهمس في أذن ابن بطوطة سرا أن ابنته امتنعت « وهي مالكة أمر نفسها » .

ونستخلص من رحلة ابن بطوطة أن المرأة في كثير من البلاد الاسلامية كان لها دور كبير في شتى ألوان النشاط السياسي والاجتماعي والديني والعلمي . وقد ذكر أنه في الفتنة التي وقعت في مكة بين أمير مكة والأمير أيدمر قائد جند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ـ سلطان المماليك في مصر ـ قتلت امرأة كانت هي التي « تحرض اهل مكة على القتال » .

وربما شاركت المرأة في حياة العلم والنسك والزهد والتصوف ، مثل السيدة زاهدة التي صادفها ابن بطوطة خارج الموصل في طريقها الى بغداد . كذلك أشاد ابن بطوطة بالخاتون جيجا أغا ـ امرأة قاضي خوارزم ـ التي شيدت زاوية « فيها الطعام للوارد والصادر . . . وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن . . . » وبلغ من زهدها أنها لا ترتدي الا الحقير من الثياب .

وعند الاتراك والتتر ، كانت للنساء مكانة كبيرة وكلمة مسموعة . ولقبت سيدات المجتمع المحترمات ـ كالأميرات وزوجات الحكام ونحوهن ـ بلقب الخاتون . « وكل خاتون لها من البلاد والولايات والمجابي العظيمة » . ويروي ابن بطوطة أن سلطان مغول العراق وفارس ـ أبا سعيد ـ صار تحت سيطرة أمير الأمراء ـ الجوبان ـ الذي حجر على تصرفات السلطان ، وضيق عليه النفقة ، ولم يترك له من الملك الا الاسم فدخلت عليه زوجة أبيه ـ دنيا خاتون ـ وقالت له : « لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ماهما عليه ! . » ومازالت تحرضه حتى انتهى الأمر بقتل الجوبان .

كذلك كان الحال عند مغول القفجان ـ شمالي البحر الاسود ـ وهم مسلمون ، اذ يقول ابن

بطوطة « ورأيت بهذه البلاد من تعظيم النساء عندهم ، وهن أعلى شأنا من الرجال » . وقد أفاض ابن بطوطة في وصف أحوال خواتين محمد أوزبك خان ـ سلطان مغول القفجان ، وهن أربع لكل منزلتها ومكانتها . ولم يقتصر الامر في تلك البلاد على تكريم نساء الحكام والامراء ، وانما شمل الاحترام « نساء الباعة والسوقة ، فرأيتهن واحداهن تكون في العربة والخيل تجرها ، وبين يديها الثلاث والاربع من الجواري يرفعن أذيالها ، وعلى رأسها البغطاق مرصع بالجواهر ، وفي أعلاه ريش الطواويس . . . وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه خادمها ، ولايكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم ، وعلى رأسه قلنسوة تناسب ذلك . »

المرأة في الحكم :

أما في جنوب آسيا فقد حققت المرأة في بعض الجزر والبلاد مكانة أوصلتها الى مرتبة الحكم . فبعض الجزر « وكلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح » كانت تحكمهم امرأة ، هي السلطانة خديجة بنت السطان جلال الدين عمر . ومع ذلك فقد كان للرجل مكانته وقوامته في الأسرة والمجتمع ، ذكر ابن بطوطة من عاداتهم « أنهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته ، وتزيل الشحوب عن وجهه . . ومن عاداتهم أنه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها الى باب البيت ، وجُعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت ، وشماله . وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره ، فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه . . »

وارتبطت مكانة المرأة في المجتمعات الاسلامية التي حكى عنها ابن بطوطة بالعناية بتثقيفها ثقافة دينية راقية ، وقد وصف هذا الرحالة نساء دولة أباد بالهند ، بأنهن جميعا يحفظن القرآن الكريم ، وذكر أنه رأى في مدينة هنور ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات ، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد .

ومع ذلك ، فان تقيد المرأة بآداب الاسلام لم يكن بدرجة واحدة في جميع البلاد التي طاف بها ابن بطوطة ففي البلاد العربية عموما ، لم يتعرض هذا الرحالة بشيء من النقد لاوضاع المرأة ، نظرا لأن الاسلام بروحه وقيمة كان أكثر رسوخا في تلك البلاد ، أما البلاد الاسلامية غير العربية ، فقد تمتعت المرأة فيها بقدر من الحرية تتراوحت نسبته بين الاباحية والسفور ، من ذلك أنه وصف بعض بلاد الروم ـ آسيا الصغرى ـ بأن فيها سبعة مساجد لاقامة الجمعة ، ومع ذلك فهم « لايغيرون المنكر . . وهم يشترون الجواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد ، وكل واحدة عليها وظيف لمالكها تؤديه اليه . وسمعت هنالك أن الجواري يدخلن الحمام مع الرجال ، فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منكر عليه . وذكر لي أن القاضي بها له جوار على هذه الصورة . . . » أما جزائر ذيبة المهل ـ قرب الهند « ففي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة . . ونساؤهم لايغطين رؤوسهن ، ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة . ولايلبس أكثرهن الافوطة واحدة ، تسترهن من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة . وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها . » وقد ولي ابن بطوطة القضاء في تلك البلاد ، وذكر أنه بذل جهده « لأقطع تلك العادة وآمرهن باللباس ، فلم استطع ذلك . فكانت لاتدخل اليَّ منهن امرأة في خصومة الا مستترة الجسد ، وماعدا ذلك لم تكن لي عليها قدرة . »

ومن عادات السوء التي تأصلت في تلك البلاد ، والتي عمل ابن بطوطة على استئصالها عندما ولي القضاء فيها ، بقاء المطلقات في ديار المطلقين .



فكانت المرأة تظل مقيمة في دار مطلقها حتى تتزوج غيره . وقد قاوم القاضي ابن بطوطة هذه العادة بحزم « وأتى اليّ بنحو خمسة وعشرين رجلا ممن فعلوا ذلك ، فضربتهم وشهرتهم بالأسواق ، وأخرجت النساء عنهم . . . »

أما بلاد السودان الغربي التي زارها ابن بطوطة في رحلته الثالثة ، فقد ذكر عن بعض المدن الاسلامية فيها ـ مثل مدينة أيوالاتن ـ أن نساءها « أعظم شأنا من الرجال » وعلى الرغم من أنه استحسن من أفعال أهالي تلك البلاد،مواظبتهم على الصلوات« وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . . . وعنايتهم بحفظ القرآن العظيم . . . » الا أنه أخذ عليهم « أن الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عريا ، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة . . . »

كذلك عاب ابن بطوطة على الرجال في تلك البلاد ألا ينسب أحدهم لابيه بل ينتسب لخاله ، ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه ، مما يشير الى أن مكانة المرأة والأم فاقت مكانة الرجل والأب . ويشبه هذا ماذكره ابن بطوطة عن بعض المجتمعات الاسلامية في جنوب شرق القارة الاسيوية (بلاد المليبار) من أن « سلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم » .

المرأة والمجتمعات الأخرى :

أما عن المرأة في المجتمات غير الاسلامية التي زارها ابن بطوطة ، فلعل أهم ما جاء عنها في مذكراته يتعلق بالعادة التي فشت بين نساء كفار الهنود من أن المرأة تحرق نفسها مع زوجها اذا توفي . حتى أولئك الذين كانوا يعيشون في كنف سلطان المسلمين ، كانت الواحدة تستأذن السلطان ليسمح لها باحراق نفسها مع زوجها المتوفى ، فاذا أذن لها خرجت « متزينة راكبة ، والناس يتبعونها ـ من مسلم وكافر ـ والأطبال والأبواق بين يديها ، ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود . . فيحرقونها . . واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب . لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء . ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ، لكنها لاتكره على احراق نفسها . . . »

وفيما عدا ذلك فان المرأة في البلاد غير الاسلامية التي مر بها ابن بطوطة ، حققت لنفسها مكانة كبيرة في المجتمع . من ذلك ماذكره من أنه بعد أن ترك جاوة في طريقه الى بلاد الصين ، وصل الى بلاد طوالسي « وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين ، وأهلها عبدة أوثان . . » فوجد امرأة تحكمهم «لها في عسكرها نسوة وخوادم وجوار يقاتلن كالرجال . وتخرج (الملكة) في العساكر من رجال ونساء ، فتغير على عدوها ، وتشاهد القتال ، وتبارز الابطال . . وكان أبناء الملوك يخطبونها ، فتقول : لاأتزوج الا من يبارز فيغلبني . فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم . . . »

وأخير ، فان ابن بطوطة ـ وهو الرجل الذي اتصف من واقع مذكراته بسلامة الحس وحسن الذوق ورقة المشاعر كانت له نظرته الفاحصة في المرأة ، وهي نظرة كثيرا ماتتصف بقرب الرؤ يا وصدق الحاسة وصفاء العاطفة من ذلك أنه أشاد بجمال النساء في كثير من البلاد التي تردد بين جوانبها ، بل لقد حدد مواضع الجمال والفتنة فيهن فأشار الى الوجه وزينته والجسد وقوامه ، وربما وصف بعض أعضاء الجسد وصف الخبير المعجب ، من ذلك أشار الى نساء مدينة زبيد باليمن بأن لهن « الحسن الفائق الفائت » . ووصف نساء دولة آباد بالهند » بالحسن وخصوصا في الأنوف والحواجب » . وقال عن نساء هنور ـ بالهند أيضا ـ « ولهن جمال وعفاف ، وتجعل احداهن خرص الذهب في أنفها » . وتعرض بالوصف لنساء بعض قبائل المغرب ، فقال انهن « أتم النساء جمالا ، وأبدعهن صورا ، مع البياض الناصع . ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن . . . »

وهكذا نستطيع أن نخرج من بين ثنايا مذكرات ابن بطوطة بمعلومات طريفة مهمة عن المرأة في عصره في البلاد التي طاف بها ، ولعلنا غير مبالغين اذا قلنا أن هذه المعلومات تشكل في مجموعها رحلة رابعة لابن بطوطة في عالم رحب مثير ، أكبر بكثير من العالم الجغرافي الذي ساح ذلك الرحالة بين جنباته ، هو عالم المرأة . . □



حكايات شرق وغرب

رحلة امرأة تبحث عن الملايين

● كان جون رادسيك عامل البناء بمدينة شيكاجو الأمريكية يعلم ما ينتظره في نهاية كل اسبوع عندما يعود الى البيت ويسلم زوجته نانسي المظروف المغلق الذي يحوى أجره عن أيام العمل المرهق ، فقد كان يجد في انتظاره دائما سيلا من الشكاوى التي لا تنتهي . . : « هل هذا هو كل ما استطعت أن تكسبه . . انه لا يكفي نفقات شخص واحد ، فما بالك باثنين » .

ولم تكن الزوجة ترزق بأطفال ، وكان في وسعها ان تلتحق بوظيفة تستطيع أن تكسب من ورائها مبلغا . . أي مبلغ تساعد به زوجها على مواجهة أعباء الحياة ، ولكنها كانت ترفض باستمرار ، القيام بأي عمل خارج البيت ، وحتى واجباتها في البيت كزوجة ، كانت تعزف عن القيام بها ، لأنها تريد أن تعيش حياة ناعمة مثل جاراتها الثريات .

وانتوت نانسي امرا . . لا بد أن تفعل شيئا ولا بد ان تغير حياتها ، وطلبت الطلاق من زوجها . وطلقها ، وقال لها وهو يجمع ملابسه ويترك البيت مودعا : « لن أنسى الأيام التي قضيتها معك . . انها لم تخل من الذكريات الحلوة رغم كل شيء » .

اما هي فقد نسيت كل شيء ، وأسرعت تتزوج رجلا ميسور الحال يكسب أضعاف ما كان يكسبه جون زوجها الأول . ومرت الأيام ، ثم كانت المفاجأة . . كانت نانسي تقرأ صحف الصباح عندما وقعت عيناها على خبر يقول : ان (جون راديسك) قد فاز بالجائزة الأولى وقيمتها مليون دولار أمريكي في أوراق اليانصيب التي تعود أن يشتريها بين الحين والحين .

وجنت نانسي : (هل يمكن أن يصبح زوجها الفقير مليونيرا . . هكذا بين يوم وليلة ! ؟) .

واسرعت ترفع دعوة مستعجلة تطالب فيها بنصف هذه الثروة ، وقالت في دعواها : « ان زوجي السابق قد دفع ثمن هذه الورقة الرابحة من الأموال التي كنت ادخرها من نفقات البيت ! » .

ولكن القاضي هوارد جونز بدا غير مقتنع بما تدعيه نانسي ، وصدر الحكم في النهاية ، وكان من بين حيثياته : « لقد ذكرت يا سيدتي في دعواك لطلب الطلاق ان مرتب زَوجك لم يكف ضرورات الحياة فكيف كنت تقتصدين ؟ واذا كنت قد اقتصدت شيئا فلماذا تركته له عندما تم الطلاق ؟ »

« ان المليون دولار التي ربحها جون رادسيك هي من حقه وحده ، ولا يجوز لك أن تشاركيه في دولار واحد ، لا تنسى انك رفضت العيش معه في فقره . . »

نانسي طلبت الطلاق من زوجها الثاني وهي تبحث الآن عن الزوج رقم (٣) بشرط أن تطمئن على رصيده في البنوك !!



• عبد الناصر . تيتو . نهرو .

حـركة عـدم الانحياز

في عيـد ميـلادهـا الثلاثين

منذ ثلاثين عاما ، وفي أعقاب الحرب الثانية العالمية ، عندما كان عصرالثورات والتحرير من الاستعمـار مـا زال في بـدايتـه ، استضـافت « باندونج » تلك المدينة الجبلية الصغيرة الواقعة في جزيرة جاوا ، احدى جزر الجمهورية الاندونيسية ، مؤتمرا نجح في انتزاع اهتمام العالم كله

فقد اجتمع في هذه المدينة زعماء ٢٩ دولة آسيوية وافريقية . . وكان الهدف من لقائهم في هذه المدينة التي كـان لـهـا تـاريـخ في كفـاح أنـدونيسيـا مـن أجـل الاسـتـقـلال ، هـو وضـع فلسـفـة وخـطة عمـل للدول النـامية التي تسعى الى تجنب الانحياز في الحرب الباردة بين واشنطون وموسكو .

وفي الرابع والعشـرين من شهر ابـريل من عـام ١٩٥٥ ، صدر البيان الرسمي الختامي الذي أصبح فيها بعد أساسا لحـركة عـدم الانحياز . . وفي نفس اليوم من شهر ابريل الماضي ، كانت باندونج تحتفل بمرور ثلاثين عاما على مولد حركة عـدم الانحياز ، وجـاءت الوفـود من ثمانـين دولة آسيـوية وافـريقية لتشارك في هذا الاحتفال .

لقـد اتسـع مفهـوم الفلسفـة الجـديـدة لعــدم الانحياز ، وأصبحت اليوم تضم العديد من الدول المحبة للسلام . . كانوا في المؤتمر الأول ـ منذ ثلاثين عـامـا ـ زعـماء يمثلون ٢٩ دولة يضمـون سـوكـارنـو (أندونيسيا) وجمال عبد الناصر (مصر) وجواهر لال نهرو (الهنــد) وشــواين لاي (الصــين) وأونــو (بورما) . . وقد غاب هؤلاء جميعا عندمـا اجتمع المندوبون الثمانون ليحتفلوا بذكرى المؤتمر ، وذكرى حركة عدم الانحياز التي شهد العالم مولدها بعد مرور ست سنوات على لقاء باندونج ، وكان آخر الرجال الذين رحلوا بعد ناصر ونهرو وسوكارنو هو جوزيف بروز تيتو،الذي أصبح بعـد سنوات قليلة من مـولد حركة الانحياز أحد روادها والداعين لها والمـدافعين عنها ، عندما انعقد المؤتمر الثاني في بلغراد .

وبالرغم من غياب أبطال حركة عدم الانحياز في عيد ميلادها الثلاثين ، الا أن مندوبي الدول الثمانين المجتمعين كانوا يتحدثـون من خلال المبـادىء التي وضـعهـا « آبـاء الحـركـة » التي أنهت عـصـر الأسمزS،ISM ، وهي الأحرف الثلاثة الأخيرة في كلمتي الاستعمـار ، والامبريالية COLONIALISM&IMPERIALISM

وعندما افتتح سـوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا المؤتمر محذرا الغرب من الكوارث التي تهـدد الدول الصناعية ، نتيجة لاستمرار حالة التخلف التي تعاني منها دول العالم الثالث ، مطالبا بسد الفجوة الواسعة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النـامية عن طريق وضع نظام اقتصادي دولي جديد . . وعندما استمع المندوبون لهذا التحذير ، تضاعـف تصميمهم على حتمية العمل من أجل التضامن والوقوف صفا

واحدا لوضع حد لاغلال الفقر ، وعدم الاستقرار السياسي التي تعاني منها الشعوب في تلك الدول ، وتستغلها القوى الخارجية لمصلحتها . . الصيحة الأن في دول العالم الثالث بعد هذه الأعوام الثلاثين ، هي « الاتحاد من أجل مستقبل أفضل . »

أقوى من الموت !

● أقسمت « الساكو » الفتاة الايطالية الجميلة أنها لن تتزوج قبل أن تتلقى من خطيبها الرسالة التي وعدها بها . . ومضى على هذا القسم أكثر من أربعين عاما . . ففي شهر نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، اعتقلت قوات النازي الشاب الايطالي الصغير « دومنيكو » الذي لم يكن قد تجاوز وقتها العام الحادي والعشرين من عمره ، وعندما وصلت السيارة المغلقة التي كانت تقله هو ومجموعة من المقاتلين الى نهاية رحلتها الطويلة ، وجد نفسه يعيش في أحد معسكرات الاعتقال النازية .

وبقيت الفتاة التي أحبها فأعطته قلبها ، تعيش على الذكريات . . لقد عرفت بما حدث لخطيبها ، ولكنها رفضت أن تصدق أنه لن يعود اليها . . لقد قضت كل سني طفولتها بجانبه . . كانا يخرجان معا ويلعبان معا ، فلم يكن الرصاص والقتل جزءا من العالم الصغير الذي يحيط بهما ، ثم استيقظا يوما فوجدا نيران الحرب تقترب منهما وتدمر كل شيء جميل كانا يحلمان به .

وكانت يومها في ربيع العمر ، لم تكن قد أكملت بعد عامها التاسع عشر . . ومضت السنون « والساكو » تنتظر . . لقد كانت آخر كلماته لها وهو يودعها : « سوف أعود اليك ، واذا لم أعد فسوف أبعث اليك برسالة تحمل لك حبي الذي لن يموت أبدا » .

وفي شهر مارس من هذا العام وصلت الرسالة أخيرا التي ظلت الفتاة تنتظرها منذ أكثر من واحد وأربعين عاما . لقد كتبها دومينكو قبل أن يلقي حتفه برصاص النازي بعد اعتقاله بشهور قليلة ، مات خطيبها وحبيبها . . ولكن قلبها ظل يخفق بحبه وهي تحتفل بعيد ميلادها الستين .

لماذا تأخر وصول الرسالة التي قضت عمرها كله تنتظر وصولها ، لماذا لم تصلها مباشرة بعد أن جلس يكتب كلماتها بدمه ودموعه ؟ لقد تاهت رسالة دومنيكو بين مدن ايطاليا ودروبها . . الى أن عثروا على صاحبتها أخيرا فسلموها اليها . . . وفضت « الساكو » العجوز الرسالة في لهفة وهي لاتصدق عينيها وراحت تقرأ : « حبيبتي السا . انتظريني يا أعز انسانة الى قلبي . . سأعود اليك ، لانني أعلم أن حبنا أقوى من كل شيء »

قالت والدموع تغرق عينيها : (كنت أعرف أنه يحبني ، لأنني لم أعرف الحب الا معه ، ان السنين الطويلة التي قضيتها في انتظار عودته لم تذهب هباء . . يكفي أننى تلقيت بعدها هذه الرسالة التي سأحملها دائما في قلبي الى آخر لحظة في رحلة الحياة » .

عام ١٩٨٤ شهد محنة الصحافة !

● شهد العام الذى انقضى زيادة محسوسة فى عدد الصحفيين الذين فصلوا من مناصبهم ومنعوا من ممارسة مهنتهم وحكم عليهم بالسجن او تم اغتيالهم ، ليس هذا فحسب بل لقد اثبتت الاحصائيات ان هناك زيادة ايضا فى عدد الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة التى ارغمت على اغلاق ابوابها .

تصدرت هذه الكلمات مكانا بارزا من مجلة (وورلد بريس فريدوم ريفيو) التى تصدر سنويا عن المعهد الدولى للصحافة ، ومقره فى لندن ، وهو يمثل أكثر من ألفى صحفى ينتمون لسبع وستين دولة .

وقد وصل المعهد الى هذه النتيجة بعد تحقيقات

واسعة فى مجموعة من الاجراءات المخيفة التى اتخذت ضد الصحف والصحفيين شارحا الصورة التى تؤكد التدخل المتزايد من جانب الحكومات فى حرية الصحافة ، وقد جاء فى البحث الذى قدمه المعهد فى كل بلد على حدة ان الصحافة فى محنة وان هذه المحنة تزداد سوءا فى أكثر من ثلاث واربعين دولة . كما دلت البحوث أيضا على ان الصورة غير واضحة فى ثمان دول ، ولكنها تحسنت فى عشر دول منذ عام ١٩٨٣ .

وقال تقرير المعهد:ان العمل كصحفى فى الدول التى تعانى صحفها من القمع يمكن ان يتعرض فيها أصحاب الاقلام الى خطر شديد ومستمر ، ثم اشار التقرير الى أحد الصحفيين الكبار الذين يعملون بمدينة لاجوس عاصمة نيجريا ، وكيف أنه ما زال سجينا وراء القضبان منذ ٣١ ديسمبر من عام ١٩٨٣ دون محاكمة ، ودون أية تهمة محددة ، رغم أن لجنة خاصة شكلتها الحكومة للتحقيق معه قد اثبتت براءته من أية جريمة يعاقب عليها القانون .

ثم ينتقل التقرير الى ايران فيشير الى ان أكثر من مائة صحفى وكاتب ما زالوا مسجونين رغم أن أحدا منهم لم يقدم الى المحاكمة ولم توجه اليه تهمة محددة .

وفى المكسيك اغتيل صحفيان عام ١٩٨٤،وفى تانزانيا تعرضت مجموعة من الصحفيين والمصورين للضرب من جانب رجال الشرطة اثناء قيامهم بواجبهم فى تغطية الاحداث . وفى اوروجواى قامت الحكومة بمصادرة ثمانٍ وعشرين صحيفة ومجلة .

ويقول رئيس مجلس ادارة المعهد ان النتائج التى توصل اليها التقرير مخيبة للآمال ، وأن الموقف لا يتحسن وانما يزداد سوءا .

وقد ذكر التقرير الدول التى تحسنت فيها ظروف حرية الصحافة وهى : الأرجنتين والبرازيل والصين ومصر واليونان والهند والكويت وكوريا الجنوبية ونيوزيلنده وهونج كونج .

دعوة الى عرس !

● امضت ديانا بالديسى الفتاة الايطالية الحسناء ذات الأربعة والعشرين ربيعا جانبا كبيرا من النهار ، تتزين وتتجمل وتتطلع الى مرآتها الصغيرة ، استعدادا للحفل الذى دعيت اليه فى مساء ذلك اليوم .

كانت تبدو جميلة فى فستانها الجديد وحذائها الجديد وتسريحة شعرها التى دفعت فيها نصف مرتبها لأحد صالونات التجميل فى مدينة ميلانو . . ولكنها عندما نزلت الى الشارع تبحث عن سيارة تاكسى تقلها الى الحفل اصيبت بخيبة أمل ، فقد طالت وقفتها وهى تنتظر مرور سيارة شاغرة ، حتى بدا لها أن كل سيارات الأجرة قد شغلت بنقل المدعوين الى الحفل الكبير .

ثم حدثت المفاجأة عندما شاهدت سيارة خاصة تتوقف امامها وينزل منها رجل فى الثلاثين من عمره ، وكان يمسك بخنجر فى يده ، قال وهو يشهر سلاحه فى وجهها : (اصعدى الى السيارة بسرعة والا اغمدت خنجرى فى صدرك) .

وصعدت ديانا الى السيارة وقد استبد بها الهلع ، ثم ما لبث أن انطلق الرجل الغريب بأقصى سرعة الى مكان مخصص لوقوف السيارات . وهناك عاد الرجل يزمجر : « اخلعى ملابسك كلها ، وانزلى الى الشارع » .

وامتثلت لأوامره عندما رأت نصل الخنجر يقترب من عنقها ، لقد اقتربت الساعة وادركت انها هالكة لا محالة . ولكن ما حدث بعد ذلك ظل حديث الصحف لاسابيع طويلة وسط الحملة المحمومة التى قام بها رجال الشرطة بحثا عن الرجل صاحب السيارة التى فات ديانا أن تلتقط رقمها من فرط الذعر الذى أصابها . .

فقد انتهت مأساة الفتاة عند خروجها من السيارة مع الكلمات الغريبة التى ما زالت تدوى فى أذنيها : « لن أمسك بسوء . . تستطيعين الآن أن تعودى الى بيتك . . كل ما فى الأمر اننى دعوت خطيبتى الى الذهاب معى الى حفل زواج صديقتها الليلة فى المدينة ، وليس عندها فستان جميل تضع فيه جسمها الذى يطابق تماما مقاييس قوامك الرشيق » .

تلوث المياه.. واكتشافات جديدة!



بقلم : محمد عزو صفر *

منذ مطلع السبعينيات والعالم المتقدم يعيش ثورة بيئية جارفة .. تستهدف أولا الاحاطة بظاهرة التلوث ، وحصر عناصرها وفهم أسبابها ومسح نطاقها .. وتهدف الثورة البيئية الى ما هو أهم من ذلك .. الى مكافحة التلوث والقضاء عليه .. فما هو السبيل الى هذه المكافحة ؟

تبين للعلماء والمختصين أن للتلوث ضروبا رئيسية ثلاثة : تلوث الهواء ، وتلوث اليابسة ، وتلوث الماء .. وتبين لهم أيضا أن هذا التلوث الاخير يشمل تلوث البحار والمحيطات من جهة ، وتلوث الماء العذب والانهار والبحيرات من جهة ثانية .. ولما كان الماء العذب لاغنى عن شربه للانسان كان تلوثه أشد خطرا وأبعد أثرا من تلوث البحار والمحيطات ، وكانت الحاجة الى القضاء على تلوثه أكثر الحاحا ..

هذا ما أجمع عليه العلماء والمختصون طوال السنوات الماضية .. ولكن ثمة اكتشافات جديدة ضاعفت اهتمامهم بتلوث الماء العذب وبمكافحته .. فقد اكتشف العلماء الامريكيون أن المياه الجوفية ليست فى مأمن من التلوث كما اعتقدوا حتى الامس

---

*رئيس التدقيق والاحصاءات المناخية بادارة الارصاد الجوية الكويتية وله عدة ابحاث ومؤلفات فى حقل الارصاد البيئية .

القريب . . هم وزملاء لهم فى شتى أرجاء العالم . . واكتشفوا انها مرتع لمستعمرات ميكروبية كبيرة قد تلتهم بعض الملوثات ولكنها تعجز عن التهام بعضها الآخر . .

اما الاكتشاف الثانى الخطير فهو أن انابيب الرصاص المستعملة فى التمديدات الصحية فى المنازل هى مصدر تلوث لماء الشرب العذب الذى يمر فيها ، ودلت التجارب والفحوص على أن هذا الماء الملوث يعود بالاضرار الكبيرة على الناس جميعا . . وعلى الصغار منهم والاطفال بصفة خاصة . .

ويبقى مصدر التلويث الرئيسى للماء فى عالمنا العربى كله فضلات الانسان واقذار البواليع . . فالكثيرون مازالوا يلقون بها فى مياه الانهار والبحيرات . . فضلا عن البحار . ولعلهم يشعرون باليقين أن تصرفهم هذا هو الاجراء المثالى الذى تطلبه حماية البيئة . .

الغلاف المائى :

تغطى المياه حوالى ٧١٪ من مساحة الكرة الارضية ، ويقدر الحجم الاجمالى لهذه المياه بحوالى ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب ، وبالطبع فان هذه الكميات الهائلة ليست فى متناول بنى البشر لأن معظمها (٩٧,٢٪) مياه مالحة موجودة فى المحيطات والبحار ، أما الباقى فهو عبارة عن مياه حلوة : (٢,١٤٪) أى ٢٩ مليون كيلومتر مكعب على شكل كتل جليدية ، وهذه يتعذر الاستفادة منها ، لذا لا يتبقى فى متناول أيدينا من المياه سوى (٠,٦٦٪) أى ٩ ملايين كيلومتر مكعب من المياه الحلوة (أى ما يعادل ٢×١٠^١٢ جالون أمريكى) ، وهذه عبارة عن مياه الآبار والبحيرات والانهار .

وتتبخر المياه بفعل الطاقة الشمسية من المسطحات المائية ، كالبحار والمحيطات والبحيرات ، كما تتبخر من التربة والنباتات حيث تتكاثف وتعود ثانية الى الكرة الارضية على شكل أمطار وثلوج ، يسقط بعضها فوق المحيطات والبحار (حوالى ٧٥٪) والباقى وهو الذى يعادل حوالى ١٠٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب فانه يسقط فوق اليابسة ، ومع أن هذه الامطار لا يستفاد منها كلها ، اذ أن جزءا كبيرا منها يضيع فى الجريان السطحى ويعود ثانية الى البحار والمحيطات ، كما يضيع منها فى التبخر ، الا أن ما يتبقى منها يعد المصدر الرئيسى للموارد المائية على سطح هذا الكوكب .

أسباب ومصادر التلوث المائى :

تحتوى المياه الموجودة فى الطبيعة على عدد من المواد الكيماوية (عضوية ومعدنية) مذابة أو معلقة ، وبعض هذه المواد يضاف الى المياه بفعل العمليات الطبيعية والبعض الآخر بفعل الأنشطة البشرية .

إن بعض المواد الكيماوية الموجودة فى المياه مفيدة للانسان ، اذا لم تكن درجة تركيزها عالية . وكما هو الحال فى التلوث الجوى فان ملوثات الماء تعنى تلك المواد التى تؤدى الى الاخلال باتزان البيئة ، وبالتالى تضر بالانسان وبالكائنات البحرية ، ونستطيع القول بأن معظم الملوثات الموجودة فى الانهار والبحيرات والبحار تأتى من الأنشطة البشرية .

ولربما يكون أقدم أشكال تلوث المياه هى مياه المجارى التى كان يقذف بها الانسان الى الانهار والبحيرات والبحار منذ أن بدأ هذا الانسان يعيش فى المدن . ومع نمو الصناعة ، أخذ يرمى بالفضلات الكيماوية بنفس الطريقة . وعندما أخذ الانسان فى استخدام المبيدات الحشرية والاسمدة الكيماوية وجدت هذه المركبات طريقها نحو المسطحات المائية . وحتى الملوثات الهوائية كأكاسيد الكبريت والنيتروجين تترسب بفعل الامطار ، وهذا ما يعرف بالمطر الحمضى ، وهذه أيضا قد تأخذ طريقها نحو البحار .

وهكذا أصبح الكثير من البحار والانهار والبحيرات فى العالم مستودعا لاستقبال مياه المجارى ، بالاضافة الى ما تستقبله من المخلفات الصناعية التى تلقى بها آلاف المصانع ، اذ تستهلك المنشآت الصناعية فى الولايات المتحدة الاميركية ـ على سبيل المثال ـ حوالى نصف كمية المياه التى تستهلك فى البلاد .

ولقد كان من نتائج التوسع فى استعمال النفط تلويث البيئة البحرية ، حيث أخذت البحار والمحيطات تتعرض للتلوث بالمنتجات البترولية ،

التى تلقى فى هذه المسطحات المائية ، مع مياه موازنة ناقلات النفط . ولا يقتصر الأمر على تلوث البحار والمحيطات بمياه توازن هذه الناقلات وما تحتوى عليه من نفط ، بل كثيرا ما تتعرض هذه المسطحات المائية الى التلوث بالمواد البترولية ، بسبب حوادث تصادم ناقلات النفط أو انفجار آبار النفط . ولا يزال ماثلا فى الأذهان ما تعرض له الخليج العربى خلال عام ١٩٨٣ من تلوث نفطى خطير بسبب انفجار حقل نوروز الايرانى *

والخليج العربى ـ كما هو معروف ـ أشبه ما يكون ببحيرة مغلقة مساحته حوالى ٧٥٠٠٠ ميل مربع ، فعرضه عند مدخله ـ مضيق هرمز ـ حوالى ٢٠ ميلا وطوله حوالى ٥٠٠ ميل . لذا فان أى تسرب للنفط من الآبار أو انسكابه لدى تحطم احدى الناقلات ، قد يؤدى الى تدهور خطير فى بيئة الخليج البحرية ، وبالتالى يهدد الثروة الحيوانية والنباتية ، بالاضافة الى الاضرار التى تلحق بالانسان . كما تكمن خطورة التلوث النفطى لمياه الخليج فى أن معظم دول الخليج باستثناء العراق وايران تعتمد على تحلية مياه الخليج كمصدر رئيسى لمواردها المائية ، كما أن المصانع المقامة على سواحل الخليج العربى تعتمد فى تبريدها على مياه هذا الخليج ، لذا فان أى تلويث لهذه المياه بالنفط سيؤثر بلا شك على كفاءة محطات التقطير وكفاءة تشغيل المصانع .

تلوث البحار :

وكان الخليج العربى قد تعرض فى أوائل أكتوبر من عام ١٩٨٠ الى تلوث نفطى كبير عندما انفجر أحد الحقول النفطية البحرية الذى يبعد حوالى ١٠٠ كيلو متر عن السواحل السعودية . وقد قدرت كميات النفط التى تدفقت وقتها بحوالى ٨٠ ألف برميل ، وانتشر هذا النفط على شكل بقعة من الزيت طولها حوالى ٩٥ كيلومترا ، وقد تم اغلاق الآبار المعطوبة بعد أسبوع .

وفى أواخر يناير ١٩٨٣ بدأ انتشار النفط فى شمال الخليج العربى ، عندما هبت عاصفة أدت الى تحطيم منصة أحد آبار حقل نوروز الايرانى ، وكانت احدى ناقلات النفط قد أصطدمت منذ عامين بالرصيف البحرى لحقل نوروز ، وقد تسبب هذا الحادث بتسرب حوالى ٢٠٠٠ برميل يوميا .

وفى الأول من مارس ١٩٨٣ تعرض هذا الحقل لعمليات عسكرية بسبب الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وقد نتج عنه تدمير بئرين آخريين ، مما أدى الى تسرب ٥٠٠٠ برميل يوميا ، أي أن مجموع النفط المتدفق من آبار حقل نوروز أصبح فى حدود ٧٠٠٠ برميل يوميا ، وقد بلغت كمية النفط المتدفق حوالى نصف مليون برميل حتى نهاية شهر مايو .

ولقد سارعت على الفور المنظمة الاقليمية لحماية البيئة البحرية الى اجتماع طارىء عقد فى الكويت فى الاسبوع الاول من ابريل ١٩٨٣ ، كما تمت متابعة هذا الحدث بجميع الوسائل المتاحة لدى الدول الاعضاء فى المنظمة حيث وضعت جميع الاجهزة العلمية والفنية فى حالة طوارىء ، كما أخذت الدوريات البحرية والجوية تقوم بمراقبة وتتبع حركة بقعة الزيت ، كما تم وضع حواجز عائمة لحماية محطات التقطير ، وفى الوقت نفسه كانت هناك سفن على أهبة الاستعداد مزودة بالاجهزة لشفط النفط السائل فى حالة اقترابه من الشاطىء .

ولقد أمكن اغلاق البئر الرئيسية فى سبتمبر ١٩٨٣ من قبل ايران ، بينما ظلت الآبار الاخرى المحترقة تسرب كميات قليلة .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الكرات القطرانية قد وصلت شواطىء بعض دول الخليج ، غير أنه لم يكن بالامكان التعرف على مصدر هذه الكرات القطرانية ، وعما اذا كان مصدرها بئر نوروز ، أو أنها كانت من بقايا ما تلقيه ناقلات النفط مع مياه الموازنة .

وفى الكويت كما هو الحال فى بقية دول الخليج تعتبر المواد البترولية المصدر الرئيسى للمخلفات الصناعية التى تلقى فى مياه الخليج العربى . وهذه ترتبط بشكل رئيسى بعمليات تصدير النفط بالاضافة الى ما تطرحه

---

* يقع حقل نوروز فى الجزء الشمالى من الخليج العربى ، على بعد ٧٥ ميلا بحريا تقريبا عن السواحل الايرانية وعلى خط ٢٥َ ٤٩° شرقا ، وخط عرض ٣٣َ ٢٩° شمالا .

محطات خدمة السيارات ، وتغيير الزيوت . ويقدر المجموع الكلي لهذه المواد فى السنة (١٢٢٤٧٢ طنا) ، تليها المواد العضوية (٩٠٤٥ طنا) والتى هى من أهم مصادرهاالمسلخ المركزي وتجهيز الدواجن ، ومركبات النيتروجين (٧٩٩٩ طنا) وأهم مصادر التلوث بهذه المركبات هى وحدة انتاج اليوريا التابعة لمصنع الاسمدة الكيماوية . وتشير الارقام السابقة الى حجم هذه الملوثات خلال عام ١٩٧٧ .

أخطار التلوث المائى :

تعرض الانسان عبر التاريخ الى الاصابة بالاوبئة بسبب تناوله للمياه الملوثة بقاذورات المجارى . ولقد كان مرض التيفوئيد الذي أجتاح لندن فى أواسط القرن التاسع عشر مؤشرا الى الاخطار التى تنجم عن مثل هذه الملوثات ، والذى أدى بدوره الى اتخاذ الاجراءات اللازمة نحو حماية المياه من هذا النوع من الملوثات . وحتى يومنا هذا فان تلويث المياه هو السبب فى انتشار مرض الكوليرا وغيره من الامراض .

وهناك أنواع عديدة أخرى من التلوث المائى يمكن أن تسبب ضررا لصحة الانسان ، فبعض الملوثات الصناعية شديدة السمّيّة ، فعلى سبيل المثال وجد فى مياه بعض البحيرات الكبرى فى الولايات المتحدة الاميركية وكندا معدن الزئبق ، وهذا المعدن يلقى فى مياه هذه البحيرات مع بعض الفضلات الصناعية فيرسب هناك . وتشير الدراسات والتحاليل التى أجريت على الاسماك فى هذه البحيرات الى ان كميات كبيرة من الزئبق وجدت فى لحوم هذه الاسماك ، الأمر الذى جعلها غير صالحة للاستهلاك الأدمى . ففى الولايات المتحدة الاميركية تلقى الصناعة حوالى ٥٠٠ طن سنويا من الزئبق فى المسطحات المائية ، كما تلقى الصناعة الفرنسية ٥٠ طنا ، ويلقى سنويا فى البحار والمحيطات حوالى ٢٥٠ ألف طن من الرصاص والذى لا تقل سميته عن الزئبق ، كما يقذف فى البحار والمحيطات سنويا حوالى ١٠٠٠ طن من الكادميوم ، والذى يؤثر على مخ العظام ويسبب فقر الدم .

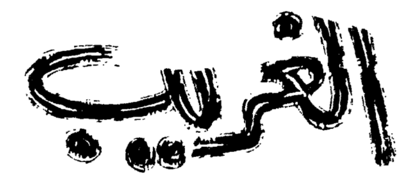
منظمات اقليمية للحماية :

يتبين لنا مما تقدم الأثار السيئة التى يمكن أن يسببها تلوث المسطحات المائية على الكائنات الحية من أسماك ونباتات وطيور ، بل على البيئة الانسانية عموما ، وخليجنا العربى بالذات ـ وهو بحيرة شبه مغلقة ـ أصبح معرضا لخطر التلوث بعد أن أصبحت الدول التى تحيط به من الدول الرئيسية فى العالم فى انتاج النفط وتصديره ، والامر لا يقتصر على التلوث بالنفط فحسب ، وانما يشمل التلوث بمخلفات المصانع المقامة على سواحل هذا الخليج ، والتى تلقى بنفاياتها العضوية وغير العضوية بالاضافة الى التلوث الحرارى ، وما يسببه من الاختلال فى توازن البيئة البحرية .

ومن هنا كان من الضرورى تضافر الجهود على المستويين المحلى والاقليمى لحماية الخليج من التلوث وذلك بمراقبة ومكافحة هذه الملوثات فى جميع المناطق المحيطة بالخليج على طول سواحله الشرقية والغربية ، ولهذا الغرض فقد قامت الدول التى تحيط بهذا الخليج بانشاء « المنظمة الاقليمية لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية » عام ١٩٧٧ حيث تم اختيار الكويت مقرا لهذه المنظمة . وقد عقد فيها بعد مؤتمر الكويت الاقليمى للمفوضين لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية فى الفترة من ١٥ الى ٢٣ ابريل ١٩٧٨ ، وتم التوقيع فى هذا المؤتمر على اتفاقية الكويت الاقليمية للتعاون فى حماية البيئة البحرية من التلوث ، والتوقيع أيضا على البروتوكول الخاص بالتعاون الاقليمى فى مكافحة التلوث بالزيت والمواد الضارة الاخرى فى الحالات الطارئة ، واقرار خطة العمل لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية لدول المنطقة المشاركة بالمؤتمر وهى : الكويت ، البحرين ، العراق ، عُمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، دولة الامارات العربية المتحدة ، ايران .

بالاضافة الى ما ذكرنا ، فان الواجب ، بل ان استمرارية الحياة على هذا الكوكب تدعونا جميعا ، أفرادا وحكومات وهيئات الى ضرورة الحرص على توفير المياه نظيفة وخالية من الشوائب والملوثات وذلك بنشر الوعى البيئى وتكثيف الجهود للحفاظ على التوازن البيئى فى الطبيعة . □

قصة قصيرة



بقلم : رجب سعد السيد

لم يكن راضيا . هاهى الساعة تقترب من الثامنة ويكاد اليوم ينتهى ، ولم يتجمع فى علبة الإيراد ما يجلب الرضا . مرت عدة أيام على نفس الحال . . . فى الصباح ، وهو فى طريقه الى العمل ، يفشل فى التقاط أى راكب . ليس بسبب ندرة الركاب ، ولكن لأن رغباتهم تتعارض مع خط سيره من بيته فى (الورديان) إلى (الحقانية) فى ميدان المنشية ، حيث يعمل فى وظيفة كتابية تحتم عليه التوقيع فى قائمة الحضور قبل الثامنة والنصف . وذلك يجعله يتهرب من كل راكب يطلب نقله إلى مكان بعيد ، ليتوفر له الوقت للبحث عن مكان يوقف فيه السيارة ، بعيداً عن احتمال أن تقع عليها عين زميل من زملاء المكتب ، فتفشل محاولات الكتمان ، وينتشر الأمر فى المحكمة كلها . يأتى خوفه من المساءلة القانونية فى المرتبة الثانية بعد تطيره من نظرات الحسد والحقد وألسنة السوء . وبالطبع ، فإنهم لن يروا إلا السيارة (البيجو) الجديدة . لم يروا مكابدة السنوات الطوال منذ خرج من الجيش بعد الحرب يحمل فى يده رخصة القيادة (درجة أولى) ، ويعمل عند أصحاب السيارات الذين يشتركون - جميعهم - فى اتهامهم الدائم للسائقين بعدم الأمانة فى توريد (الغلة) . ولن يصدقوا أنه اشتراها بالتقسيط ، ولا يمكن أن يتصوروا القلق المميت الذى يقلب كيانه وأيام الشهر تزحف إلى نهايتها ، دون أن تقترب الجنيهات المقتصدة من الرقم (٢٠٠) ، قيمة القسط الشهرى .

يعلم ويؤمن بأن الله يقسم الأرزاق . . وهنا ، يجب أن يوجِّه التأنيب إلى نفسه ، فهو فى حالات كثيرة كان يركب رأسه ويصر على أن يحدد خط سيره فى شريط الكورنيش فقط ، رافضاً العديد من طلبات التوصيل إلى الأحياء الواقعة فى عمق المدينة أو الضواحى . . السير فى شوارع شتاء تلك الأحياء مخاطرة .

فى الصباح ، وعلى مكتبه فى (سراى الحقانية) راجع حساباته ، ووجد أنه سيضطر إلى تحويل كل راتبه الحكومى ليصب فى صندوق القسط الشهرى . قرر أن يتوقف لأى إشارة ، ويستجيب لأى طلب . وهاهى الساعة تقترب من الثامنة ، وهو راجع من (أبى قير) يتهادى وقد خلت الطريق من أى مترجل . أعطته السيدة التى أوصلها إلى أبى قير أجرا معقولا ، ولكنه لايغطى خسارة الرجوع خاليا .

عند الاستدارة الحادة فى الطريق ، بعد الفندق الكبير أمام سور حدائق قصر المنتزه تهيأ له أن رجلا يطلبه ملوحا بيده . كان قد تخطاه قليلا . توقف وتراجع إليه . فتح الرجل الباب ومرق إلى داخل السيارة . لم يسأله عن وجهته ، ولم ينطق الرجل . .



كان يتنفس بعمق وبصوت مسموع ، وكان معطف المطر يصدر أصواتا وهو يحك كفيه ببعضهما . نظر إليه فى المرآة العاكسة . رأى قبعة سوداء على رأسه . فكر فى أن يكون سائحا أجنبيا . . فى نفس اللحظة ، سمعه يتكلم فى لغة عربية واضحة :

- (معذرة . . نسيت أن أقول مساء الخير . .) .

عندها ، خاب رجاؤه فى ختام طيب ليوم من الأيام غير المواتية . قال الرجل وهو يزيل دائرة من غلالة البخار المكثف فوق زجاج النافذة :

- (الاسكندرية تغتسل . . لا يكفيها البحر . . تستهويها الأمطار . .) .

كان يحادث نفسه ، واستمر يرقب الأمواج والأمطار صامتا .

قطعت السيارة مسافة طويلة ، وكان لابد أن يعرف السائق وجهة الراكب :

- (لم تقل ، سيادتك ، الى أين) .

- (إلى كل مكان . . أى مكان بالاسكندرية هو وجهتى . .) .

وصمت قليلا ، ثم عاد يتساءل فى تودد :

- (لعلك لا تكون مللت من وجودى فى سيارتك . . !) .

سارع السائق متحرجا ينفى أى شبهة فى سؤاله :

- (آسف يا سيدى . . لم أكن أقصد . . تحت أمرك وفى خدمتك . .) .

- (لاعليك يارجل . . إنما قصدت مناوشتك لأجعلك تبادلنى الحديث . . أحتاج الليلة إلى رفيق سكندرى أتكلم معه . . لاشك أنك سكندرى) .

- (أباً عن جد . .) .

- (هذا حسن . . حسن جدا . . من فضلك توقف للحظة . .) .

تململ السائق قليلا . مرت بباله ـ خاطفة ـ ذكريات مهنية سوداء . . مقابلاته للسكارى والشواذ والساقطات والمجرمين . ولكن الرجل لايبدو عليه ـ حتى الآن ـ أنه من هؤلاء . حديثه غير عادى ، وشخصيته لاتزال مبهمة ، ولكن سلوكه العام غير مريب .

توقفت السيارة . ترجل الراكب . خلع معطف المطر وطرحه فوق المقعد الخلفى ، ثم فتح الباب الأمامى ، وجلس إلى جوار السائق :

ـ (هنا أحسن . . هيا بنا . . بتمهل . .) .

تحركت السيارة والارتياب يعاود السائق . خطف نظرة إلى الرجل الجالس إلى جانبه . هل يخفى شيئا فى ملابسه ؟ . الملابس عصرية عالية الذوق . لايمكن أن يكون قاطع طريق بهذه الأناقة . هو ـ إذن ـ ليس أكثر من راكب غريب ثرثار .

أخيرا ، تحدث الراكب كأنما ليزيل شكوك السائق :

ـ (والآن . . سأخبرك بسرّى . . أنا هارب من فوج سياحى يقيم فى الفندق الذى رأيتنى أقف بالقرب منه . .) .

ـ (فوج سياحى !؟) .

ـ (نعم . . كان المفروض أن نصل إلى الاسكندرية ظهرا . . تعطلت السيارة فى الطريق وتأخرنا . . ألغيت جولتنا فى المدينة من البرنامج . . غدا صباحا سنطير إلى الأقصر . . هل فهمت ؟!) .

ـ (تقريبا . . أنت تريد تنفيذ الجولة . .) .

ـ (أنا مصرّ عليها . . معظم رفاقى من كبار السن ، ولا تهمهم الاسكندرية كثيرا ، وخصوصاً إذا كانت ممطرة . . أما أنا فقد تسللت فى المطر حتى وجدتنى . .

غير معقول أن أحضر إلى الاسكندرية لأتناول عشائى وأنام . .) .

وأخذ يردد مقاطع من ألحان شعبية متداخلة . كان قد تأكد لدى السائق أن الراكب سائح . ولكن ، أى سائح هذا الذى يجيد العربية ويحفظ أغنيات تتردد فى حارات الاسكندرية ؟! . تألقت فى ذهنه فكرة أنه ربما كان أحد دارسى اللغة العربية ممن يسمون بالمستشرقين . المهم يحمل صفة سائح ، والأهم أنه يسعى إلى جولة فى المدينة . . وهذا يترجم إلى أجر مرتفع يسهم فى إزالة الارتباك من حسابات هذا الشهر المقترب من النهاية .

ـ (ما رأيك فى غنائى ؟ . . مريع ، هه !؟ . . على أى حال ، دعنا نرى ماذا لديك من أشرطة الأغانى . .) .

ـ (لدىَّ مجموعة متواضعة . . تحت أمرك . . فى « الدرج » أمام سيادتك . .) .

فتح (الدرج) ، وراح يفحص الشرائط . أبعد بعض الأسماء التى لايعرفها ، ثم رفع واحداً فى يده ، هاتفا :

ـ (فوق الشوق ! . . آه . . عبد الحليم . . أهواك ! . . صافينى مرة ! . .

ـ ذكريات الأغانى الأولى الجميلة . . ألست معى فى أن بداياته أكثر جمالا ؟!) .

رد السائق وهو يحاول أن يجامل راكبه المتميز :

ـ (فعلا . . كان عظيما . . الله يرحمه !) .

ـ (نعم . . نعم . . كان عظيما . .) .

وضع ، بنفسه ، الشريط فى جهاز الاذاعة ، وأخذ يهز رأسه منتشياًبالأغنية .

أوقف الجهاز واستعاد مقطعا .

بدا ، بعد فترة ، فاقد الحماس لأغانى الشريط ، وكان يلتفت إلى الأضواء والمبانى وعلامات الطريق. كان صمته غريبا على الجو الذى خلقه فى السيارة منذ حل بها . نظر السائق إليه . كان شاردًا ، وملامح وجهه تشى بأفكار محزنة . حسب أن السبب صوت عبد الحليم الشجى وكلمات الأغنية الرقيقة المعاتبة فى حزن . أخفت السائق صوت الأغنية ، فانتبه الراكب والتفت ينظر اليه . قال السائق :

ـ (لاحظت أن عبد الحليم أثّر فيك بشدة . .) .

قال فى صوت خفيض ، كأنما يحدث نفسه :

ـ (فعلا . . أنا أسمعه كثيرا . . ولدىَّ مكتبة أغانى كبيرة . . لم أتصور أن تتزاحم الذكريات بهذه الصورة . .) .

ثم عاد صوته إلى الارتفاع فى محاولة جديدة لكسب ود رفيق جولة المساء :

ـ (لابأس . . لابأس . . لديك سيارة أنيقة نظيفة . . واضح أنك تعتنى بها . . لا بد أنها ملكك ؟) .

ـ (أمامى سنة لتصبح ملكى . . اشتريتها بالتقسيط !) .

ضحك وهو ينطق العبارة الشائعة :
ـ (كل شيء يهون . . أليس كذلك ؟!) .
دق الراكب على الوتر الرنان . بادرة طيبة أن يذكر هـذه الكلمات المتفـائلة ، وإن كـان لايـدرى لمـاذا ضحك وهو ينطق بها . على أى حال ، شعر بالامتنان له .
ـ (فات الكثير . . والصبر طيب . .) .
وأدهشه حين عاد إلى سلوكه المستغـرب ، وأخذ يقهقه ـ فى غير مجال ـ مرددا :
ـ (نعم . . الصبـر . . الصبـر . . يــاعـطارين دلّونى !!) .
ومد يده ولمس إطاراً لصورتين معاً يضعه السائق أمامه :
ـ (إنك تضع صوراً فى إطار جميل . . هذه لك . . فى ملابس العمل ؟) .
ـ (لا . . هذا رداء الجندية . .) .
ـ (أأنت جندى ؟!) .
ـ (لا . . هذه صورتى حين كنت مجندا . .) .
ـ (آها ! . . هل كنت تهم بركوب العربة فعلاً أم أن اللقطة مصممة هكذا ؟ . . إنها لقطة بارعة . .) .
ابتسم السائق سعيدا بذكرياته :
ـ (كانت عربتى ، وكنت أعتز بها ، فأحببت أن تجمعنا صورة . . للذكرى !) .
فوجىء به يصفق هاتفاً فى انفعال :
ـ (جميل . . جميل . . أحب الوفاء وهـذه المشاعـر الجميلة . . لابد أنك شاعر !!) .

وبالرغم من أنه لم يرتح إلى تصديق هذا الانفعال الزائد عن الحد ، فلم يملك إلا أن يشكره على كلمات المديح . عاد الراكب يتساءل :
ـ (والصورة الثانية . . آه . . لاتقل شيئا . . دعنى أخمن . . لابد أنها للسيدة والدتك !؟) .

عاد يدق وتراً آخر اضطرب له صدر السائق :
ـ (الله يرحمها !) .
تغضنت مـلامـح وجـه الـراكب راسمـة صـورة للحزن :
ـ (أوه ! . . متوفاة ! . . أنا آسف . .) .
ـ (لاعليك . .) .
ـ (لقد أثرت أحزانك . . حب الأم قيمة إنسانيـة عظيمة . .) .
وكانت أول مرة يحادثه راكب عن الصورة الحبيبة ويثير ذكرياته وأشجانه ، فلم يراجع نفسه ليتساءل إن كـان الأمر منـاسباً أم لا ، بـل وجـد نفسـه يفضى إليه . .
ـ (ماتت حزنا علىَّ وأنا فى الأسر . .) .
سـارع الرجـل بلفظه (أوه) ، والحـزن لايـزال منطبعاً على وجهه . لكن ملامح الوجه تبدلت فجأة إلى مستطلعة :
ـ (هل قلت الأسر !؟) .
ـ (نعم . . وقعت فى الأسر سنة ٧٣ . .) .
تحـرك الراكب ـ وقـد شده الاكتشـاف ـ واستند بظهره الى باب العربة ليواجه السائق :
ـ (لابد أنها تجربة مريرة . .) .
وصل إليه التساؤل المشبع بالفضول فى كلمـات الراكب ، فاستجاب على الفور :
ـ (كنت أنقل الذخيـرة فى منطقـة وسط القناة . . وكنت راجعاً لأحمل شحنة جديدة ، فوجدت دباباتهم تحيط بى . . أسرونى وأحرقوا العربة . .) .
استغرق الراكب فى التفكير ، وعاد يستند إلى ظهر المقعد . أخرج علبة سجائره .
قدم للسائق سيجارة . اعتذر عن عدم أخذهـا لأنه لايـدخن . أشعل الـرجل سيجـارتـه . أخـرج أول سحابة دخان طويلة ، وقال :
ـ (الحـروب تـدمـر كـل شىء . . السـلام نعمـة كبيرة . .) .

أضاف السائق :
ـ (لا أحد يحب الحرب . .) .
وظلا صامتين لمسافة طويلة ، حتى وصلت السيارة إلى (محطة الرمل) . تخلص السائق ـ بصعوبة ـ من شلالات الذكريات ، والتفت إلى الراكب وهو ينتقي كلماته ، متسائلاً :
ـ (أنا سعيد بلقائك . . ولكن ، نحن الآن في وسط المدينة . . وأنت تعلم أن المتاحف مقفلة في هذا الوقت . . وأنا حائر ، لست أدري أي الأماكن تحب زيارتها . . يحسن أن نحدد وجهتنا الآن . .) .

أخفض الراكب رأسه قليلاً لينظر إلى يسار الطريق :
ـ (فعلاً . . ها هي محطة الرمل . . تغيرت ملامح المكان . . ولكن ، ها هو سعد زغلول وفندق سيسيل . . و (تريانو) لا يزال في مكانه . . سمعت أنه تحول إلى بنك . .) .
أوقف السائق السيارة انتظاراً للقرار :
ـ (هل ننعطف إلى محطة الرمل ؟) .
ـ (لا . . كنت أود أن نسير في شوارع « الأزاريطة » و « كامب شيزار ») .
ـ (نمر عليها في طريق العودة . .) .
ـ (فكرة طيبة . . والآن . . لنكمل المسيرة . . إلى عبق ذكريات المكان والوجوه والروائح . . إلى « الأنفوشي » و « رأس التين » . . ليتك تمر بي في كل الشوارع والحارات . . أريد أن أمشي في الأزقة القديمة وأشم رائحة السردين المشوي ث من البيوت . . ما رأيك في أن نتناول عشاء، سواءً في محلات الأرصفة ؟ ! . . انني أذكر بعض الأسماء المشهورة . . سنجدها . . هيا بنا . .) .
هنا ، استراح السائق تماماً لأنه ـ أخيراً ـ عرف وجهته بالتحديد . انطلق برفيقه الغريب في السيارة . أنزل الراكب زجاج النافذة قليلاً ، فلما تدفقت إلى وجهه خيوط المطر ، سارع برفعه مهرجاً كالأطفال .
كان يمسح وجهه ، وكان السائق يفكر في أن هذه الليلة ستحتل المكانة الأولى في سجل الأعاجيب التي يقابلها . وفكر ، كيف يتصرف إذا دعاه للعشاء . وانتهى تفكيره إلى قيمة الأجر الذي سيطلبه منه . فجأة ، وجد التساؤ ل يتحرك على لسانه :

ـ (إنك تعرف المنطقة كأحد أبنائها . .) .
قهقه الراكب ، وأطفأ السيجارة المنتهية :
ـ (شيء عجيب ، أليس كذلك ؟ . . فعلاً . . أنا مولود هنا في الإسكندرية !) .
ـ (هكذا خمنت أنا . .) .
ـ (غادرت مصر في ٥٦ ، وأنا في العشرين من عمري . .) .
ـ (هجـرة ؟ !) .
تردد قليلاً قبل أن يجيب :
ـ (يمكنك أن تقول ذلك . .) .
وضحت الصورة أمام السائق . كان ضرورياً أن تكتمل الصورة . . ضرورة وقتية غذّاها الفضول والرغبة في سبر غور هذه النوعية الفريدة من الركاب . واستمر ـ لمجرد الرغبة في الثرثرة ـ يسأل :
ـ (إلى أمريكا ؟) .
ـ (لا . .) .
ـ (كندا ؟) .
ـ (لا . .) .
ـ (أوروبا ؟) .
ـ (لا . .) .
ـ (إذن . . لا بد أنها استراليا . .) .
ابتسم الراكب ابتسامة عريضة ، وقال في هدوء وبساطة :
ـ (لكي لا تجهد نفسك . . أنا إسرائيلي !) .
في لحظة واحدة خاطفة استوعب الأمر ، وتحركت قدماه ، وصرخت عجلات السيارة وهي تنزلق على الإسفلت المبتل . دارت السيارة دورة ، وكادت تصطدم ـ قبل أن تتوقف ـ بعمود إنارة بعد أن صعدت مقدمتها الرصيف الوسط بطريق الكورنيش .
كان الراكب يتساءل مذعوراً ، وكان السائق يفتح الباب بجانبه ويسرع ـ في المطر ـ إلى الباب الآخر ليفتحه صامتاً مكفهر الملامح مشيراً للراكب أن يخرج .
ارتفع صوت الراكب مستنكراً ومحتجاً . ابتل شعر السائق ووجهه وملابسه بالأمطار الغزيرة . كان يرتعش كمحموم ، وكانت عيناه تبرقان بحدة . امتدت يده وقبضت على كتف الراكب تشده ، وكان يأمره بصوت صارخ رافض : انزل ! . □

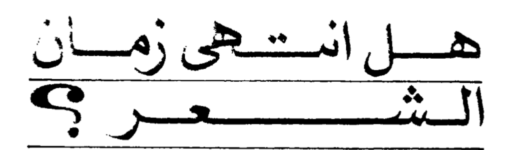
رأيي . ورأي الآخر ... والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر ... هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية



قضيّة

في المنتدى لهذا الشهر قضية وعدد من التعقيبات . . القضية يثيرها الشاعر السوري شوقي بغدادي الذي لاحظ بأسى انحسار الجماهير التي تسعى الى قراءة الشعر وتذوقه . ويدعو الناس الى الاحتفاظ « بجزرهم الروحية التي يسهم الفن في انقاذها » من طوفان الاستهلاك .

وفي التعقيبات نقرأ للدكتور حسان حتاحت مجموعة من أفكار أثارها في نفسه المقال الافتتاحي للعدد ٣١٦ من مجلة العربي بقلم الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، ويعقب محمد الاسعد على مقال الدكتور فؤاد زكريا عن « وهم الاصالة والمعاصرة » المنشور في عدد مارس من المجلة .



بقلم : شوقي بغدادي

يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، وأنا أراقب بكثير من الدهشة والأسى القاعات الكبيرة تشكو الخواء والبرود وانحسار الجماهير عنها في الامسيات الشعرية . وحتى الذين يحضرون كنت أراهم غير مأخوذين بما يسمعون كما كان الأمر في السنوات الخاليات .

كانت الظاهرة تتضخم وتؤكد نفسها عيانا وأنا أتجاهلها مع غيري من المتفائلين ، وكنت أقرأ عن هذه الظاهرة في اوروبا الغربية ، الا انني لم ادرك حجمها الخطير حتى الصيف الماضي حين جمعتني الصدفة بالشاعر الفرنسي « جان بريتون » في مهرجان ستروغا « الشعرى العالمي في جمهورية مكدونيا بيوغسلافيا ، وهو ناشر أيضا وعضو في هيئة تحرير وادارة مجلة « شعر » الفرنسية التي تصدر منذ سبعة عشر عاما . كنا نتحدث عن أحوال الشعر في أوروبا الغربية أو في فرنسا بالذات ، وعن مدى اهتمام القراء هناك بهذا

الفن ، وكان أن سألته :
كم يبلغ عدد النسخ التي تطبع من أول ديوان يصدر لاحد الشعراء الجدد ؟
فأجاب قائلا :
قبل انجاز هذا الامر لابد من اجتياز عدة عقبات .. اولا ، يجب أن يكون هذا الشاعر قد ظهرت له عدة محاولات شعرية ولمدة سنوات في المجلات الادبية بشكل كاف ومقنع لتكريس اسمه كشاعر موهوب حقا . وبعدها تأتي عقبة العثور على دار نشر تقبل هذه المغامرة ، ذلك لأن دار النشر التي توافق على نشر المجموعات الشعرية الجديدة باتت قليلة جدا ، فاذا اجتاز الشاعر هذه العقبة فلن يطبع من مجموعته عندئذ أكثر من خمسمائة نسخة على الاغلب ..

واستغربت وقتها هذا الرقم كثيرا بالنسبة لبلد كبير قارىء مثل فرنسا . ولكن صدور هذا التصريح عن شخص مطلع مثل جان بريتون اعطاني مؤشرا جديدا ، اذا أضفناه الى مجموع المؤشرات المستقاة من الغرب ، أمكننا أن نتأكد من أن تقلص الاهتمام بالشعر قد أصبح ظاهرة حقيقية في العالم الغربي .

عودة الى الوراء

ليس ضروريا هنا أن نعود نحن العرب الى الجاهلية لنتذكر الاعياد التي كانت تقيمها القبيلة عند نبوغ شاعر فيها ، ولا بذكريات الشعراء الكبار في العصور الاسلامية ممن كانوا ملء الاسماع والقلوب كالبحتري وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي وغيرهم . بل يكفي أن نذكر بعهد قريب لا يعود الى أكثر من ثلاثين أو اربعين سنة خلت ، كانت فيه قصيدة للرصافي أو الجواهري في العراق ومثلها لأحمد شوقي أو حافظ ابراهيم في مصر وأخرى لبدوي الجبل وابي ريشة في سوريا كافيه لاثارة الرأي العام . واقبال الجماهير على الشعر بشكل مؤثر كان يقلب الحكومات القائمة أحيانا رأسا على عقب أو يصبح على الاقل المتعة الاولى في وجدان البشر .
ولم يكن الأمر مقصورا على جماهير المثقفين بل كان يتعداها الى الجماهير البسيطة التي كانت مشغوفة بالشعر قراءة واقتناء وحفظا حتى يصعب وقتها تصور حركة المجتمع العربي دون تدخل الشعراء ومشاركتهم الفعالة .
لابد من الاعتراف الآن أن تلك الايام قد تلاشت الى حد بعيد ولم يَبْقَ منها سوى الاصداء ، وان الاصوات الشعرية التي ما تزال مسموعة على نطاق واسع تتضاءل يوما بعد يوم حتى ليمكن حصرها في اسمين أو ثلاثة لا أكثر .

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟

ان تفسير هذه الظاهرة مسألة بالغة التعقيد وقد تحتاج معالجتها الى مؤلف ضخم ، ولكن اختصارا يمكن رد المسألة الى عاملين اساسيين ، أحدهما يتعلق بالمنتج أي الشاعر نفسه والآخر بالمتلقى أي القارىء ، مع الاعتراف بأن كلا الطرفين يتعرضان لضغوط مشتركة متشابهة ولكنهما في الوقت نفسه يختلفان من حيث الوضع الاساسي لكل منهما حيال طبيعة القضية بين الابداع والتلقي ..

لا شك أن الشاعر العربي المعاصر يواجه معضلة درامية ـ اذا صح التعبير ـ من نوع خاص حين نأخذ بعين الاعتبار الصراع الذي نشب في أعماقه مع هجوم الحداثة بين طموحين يبدوان حتى الآن طرفين في معادلة صعبة الحل : أولهما يدفعه الى التجديد والابتكار تحت دافع التطور الطبيعي ومجاراة الثقافة الغربية ، ولكنه طموح يهدده في الوقت نفسه بالانفصام عن الجماهير العاجزة حضاريا عن مواكبته ، والطموح الثاني يدفعه الى الحفاظ على صلاته بالتراث والتقاليد وبالتالي بالجماهير ، الا انه طموح يهدده بالتخلف عن ركب الثقافة المعاصرة المتقدمة .
ليس من السهل عمليا الاحتفاظ بالتوازن بين هذين الطرفين المتباعدين حتى الآن ، ولذلك كان بدهيا أن تهتز الخطا على هذا الطريق ،وأن تعكس التجارب الشعرية هذا الاهتزاز والقلق بأشكال متباينة بين قطبين متطرفين : أحدهما يراهن على المستقبل غير عابىء بالمستوى الحضاري النوعي

الراهن للبيئة ،وجماهير القراء الواسعة، فيطلع على الناس بانتاج مبهم غريب على ثقافتهم وأذواقهم . والآخر يراهن بالعكس على الماضي غير آبه بمتطلبات العصر ، فيطلع على الناس بإنتاج مستهلك مبتذل لا يرضى طموح البشر العميق الى الجديد ، وكأن جماهير القراء بغريزتها الصادقة ، اذ ترفض الاثنين معا ، تعبر عن موقف ثالث لا تستطيع أن تبلوره في مواصفات محددة ، غير ان التجربة الزمنية تثبت يوما بعد يوم أن كثيرا من التجارب الشعرية المحدثة الناجحة كانت ، في نهاية التحليل ، تجسيدا عمليا ملهما لهذا المناخ السديمي الذي ما يزال في طور الشكل داخل الوجدان الجماعي ، الذي استطاع الشاعر أن يبرزه بطاقة خاصة من موهبته واخلاصه في الاصغاء الى صوته الداخلي من جهة ، وصوت التراث والبيئة المحلية من جهة أخرى ، في اطار متكامل مع العصر.

رفض الموسيقا

وفي الايقاع اندفع كثيرون أيضا متأثرين بالترجمات النثرية عن الشعر الغربي ، ومتطلبات التعبير المعاصرة المتطرفة ، أو بالهبوط المستمر للمناهج التربوية في تدريس اللغة العربية ،وعدم العناية بتعليم العروض العربي المدهش بغناه الايقاعي ، والمتميز تميزا كبيرا بأصالته وألوانه المتنوعة ، اضافة الى دوافع أخرى مشبوهة متأثرة بشكل أو بآخر بالمشروع العالمي التدميري لاصالة الشعوب والانسان في العالم المتخلف الغارق في التبعية . كل ذلك دفع الكثيرين من الشعراء الى نبذ التراث العَرُوضِيّ نبذا تاماًوتبني ما يسمى بقصيدة النثر بديلا للشعر الايقاعي.ورفض أية محاولة في تجديد الايقاع في الشعر ليس التزاما بموسيقا خارجية كما يقولون ، وانما هو تلبية لغريزة أصيلة في الانسان وخصوصا لدى الشعوب ذات التراث العريق .

وضع القارىء العربي

لعل أهم المؤثرات التي دفعت وما تزال تدفع القارىء العربي الى الابتعاد عن ميدان الشعر هو ما يسمى بنمط الحياة الاستهلاكية التي اجتاحت المجتمع العربي ، هذا النمط من الحياة الذي يجعل التعامل مع الاشياء عامة خاضعا لقانون الفائدة المادية المباشرة .

ان الاهتمام بقراءة الشعر محتاج الى انسان قادر حقا على أن يخلو الى نفسه ، وان يجد متعة فعلية في تأمل ذاته والحياة من حوله تأملا روحيا صافيا بعيدا عن الرغبات النفعية المباشرة . هذا الصفاء الداخلي لا توفره المجتمعات الحديثة بسهولة ، واذا كان لابد من القراءة فان الناس باتوا يهتمون بالروايات المثيرة القادرة على منافسة السينما والتلفاز أو في أحسن الأحوال بالبحوث والدراسات الجادة التي يعتقدون انها اكثر جدوى في فهم ما يجري في العالم . لقد باتت قراءة الشعر اذن نوعا من الترف أو بتعبير أدق مضيعة للوقت الذي بات ضيقا جدا في عصر الاستهلاك والسرعة ، والتزاحم .

أما العامل الآخر المؤثر فهو راجع ، في اعتقادي ، الى المناخ المعنوي الهابط الذي خلفته الهزائم والنكسات القومية المتلاحقة منذ بداية عصر النهضة حتى الآن ، والى الفراغ الروحي الكبير الذي كرسه افلاس الايدولوجيات العربية المختلفة وأنظمة الحكم التي عقد عليها المواطنون آمالا كبيرة في العقود الماضية .

في أجواء الهزيمة

لقد كان الشعر في أيام الصعود الوطني في الاربعينيات والخمسينيات خاصة هو الفن الادبي الاكثر نشاطا وتأثيرا في الجماهير المتوقدة حماسة آنذاك . ومازلت اذكر - وأنا من الذين اسهموا الى حد كبير في غمار هذا التيار إبّان الخمسينيات - التجاوب العاطفي والفكري العميق الذي كانت تحدثه قصائدنا المنشورة أو الملقاة من على المنابر . لقد كان ثمة نوع من القناعة لدى الشاعر والقارىء بأن الشعر هو التعبير الامثل عن هذه الروح الوطنية الصاعدة ، وأنه أكثر الفنون قدرة على الاسهام في عملية التغيير الاجتماعي بسبب المناخ الديمقراطي النسبي الذي كان سائدا في تلك العهود . كان الناس واثقين من انفسهم ، وبالتالي من شعرائهم ، ولكن

النكسات القومية والوطنية المتلاحقة بعد ذلك وضعت هذه الثقة الكبيرة كلها موضع الشك ، ثم انحسرت واستحالت الى نوع من الاحباط والتشاؤم في جدوى أية كلمة تقال،وعلى الخصوص في ظل المناخ التعسفي الذي أطاح بنسائم الديمقراطية القليلة . وهكذا حلّ محل الثقة القديمة اعتقاد شعبي راسخ بأن عملية التغيير تحكمها قوى الطغيان والعنف المنظم لا قوة الفكر أو الشعر .

وبهذا المعنى بات الناس يستمعون الى الشعراء بقابلية أخرى مغايرة وكأنها تقول لهم : مساكين أنتم ايها الشعراء انكم تجهلون انفسكم دون جدوى ! . .

فاذا أضفنا الى كل هذا روح المداهنة والتملق التي راحت تطغى على كثير من رجال الفكر والفنون عامة حيال هذا الشعور الطاغي بعدم الجدوى والرغبة في نشدان السلامة ، نجد أن جمهور القراء بدأ ينتقل شيئا فشيئا من موقف الرثاء للشعر والمفكرين الى موقف العداء والريبة في النوايا الحقيقية لهذا الهراء الكبير الذي يسمعونه هنا وهناك متشدقا بالكلام الرنان المبتذل والشعارات الكبيرة التي فقدت محتواها .

تلك هي بشكل عام الصورة السائدة لوضع الشعر العربي في هذه الايام . لكن هذه الصورة الكالحة لا تخلو من اشارات مضيئة لا يمكن تجاهلها . انها تكمن في طبيعة تطور البشر ونضالهم اليومي المستميت للتشبث ببقايا جزرهم الروحية المتنائية . وهذا ما يبقى للنشاط الفكري عامة والفني خاصة ، وفي طليعته الشعر ، وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها . وتلك بالتأكيد ليست مهمة الشعراء وحدهم ، وانما هي في الوقت نفسه مهمة البشر في الا يستسلموا لليأس واغراء المادة ، وان يقاوموا بدورهم وأن يحتفظوا في اعماقهم الملونة بتلك الجزيرة الروحية التي يسهم الفن الاصيل في انقاذها ، كي يبقوا بشرا اسوياء يطلبون الشعر كما يطلبهم الشعر نفسه في آن « واحد » . . □

منتدى العربي

تعقيبات

الدواء قبل الغذاء

في العدد (٣١٦) من مجلة العربي ، تحدث الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، عن مشكلة الدواء في العالم العربي ، فأثار الكثير من لواعج النفس وشجونها . ووضع اصبعه في الجرح الذي نعاني منه . ومشكلة الدواء مشكلة مزمنة وحادة في آن واحد . يعاني منها الطبيب ويعاني منها المريض . ذلك أننا نبحث دائماً عن الدواء الذي فيه من النفع أكثره ، ومن الضرر أقله . فاذا زاد النفع عن الضرر كان الدواء جيّداً واذا كان العكس فالدواء غير مقبول .

وترانا كدول في العالم الثالث ـ نستورد القسم الأكبر من الأدوية التي نستهلكها جاهزة معلّبة ، أو نستورد طريقة تصنيعها وموادها الأولية . فنحن في كلتا الحالتين نفتقر الى الابداع والى البحث العلمي الدقيق .

وعند الكلام عن مشكلة الدواء ، لا بدّ من دراسة هذا الأمر على أربعة مستويات : مستوى الاكتشاف والتصنيع ، ومستوى الاستيراد ، ومستوى الطبيب ، ومستوى المستهلك .

فعلى مستوى الاكتشاف والتصنيع نجد أن الدول العربية منفردة عاجزة عن أن تمتلك التقنية

المتطورة الكفيلة بصنع دواء جديد وجيّد .

وتأتي في هذا المستوى مشكلة تجربة الدواء ـ وهي مشكلة موجودة لدينا ولدى دول العالم المتقدم ، فلتقرير ما اذا كان دواء ما مفيداً للبشر لا بدّ من تجربته على البشر . ولا بد أن تُسبق تلك التجربة بموافقة صريحة من المجرّب عليهم ، بعد أن يتلقوا عرضاً مفصلاً لفوائد الدواء المتوقعة ومضاره المحتملة .

أما على المستوى الثاني وهو مستوى الاستيراد فلا بد أن نكون واعين حذرين . لأن خطأنا هنا لا يغتفر . ولئن كان قدرنا أن نستورد كل شيء جاهزاً معلباً فلنعرف على الأقل ماذا نستورد .

وفي هذا يجب الاعتماد على الشركات ذات السمعة الحسنة ، التي لا تقبل بتسويق دواء غير مدروس أو جيّد ، ولا بد حتى في هذه الحالة من تحليل مقومات الدواء أولاً ومن اجراء أبحاث وتجارب علمية ثانياً ، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عدم استيراد أي دواء لا يستعمل في بلد المنشأ أو في البلدان ذات البحث العلمي الناشط ، ويجب أن يكون هذا الاستيراد ونقل الدواء في أفضل الشروط التي تضمن وصول دواء جيد فعّال . وأن تكون هذه الأدوية متوفرة دائماً في الأسواق .

وان كانت مشاكل الدواء تشمل العالم كلّه فان معاناتنا منها لا شك أكبر ، لأن ضرورة الدواء في عالمنا المليء بالجهل والمرض أهمّ وأعظم . واننا لنتطلع الى يوم يكتشف فيه الدواء الجيد الجديد في بلادنا ويصنع فيها . في الوقت الذي تكون فيه حاجتنا الى استعمال هذا الدواء قد تضاءلت بسبب التطور والوعي الاجتماعي . . ولعلّ مقالة الدكتور الرميحي خطوة مطلوبة على طريق فتح ملف الدواء ، وتشجيعاً لنا على التطلع الى المستقبل . . . ولست أدري اذا كنا في تطلعنا الى هذا المستقبل المتواضع حالمين أو مغالين ؟□

الدكتور غسان حتاحت

***

التباسات الأصالة والمعاصرة : الحضارة من حفنة تراب !

ان الحرص على الموضوع النظري والرغبة في حل الاختلاط بين عدة مدلولات للفظ الواحد ، هو ـ كما يبدو لنا ـ حافز الدكتور فؤاد زكريا ـ في مقاله المنشور بعدد مارس ١٩٨٥ تحت عنوان « وهم الأصالة والمعاصرة » ـ لاستخلاص الصيغة البسيطة والفعالة ، الابداع أم الاتباع ، ووفق وجهة النظر هذه تبدو الأصالة بمعنى احتذاء نموذج الماضي نوعاً من الاتباع ، كما تبدو المعاصرة بمعنى احتذاء النموذج الغربي نوعاً آخر من الاتباع ، وهكذا تأخذ كلمة الابداع من المفهومين السابقين مدلولهما الايجابي أي الجانب التقويمي .

لا شك لدينا في أن هذه خطوة متقدمة على صعيد بلورة النظرية وتحديد مفاهيم أكثر فعالية ، في سياق هذا الجدل القائم حول كيف ينهض العرب ؟ هذا السؤال الذي طرح منذ قرنين وما زال يطرح في أواخر القرن العشرين بنفس الحدة .

الا أن للقضية وجهها الآخر ، فاذا كان التحديد النظري لمنظومة ما مهما ، فان الأكثر أهمية هو وعي الاشكالية نفسها . وهنا نختلف مع د . فؤاد زكريا في هذه النقطة ، لأننا لا نعتقد أن تباين الصيغ هو مجرد خلط بين ما هو زمني وما هو تقويمي،بل هو نابع من تباين في جوهر الاشكالية نفسها بين هذا الفريق وذاك . أو بعبارة أخرى نحن لا نعتقد أن جوهر الاشكالية كان وما زال واحدا منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواخر القرن العشرين اللهم الا في الظواهر العامة ، فقد اختلف هذا الجوهر وفق اختلاف رؤية الطبقات والفئات الاجتماعية العربية التي تعاملت مع الاكتساح الغربي للوطن العربي ،

وبالتالي لم يكن تعدد الصيغ التي طرحت للاشكالية نابعا من الغموض والاختلاط اللفظي بقدر ما كان نابعا من تباين المصالح في التشكيلة الاجتماعية التي صدمت بهذا الاكتساح . لقد حدد (الخديوي اسماعيل) ومن تابعه من المفكرين مثلا مشكلة مصر في اطار القدرة على التحول الى جزء من أوروبا . بينما كان مفكر مثل عبد الله النديم يطرح مشكلة مصر في اطار القدرة على التحرر من قبضة أوروبا .

ان اختلاف هاتين الصيغتين هو بالضبط انعكاس أمين لاختلاف في الاشكالية نفسها ، وهو اختلاف طبيعي تماما ، وليس شذوذا .

ولهذا كان الامر خيارا بين موقفين : الأصالة والمعاصرة ، بمعنى الحفاظ على الذات أو الذوبان في الآخر الغازي ، والحقيقة أن فشل كلا الخيارين في إثبات مصداقيته وفاعليته لم يأت بسبب أخطاء نظرية ، بقدر ما جاء بسبب من طبيعة هذا الاقتحام الغربي الذي لم يكن احتكاكا أو تعارضا بل كان اقتحاما لبنية تاريخية مغيرا لعناصرها ، وموجها لمعنى وجودها . فالحفاظ على هذه النهضة المسماة تقليدية سلوكا وفكرا وانتاجا كان مستحيلا أمام غزو مسلح بنظم انتاج متقدمة ، وانجازات عسكرية أكثر فتكا ، وكذلك كان مستحيلا الانخراط في الآخر الغازي ، وسر هذا الفشل المزدوج لكلتا الشخصيتين التقليدية والعصرية ، يكمن في طبيعة مشروع الغزو نفسه . فهو لم يكن يحمل في طياته مشروع اقامة عالم على مثاله ، لأنه بذلك يعارض ويناقض نفسه كنمط انتاج مركزى متوسع على حساب التهام الشعوب الاخرى ، بل كان يتضمن اقامة عالم ثالث لا هو بالتقليدي ولا هو بالمعاصر . وأبلغ ما يعبر عن اتجاه هذا الغزو تلك الأحداث التاريخية التي قوضت بها أوروبا أنماط الانتاج الرأسمالية التي حاولت الظهور في فترات مختلفة من القرن التاسع عشر في مصر والعراق وتونس .

ان ما استخدمه الغزو بحكم طبيعته الانتاجية أي كنظام رأسمالي هو تحطيم البنية التقليدية ، وصياغة تجمعات بشرية تخدم وظائفه فقط . أي تجمعات بلا هوية ولا مرتكز ولا تاريخ .

وما زلت أذكر حتى الآن تلك الحوادث العجيبة التي سمعتها من أكثر من فلاح فلسطيني ابان الاحتلال البريطاني لها . حوادث كان فيها جنود بريطانيا العظمى يقتحمون بيوت الفلاحين ليس فقط للبحث عن الاسلحة ، بل لتدمير قوت الفلاحين من القمح والشعير والطحين والزيت ، أي تقويض مقومات البقاء على الأرض .

لماذا فشلت المعاصرة ؟

اذا كان الانسان « التقليدي » في دفاعه عن ذاته ونمط معاشه وطراز بيوته ومكانه في العملية الانتاجية التاريخية ، قد بدا فشله واضحاً في سياق العنف الاستعماري المتفوق الذي وجه اليه ، في وقت لم يكن فيه يمتلك المؤسسة المنظمة ولا المعرفة الكافية ، فان فشل « العصري العربي » كان أشد وضوحا ومأساوية . ذلك لأن الأول كان ـ على الاقل ـ يدافع عن هوية وعن بيئة تاريخية ذات سمات واضحة هدمها الغزو الغربي في طريقه الى الاسواق والمواد الأولية وطرق المواصلات ، أما الثاني فقد كان يتوقف عن الدفاع آملا في تحقيق مستقبل خاسر سلفا ، هو مستقبله كما تصوره على غرار الحاضر الغربي وبالتعاون معه وهكذا توازى فشل التقليدي والمعاصر ، وظل وعينا لهذا الفشل وادراكه هو المهمة التي لم تنجز حتى الآن .

لقد فقدت قوة العمل العربية سواء كانت ذهنية أو عضلية ، موضوعها ، أي المادة أو الطبيعة ، وفقدت تاريخها أي السياق الزمني الذي تترجم فيه وعبره فعالية اليد والفكر . وتدريجيا ومع نمو شروط التبعية الاقتصادية والاجتماعية أصبحت هذه القوة بلا قوة حقا ، لنتصور مجتمعا يقوم كيانه ـ أي تجمع أفراده وعلاقاتهم ونظمهم ومعتقداتهم ـ على شرط وجود نهر من الانهار ، وعلى أساس الاستغلال لهذا النهر والاراضي المحيطة به . ما الذي يكون عليه مصير هذا الكيان اذا نضب النهر ، وتفتت كل ما كان يسنده بالتالي ؟ هل يكون أمام أفراد مثل هذا التجمع الا التبطل وتشكيل حلقات مذاكرة قصائد الماضي وملاحمه والتمتع مؤقتا بمنتجات مجتمعات أخرى ؟ لا نشك أن مثل هذا المجتمع سرعان ما سيتحول الى مجرد كتلة لا فرق بينها وبين كومة الرمل وسيبدو بحثه عن الاصالة أو المعاصرة أو كلتيهما معا لغوا لا يمت

للواقع بصلة .

لذا فلا خيار ولا مقابلة بين الاتباع أو الابداع . فالمسألة لم تعد تتكيف في اطار الاختيار الحر بين موقفين ، لأنه في وضعية مجتمع مهمش على صعيد الانتاج ، ولا يمتلك وقتا ليكون تابعا إن أراد ، فقد بدأت مرحلة التبعية بالافول مع ازدياد تركز عملية الانتاج العالمي معرفة وبضاعة في أيدي أنظمة قليلة ، ومع ازدياد تهميش المجتمعات الثالثة : وبروز ظواهر الابادة ، ابادتها ، بالمجاعات والحروب الاقليمية والهجرات ، ان أحلام الهالكين أو تقديراتهم لا قيمة لها في الحصيلة النهائية . اذن ليس هناك الا خيار واحد ، هو خيار الابداع ، ليس بالمعنى التقني وهو ابتكار الوسائل البسيطة والفعالة لحل المشكلات ، ولكن بالمعنى الحضاري الشامل ، أي طرح الاشكالية بوصفها اشكالية صنع الحضارة . بكل ما يتضمنه ذلك من مقاومة وقدرة على انتزاع المجتمع من المنطقة الثالثة ، واعادته الى التاريخ والى الطبيعة والى نفسه ، والحقيقة أن الامثلة التي طرحها الدكتور فؤاد زكريا لايضاح نوع الابداع الممكن أي ابتكار وسائل بسيطة وفعالة لحل مشكلات تقنية معقدة لا يمكن فهمها الا في سياق نظرية استثمار العمل العربي ، وهي نظرية لا تستطيع أن تنجح الا بتحول مواز في الكيان كله . تحول فكري ومادي متكامل ، يعيد حركة البحث في النهوض الى البدهيات المنسية ، الانسان والعمل والزمن والمادة ، يروي « ابن عذاري المراكشي » في كتابه « البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب » هذه القصة ، يقول : « لما انهزمت جيوش جرجير سار عبد الله بن أبي السرح حتى باب مدينته العظمى « قرطاجنة فحاصرها بمن كان معه من المسلمين حصارا شديدا حتى فتحت ، فأصاب فيها من السبى والاموال مالا يحيط به الوصف ، وكان أكثر أموالهم الذهب والفضة . وكانت توضع بين يديه أكوام الذهب والفضة لأنه انتزع أفريقيا بكرا ، فعجب هو والمسلمون من كثرة ذلك ، فقال للأفارقة « من أين لكم هذا ؟ فجعل الرجل منهم يتلمس شيئا من الارض حتى جاء بنواة زيتون فقال « من هذا أصبنا الأموال لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فيمتارونه من هنا » .

ان موقعنا الراهن أمام عجائب منتجات الحضارة الغربية يشبه موقف هؤلاء الأسلاف وسؤالهم يشبه السؤال الذي دار في أذهاننا ونحن نواجه آلة الغرب المتفوق ، ولكننا لم نجد من يميل الى حفنة التراب ليقول لنا من هنا تبدأ الحضارة ، بل وجدنا من يشير الى ناطحة السحاب ، أو الطائرة ، أو الحاسب الآلي ، أو محطة الأقمار الصناعية . . ليضللنا . . ويضلل نفسه ، فهل نجد من يميل الى التراب مجددا ، ذلك الذي تنحل اليه كل هذه العجائب والنظم وعظمة الانسان ؟ □

محمد الاسعد

رأي الكرملي في اللغة العربية

يقول الاب أنستاس ماري الكرملي : إن اللغة العربية أسمى اللغات ، وإنها مفتاح اللغات جميعا ، لأنها قادرة على تصوير كل ما يدور في الفكر البشري وفي الطبيعة الانسانية ، وإنها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذي لا يوجد في لغة سواها ، وإن القصور في أبنائها الذين أترفوا ولا يريدون أن يتجشموا في سبيل لغتهم أي جهد .



التاترا البولندية

أرض الأسطورة والعنف والسحر الحزين

استطلاع : صلاح حزين

- جبليون يؤدون رقصاتهم الفلكلورية بين الجبال .



جبلي بملابسه المزركشة يؤدي احدى الرقصات



قبل الذهاب الى تلك المنطقة النائية في أقصى جنوب الحدود البولندية كانت كلمة « زاكوبانة » كبرى مدن المنطقة قد ترددت أمامي كثيرا بحروفها غير المتناسقة وجرسها الغريب . والى جانبها كانت تذكر كلمات الجبال وكراكوف والجنوب والتاترا والقرباط . ومن بين هذه الكلمات جميعا لم يكن يعني لى شيئا سوى اسم كراكوف .

يرتبط اسم كراكوف بأسماء ملوك بولندا العظام ، وشخصياتها المهمة وشعرائها وكتابها الكبار . . فهناك ولد جوزيف كونراد الروائي الكبير الذي حمل الجنسية البريطانية ، وكتب بلغة تلك البلاد بعض أهم الروايات الانكليزية في منعطف هذا القرن . وهناك ولد آدم مسكيفيتش ، شاعر بولندا القومي ، ودفن في مقبرة العظماء هناك في الكنيسة الواقعة ضمن أسوار القصر الملكي ، وهناك ولد وعاش البابا الحالي يوحنا بولص الثاني قبل انتخابه لمنصب البابوية . وكراكوف هي عاصمة الجنوب البولندي وكبرى مدنه،كما أنها العاصمة الثقافية والروحية للبلاد ، وبلد أقدم الكنائس،ومكان مناجم الملح الشهيرة . وهي معبر جميع القادمين من الشمال والوسط الى منطقة الجبال السياحية الشهيرة في جنوب بولندا . ومع عبور مدينة كراكوف والتوجه نحو منطقة الجبال ، تبدأ الألفاظ تأخذ معانيها وأشكالها المحددة ، وتحل طلاسم الكلمات ذات الوقع الغريب .

فالجبال هي جبال التاترا التي تقع على الحدود الجنوبية لبولندا المتاخمة لتشيكوسلوفاكيا ، والتاترا جزء من سلسلة جبال القرباط الشهيرة التي تمتد عبر تشيكوسلوفاكيا حتى رومانيا في الجنوب . أما زاكوبانة فهي أكبر وأشهر مدن الجزء البولندي من جبال التاترا . ومنها ينطلق السياح والزائرون من عشاق رياضة المشى على الأقدام أو التزلج على الثلج نحو الوديان والسهول والجبال المحيطة بالمدينة المنتشرة فوق عدد من التلال الخضراء .

وبحسب التقسيم الجغرافي للمنطقة فإنها تتكون من قسمين هما : السهول والجبال ، ويقصد بها هنا جبال التاترا البولندية ، تلك المنطقة الساحرة الجميلة التي يطلق عليها اسم يحتوى هذا المدى الشاسع من الخضرة والجمال والشلالات والصخور ، هو « حديقة التاترا الوطنية » .

لكن هذا الجمال الفائق الذي يأخذ الزائر ليس كل ما يعطي المنطقة خصوصيتها . فوراء هذا الجمال تاريخ من النزاعات الحدودية ، والصراعات السياسية ، والانتفاضات المسلحة ، والنشاط السياسي الممتزج بالخرافات والأساطير،التي تعطي كل ذلك بعدا شاعريا ، فهذه المنطقة الأخاذة من بولندا هي أرض الجمال والأساطير والعنف .

زاكوبانة

يبلغ عدد سكان زاكوبانة الأصليين ٣٠ الف نسمة . الا أن هذا العدد لا يمثل سوى جزء ضئيل من أعداد المترددين على المدينة طوال فصول السنة . فهي لا تشتهر بكونها مشتى جبليا يقصده الزائرون من مختلف انحاء أوروبا وحسب ، بل انها معروفة كذلك بكونها مصيفا ومنتجعا ومركزا صحيا مهماً . لذا فإن أعداد السياح الكبيرة لا تنقطع عن هذه المدينة ، التي تعتبر العاصمة السياحية لبولندا طوال فصول السنة ، وخصوصا في فصل الشتاء ، حيث يتوافد المتزلجون على الثلج فوق الجبال التي تكون قد استبدلت بلونها الاخضر لونا أبيض ناصعا ، ويتناثرون فرادى أو مجموعات بزحافاتهم الضخمة وعصيهم الأنيقة وملابسهم المزركشة . ويقدر المترددون على هذه المدينة بثلاثة ملايين سائح سنويا .

وطوال فصول السنة يطغى مشهد السياح الذين

يملأون شوارع البلدة على مشهد سكان زاكوبانة الأصليين ، بملابسهم الزاهية المزركشة التي يختلط فيها اللونان الأبيض والأسود مع الوان الصوف التي تحيط بالقبعات الصوفية ، ولون الأحزمة الجلدية العريضة بشكل ملفت للنظر حول خواصرهم . ويستثنى من ذلك مواسم الأعياد ، حيث تجتمع الفرق بملابسها التقليدية وأدواتها الموسيقية ، يرقصون ويغنون الأغاني الفلوكلورية مع النساء بملابسهن الزاهية الجميلة .

غيفونت وصخرة الغزال

منذ البداية ، يشد انتباه الزائر ذلك الجبل الرهيب الذي يذكر الناظر ، بفارس جليل ينام نومته الأبدية ، يشرف على المدينة بمهابة ووقار . انه « غيفونت » ، اكثر الجبال شهرة في تلك السلسلة التي تمتد على طول واحد وخمسين كيلو مترا ، بطول الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية . ويبلغ ارتفاع « غيفونت » ١٩٠٩ أمتار عن سطح البحر . ولدى الشروع في تسلق هذا الجبل تكتشف أنه في الواقع سلسلة من الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق . وان ما خلته ، عن بعد شقوقا في وجه وجسد الفارس النائم هي في الحقيقة شقوق صخرية كبيرة تغطي قمة الجبل - السلسلة بعد أن تبدأ الطريق ناعمة هادئة بالعشب الأخضر الخفيف ، الذي يحف بالجانبين على مقربة من الغابات الهائلة المحيطة بالمشهد . وحين تصعد أعلى قمم « غيفونت » لا تكتشف سر الشقوق الصخرية وحسب بل تكتشف سر الأسطورة التي أحاطت غيفونت على مر العصور .

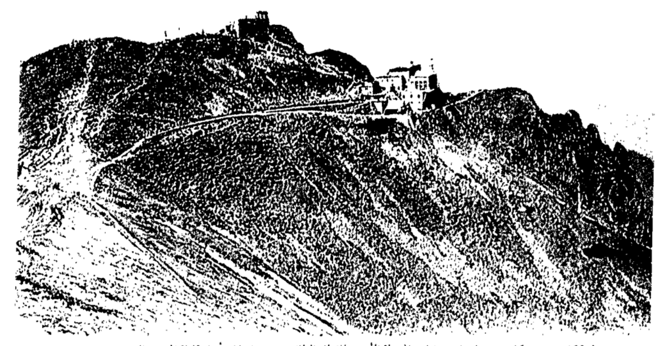
تقول الأسطورة ان « غيفونت » محارب قديم ، ناصر الحق وساعدعلى نشر العدالة في بقاع أوروبا المختلفة ومنها بولندا ، التي حارب فيها من أجل العدالة ، ثم نام ليستريح من عناء الحروب ، وبقي على نومته المهيبة تلك الى اليوم يذكر بالحق والقضايا العادلة .

لكن الصعود الى قمة غيفونت ليس بالامر السهل . بل انه يتحول الى نوع من المغامرة وخصوصا أثناء العواصف . لذا فقد آثرنا الصعود الى أقرب قمة منه ، وتعرف باسم « سارنيا شكاوا » . صعدنا اليها مع وادي « بياويغو » الذي يخترقه نهر صغير يأخذك الى أعلى الجبل . « سارنيا سكاوا » كلمة بولندية تعني صخرة الغزال وقد أخذ الجبل اسمه من تلك الصخرة البيضاء التي تعلو قمة الجبل . ومن هناك،من قمة « صخرة الغزال » يواجهك جسد غيفونت الصخري بكل جلاله وهيبته ، وتنظر الى الخلف فترى المدينة ممتدة أمامك ، تتلامح منازلها الخشبية المزخرفة من بين الغابات ، وخلف التلال الخضراء التي تقوم عليها زاكوبانة ، ومن هنا أيضا يسحرك مشهد جبال (غوباوفكا) التي يبلغ ارتفاعها ١١٢٣ مترا عن سطح البحر و ٣٠٠ متر عن زاكوبانة نفسها ، فهي تقع في طرف المدينة المقابلة للجبل المهيب .

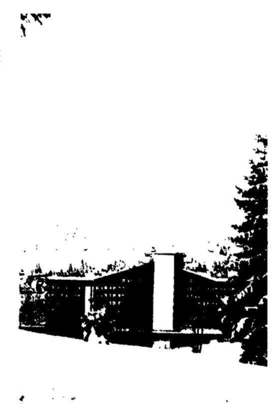
وجمال جبال « غوباوفكا » يختلف تماما عن بقية الجبال ذات القمم الصخرية البنية اللون . فهي جبال خضراء تكسوها الأشجار والحشائش والأعشاب . ومنها بامكانك التمتع بمشهد شامل لجبال التاترا البولندية من جهة،ولمنطقة السفوح من الجهة الثانية . ويعكس غيفونت الذي يصعب الصعود الى قمته هنالك أكثر من طريقة للوصول الى قمم جبال « غوباوفكا » ابتداء من القدمين الى القطار المعلق ، الى المصاعد الفردية التي تنقلك الى قمم اخرى عديدة . والقطار المعلق غير القطار الطائر الذي يصل بين القمم متجاوزا الوديان السحيقة . بل يصعد الجبل بواسطة مسننات مثبتة في اسفله .

الشاعر والقمة

لكن القطار المعلق والمصعد الفردي ليسا شكلي الانتقال الوحيدين بين قمم الجبال أو بين الجبال والمدينة ، فهناك أيضا القطار الطائر الذي يصل قمم الجبال الوعرة والمرتفعة بعضها فوق ببعض . وأعلى قمة يصل اليها القطار الطائر ، كما يسمونه ، هي قمة « كاسبرو في ، فيرخ » أى قمة « كاسبروفي » ، التي تستدعي على الفور اسما شهيرا في تاريخ الأدب والشعر البولندي هو « يان كاسبروفيتش (١٨٦٠ - ١٩٢٦) . ولا يكون هذا الاستدعاء بسبب تشابه الاسمين وحسب ، بل بسبب ارتباط هذين الاسمين بالمنطقة وسهولها وجبالها . وقد بدأ يان كاسبروفيتش زيارته للمنطقة عام ١٨٩٢ .ومنذ ذلك التاريخ واظب



ـ قمة كاسبروفي ، كاسبروفي فيرخ ، وتشاهد المحطة الأخيرة للقطار الطائر ، وعلى ارتفاع أمتار قليلة المرصد الشهير وفي مقدمة الصورة الحد الفاصل بين الحدود البولندية والتشيكوسلوفاكية



ـ فندق كاسبروفي في زاكوبانه تغطيه الثلوج .



ـ القطار الطائر المتجه الى كاسبروفي فيرخ فوق نهر بلا اسم



- بحيرة تشارني ستاف أو البركة السوداء - ومنها الطريق الى قمة « ريسي » أعلى قمم التاترا البولندية .



- مشهد لبحيرة مورسكي أوكو وحولها الجبال بألوانها المتدرجة ،وقدظهرت الى يمين الصورة قمة « منيخ » أو الراهب .



- صورة قريبة وواضحة لجبل غيفونت أو الفارس النائم .

على قضاء اجازاته بانتظام الى أن قامت الحرب العالمية الأولى ، فترك عمله في جامعة «كازيميريج » في مدينة (لفوف)واستقر نهائيا في مدينة هاريندا ، حيث توفى عام ١٩٢٦ ودفن هناك في مكان يشرف على مشهد جميل من جبال التاترا .

وعلى أي حال ، فليس هناك من علاقة بين الشاعر الكبير « كاسـروفيتش » واسم « كاسبـروفي » الذي يطلق على أطول شوارع مدينة زاكوبانة ، وعلى واد بجانب جبل كاسبروفي . بل ان أكبر وأفخم فنادق المنطقة يحمل هذا الاسم أيضا ، وذلك بخلاف القمة المذكورة التي يصلهـا الزائرون بالقـطار الطائـر أو « التلفريك » كما يقال له أحيانا .

يصـل القطار ـ الـطائر الـذي بني خلال عـامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ عبر مرحلتـين : الأولى تصل قمـة كوزنيتسي التي يبلغ ارتفاعها ١٠٥١ مترا ، ثم الى قمة كاسبـروفي التي ترتفـع ١٩٨٥ مترا عن سـطح البحر . وعلى ارتفاع امتار قليلة من المطعم والمقهى الذي يصل اليه زائرو القمة يوجد مركـز للأرصـاد الجوية يحتل احدى القمم العالية هناك . وبعد أمتار قليلة تجد نفسك أمام حجر كتبت على احد جـانبية عبارة « الحدود البولندية » وعلى الجانب الآخر عبارة الحدود التشيكوسلوفاكية » فقمـة كاسبـروفي تقع في وسط التاترا البولندية تماماً . وفي أقصى طرفها الجنوبي الملاصق للحدود التشيكيـة . وخـلال رحلة حس الانفاس التي يقطعهـا الزائـر قبل وصـوله الى قمـة كاسبروفي يشاهد أى هوة سحيقة تفصله عن الأرض التي اكتست بالصخور الناتئة أو بالأشجار العملاقة التي بـدت نحيلة مدببـة الـرؤ وس في أسفـل تلك البقعة .

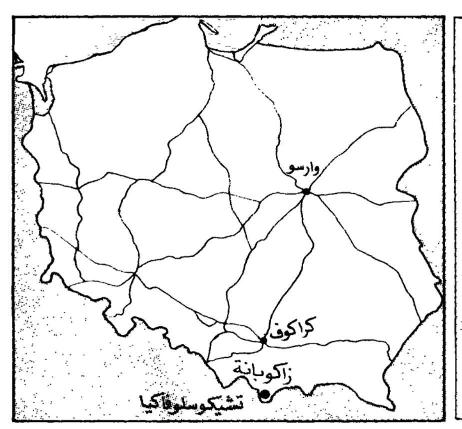
ارض السحر الحزين

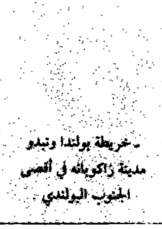
ربما كانت اكثر المناطق سهولة وجمـالا وقربـا من مدينة زاكوبانة هي وادي « خوخووفسكا » الذي أخذ اسمه من مدينة خوخووف المجاورة . وهو أكبر وديان المنطقة الغربية من جبال التاتـرا البولنـدية . ويمتـد الـوادي الذي يبلغ طـوله ١١ كم في بعض أطـرافه ليصل المناطق الخضراء من الجبال المحيطة التي تبرز من رؤ وسها الصخور لتشكل القمم العاليـة فيها .

وعلى امتداد هذا الوادي الشاسع الذي تحميه الجبال العالية والغابات من جهات ثلاث لا تبصر العين غير المراعي الخضراء ، التي تغطى بعض اجزائها الورود البرية بألوانها الزاهية ، والأحراش التي تكون تشكيلا جميلا على لون المراعى الأخضر العشبي ، بلونها ذي الاخضرار الداكن . وأمام هذه الخضرة الممتدة ينتاب المشاهد شعور بسحر حزين يميز هذا الوادي عن غيره من مناطق جبال وسهول التاترا البولندية . وعن بعد تتناثر بقع سوداء غير منتظمة فوق البسـاط الأخضر الممتـد في كل الاتجـاهات . وعنـد الاقتـراب منهـا تكتشف أنها أكواخ صغيرة بنيت من أخشـاب تلك المنطقة ببناء هندسي بدائي بسيط . انها أكواخ للرعاة والأغنام التي ضلت طريقها يأوى اليها الرعاة الذين حالت ظروف عديدة بينهم وبين العودة الى اطراف المدينة ، وتأوى اليها الماشية والأغنام من برد الشتاء الثلجي .

وبالطبع ، فان رياضة التزلج على الثلج هي أكثر أنواع الرياضة انتشارا في هذا الوادي . يساعد على ذلك خلوه من المرتفعات أو المنحدرات الخطرة . الا ان لريـاضــة المشـي مـيـزة خـاصــة في هــذا الوادي ،وخصوصا في أيام الصيف والخريف ، حيث تسير المجموعات أو الأفراد في اتجاهات مختلفة تتقاطع وتتباعد أو تختفي داخل الغابات ليلتقي أغلبها بعـد ذلـك أو قبله في الفندق السيـاحي القائم في زاويـة المثلث العليا من الوادي . فمن بعده الغابـات ومن جانبه تنفرج أطراف الوادي بشكل متدرج ، لتصل الى الجبال أو الغابات المحيطة .

ورغم أن هذا الفندق قائم منذ مدة طويلة ، إلا أنه أصبح أكثر شهرة بعد شهـر يونيـو / حزيـران عام ١٩٨٣ ، حين زار البابا البولندي يوحنا بولس الثاني موطنه . وطلب من السلطات السماح له بالذهاب الى وادي « خوخووفسكا » حيث كان يمارس رياضة المشي وتسلق الجبـال في أيام شبـابه ، عنـدما كـان كاردنيالا لتلك المنطقة قبل ترشيحه لمنصب البابـا ، وهناك ، صلى في الكنيسة الصغيرة القائمة بجـانب الفندق ثم طلب لقاء « ليخ فاليسا » زعيم النقابات البولندية المستقلة « تضامن » الذي كان قد افرج عنه من سجنه الانفرادي . وهناك حدث لقاء تاريخي بين




ـ خريطة بولندا وتبدو مدينة زاكوبانه في أقصى الجنوب البولندي

البابا وفاليسا لمدة لا تزيد على ربع الساعة . ولكنها كانت دقائق غير عادية ، فبعد انتهاء اللقاء طيرت وكالات الأنباء العالمية خبرا مفاده أن هذا اللقاء قد تمخض عن انتهاء المستقبل السياسي لواحدة من اكثر الشخصيات اثارة للجدل في بولندا والعالم . فقد أخبر البابا فاليسا انه ليس باستطاعته الاستمرار في دعمه بقوة كما حدث حتى تلك اللحظة .

واليوم ، يرى الزائرون لوحة برونزية تؤرخ لزيارة البابا تتصدر الفندق المذكور . وعلى بعد امتار تقف لوحة في بداية احدى الطرق المؤدية من أعلى الوادي الى الجبال المحيطة عبر الغابات كتب عليها « ممر البابا يوحنا بولس الثاني »

وهكذا كان من قبيل المفارقة الدرامية أن تشهد هذه المنطقة ذات الجمال الاخاذ ، نهاية أسطورة سياسية ، على يد اسطورة اخرى شهدت نفس المنطقة بدايات تكونها قبل تألق نجمها ، ونعني بها شخصية البابا التي لا تقل اثارة للجدل عن ليخ فاليسا .

أنهار بلا أسماء

بصعود الطريق الموازي لنهر ريبي بوتوك يمكن الوصول الى قمة « ريسي » . وهي العليا في بولندا كلها ، اذ يبلغ ارتفاعها ٢٤٩٩ مترا فوق سطح البحر . ولكن قبل الوصول الى تلك القمة عليك السير في محاذاة الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية مسافة طويلة قبل الوصول الى موقف عام للسيارات لا يسمح لها بتجاوزه ، وذلك للحفاظ على الطبيعة وحمايتها من التلوث الذي يسببه غاز العادم . ومن تلك النقطة على الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية ينطلق الباص في شارع متعرج ملىء بالمنحنيات الحادة والمنعطفات الخطرة ليشق الغابات الكثيفة التي تغطي الجبال المحيطة . وبعد ساعة من المسير الصعب يصل الباص آخر نقطة يسمح له بها ، لتبدأ بعد ذلك رحلة سير على الاقدام لمسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات بقليل . وعلى جانب الطريق المحاذي لنهر ريبي بوتوك الذي يفصل بين الدولتين الاشتراكيتين يقف سكان تلك المنطقة من الجبليين بملابسهم المزركشة وقبعاتهم السوداء يبيعون منتجاتهم من المصنوعات اليدوية . .

وريبي بوتوك هو أحد الانهار الكثيرة التي تنبع من قمم الجبال لتسير في الوديان نحو مصبها . لكن لهذا النهر اسم ومعظمها انهار بلا اسماء . وفي الافق بين صفي الاشجار التي تحف بالشارع ، تطل عليك بين الحين والآخر احدى قمم الجبال في تلك المنطقة تتميز

ـ الفندق السياحي تحيط به الجبال الشاهقة

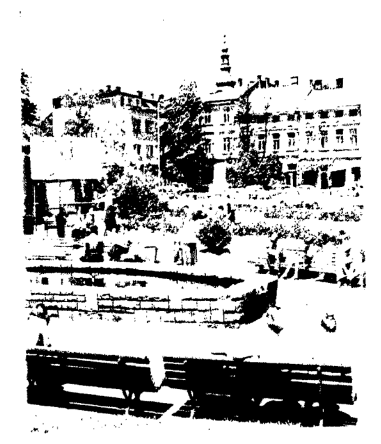


ـ أكواخ الرعاة والأغنام في وادي خوخوفسكا وعن بعد بدت قمة كامبينارسكي .

ـ عشاق رياضة السير على الأقدام يسيرون فوق الطرق المرصوفة بين الغابات .



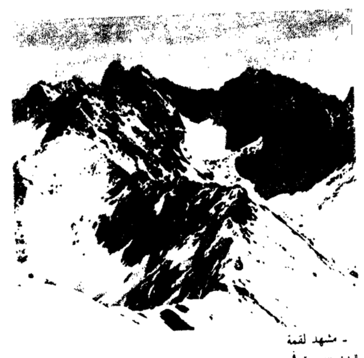
- الفندق السياحي في حوحووفسكا الذي شهد نهاية المستقبل السياسي لزعيم النقابات البولندية ليخ فاليسا



- الساحة الرئيسية في مدينة نوفي تارج .



- كنيسة خشبية في زاكوبانه



- مشهد لقمة « ريسي » في الشتاء ، أعلى قمم بولندا وارتفاعها ٢٤٤٩ مترا .

بشدة انحدارها والرأس المدبب لقمتها ، مما يذكرك بغطاء رأس الرهبان المميز ، انها احدى القمم العديدة التي تحيط ببحيرة « مورسكى اوكو » الشهيرة التي تقصدها مع الجموع السائرة على ضفة النهر الهادر عن يسارك ، وتدهش بعد ذلك حين تعرف ان اسم هذه القمة التي شاغلتك طوال الطريق هو قمة « منيخ » أي « الراهب » .

اسطورة عين البحر :

بوصولك الى مورسكى اوكو يخالجك الشعور بأنك في منطقة تختلف عن كل ماشاهدت حتى تلك اللحظة في منطقة الجبال .

وبحيرة «مورسكى أوكو» التي أعطت المنطقة اسمها هي واحدة من عدة بحيرات تتناثر في تلك المنطقة المرتفعة ، لكنها الأكثر شهرة . فهي الكبرى بين تلك البحيرات ، والثانية من حيث كمية الماء الذي تحتويه بين ضفافها،وهي الرابعة من حيث العمق . اذ تقع على ارتفاع ١٣٩٣ مترا فوق سطح البحر ، وتبلغ مساحتها نحو ٣٥ هكتارا ، الا ان عمقها يبلغ نحو ٦٠ مترا ، وهو عمق كبير جدا مقارنة بالمساحة الصغيرة التي تنتشر فوقها . وقد أدت تلك الظواهر الغريبة الى نسج الاساطير حول هذه البحيرة منذ القديم . وأهم واشهر تلك الاساطير هو الذي منح البحيرة اسمها « مورسكى أوكو » وتعني « عين البحر » . وتقول الاسطورة إن هذه البحيرة الشاهقة التي تقع في أقصى نقطة في جنوب بولندا تتصل عبر ممر مائي بالبحر الاسود في اقصى الشمال . وماهي الا عين لذلك البحر البعيد . وهي اسطورة ترمز الى وحدة الاراضي البولندية التي كثيرا ما انتهكت من جانب جيرانها عبر التاريخ . كما انها من جهة اخرى محاولة بدائية لتفسير ظاهرة جغرافية معقدة بالنسبة للوعي السائد في تلك الايام .

بين الخرافة والموسيقا :

وقد حيرت « مورسكى أوكو » العلماء وجذبت السياح زمنا طويلا قبل اكتشاف الحقيقة بشأنها عام ١٧٩٢ على يدي استاذ التاريخ الطبيعي في جامعة لفوف « يان كازيميريج » . فقد اختلطت حولها الاسطورة بالخرافة بالحقائق العلمية طويلا مما جعلها الأكثر شهرة بين البحيرات العديدة المنتشرة بين الجبال .

ففي سنة ١٧٢١ نشر غابرييل جاسينسكي ، وهو عالم طبيعي وشاعر كتابا امتلأ بالخرافات والاساطير ، بل والهراء . فقد جاء فيه مثلا مايلي :

« ومن الغريب أن توجد في أعلى اجزاء جبال القرباط بحيرات عظيمة تدعى اكبرها مورسكى اوكو (عين البحر) ، حيث يعثر المرء على حطام للسفن . ومن المحتمل ان يكون هذا الحطام قد انجرف الى هنا عبر ممر غامض تحت الارض » . وبعد ذلك بسنوات كتب بنيد كت خميلوفسكي كتابا اسماه « اثينا الجديدة » أو « اكاديمية كل العلوم » تضخمت فيه هذه الخرافات الى حد غير معقول ، فقد ذكر فيه مثلا عن وجود بعض حيوانات « الشاموا » التي لاتستخدم ارجلها في الحركة ، بل تستخدم قرونها في التنقل بين اغصان الشجر والصخور » .

ولكن هذه الخرافات بدأت في التلاشي مع افواج السياح وعلماء الطبيعة ومتسلقي الجبال الذين اكتشفوا البحيرة وقاسوا عمقها ، وبدأو في اكتشاف الجبال الشاهقة المحيطة بها على التوالي،لكن سحر مورسكى أوكو لم يتبدد باكتشاف هذه البحيرة المدهشة ، بل بقيت وحيا للكثير من الشعراء والكتاب والروائيين والموسيقيين والرسامين الذين صاغوا شعرهم من وحي سحرها ، ورسموها في اعمالهم الفنية بخلفيتها الغنية بجمالها ، أو استوحوا منها قطعا موسيقية جميلة . بل ان مشاهد درامية كاملة في قصائد وروايات ومسرحيات بولندية تتخذ من بانوراما مورسكى أوكو خلفية لها .

الا ان اسم « مورسكى أوكو » ارتبط بشكل وثيق بشاعر بولندا الكبير آدم اسنيك الذي كتب هو الآخر مجموعة من السوناتات حول البحيرة أيضا . ويقول في احدى مقاطع هذه السوناتات في وصف البحيرة .
« فوق جدار من الغابات /عصرتها الجدران العظيمة / التي استدارت حولها / تعكس المياه المعتمة لبحيرة داكنة/للعالم الساكن بين الصخور . »



بحيرة مورسكى اوكو فى لقطة من ضفة بحيرة تشارني ستاف

البركة السوداء :

ولا تذكر بحيرة مورسكى أوكو الا وتذكر معها بحيرة تعلوها بنحو ١٨٧ مترا تدعى « تشارنى ستاف » . وهو اسم تشترك فيه عدة بحيرات في تلك المنطقة ، لكن هذه هي الاكثر شهرة بينها لقربها من « مورسكى أوكو » وتشارني ستاف وهي كلمة تعنى « البركة السوداء » تقع في طرف سلسلة القمم الغربية التي تبدو كالأبراج حول بحيرة « مورسكى أوكو » . ويمكن الصعود اليها عبر طريق وعرة متعرجة . ورغم قصر المسافة النسبي بين البحيرتين والذي لايزيد على ١٨٧ مترا الا ان الزمن الذي تستغرقه الرحلة المضنية يزيد على الساعة .

ومن ضفة تلك البحيرة تجد نفسك في مواجهة أعلى قمم بولندا « ريسى » التي يفصلك عنها حاجز من الصخور المستديرة الضخمة ، وقد نبتت بينها غابات صغيرة من أشجار الصنوبر القزمة التي عجزت عن النمو بفعل الرياح والثلوج والامطار .

ورغم ان مساحة بحيرة تشارني ستاف لاتساوي نصف مساحة مورسكي أوكو ، الا انها اعمق منها ، اذ يبلغ عمقها نحو ٧٦ مترا ، وقد كانت هذه المنطقة الجميلة-التي اشتهرت في البداية لكونها غنية بالمعادن الكامنة في باطنها-موضع نزاعات حدودية متتالية مع الامبراطورية الهنغارية النمساوية ، التي كانت تضم تشيكوسلوفاكيا منذ نهاية القرن السادس عشر ، ولم ينته الا عام ١٩٠٢ .

ادباء وسياسيون وثوريون :

وبالطبع فان نزاع الحدود هو احد اشكال الصراعات السياسية التي عاشتها أوروبا ولم تنته منها الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . ولم يكن النزاع الحدودي الذي ذكرناه حول « مورسكى أوكو » غير واحد من نزاعات عديدة شهدتها منطقة الجبال البولندية عموما ، ربما كان اكثرها دموية فترة الاحتلال النازي الذي اعتبرها ارضا المانية ، واعاد تسمية بعض المدن باسماء المانية . فقد كانت النمسا انذاك جزءا من الرايخ الألماني الثالث . وحسب هذا المنطق فقد اعتبر هذا الجزء من بولندا الذي كان ضمن مستعمرات النمسا السابقة جزءا من الرايخ الثالث هو الآخر .

لكن النزاع الحدودي لم يكن اكثر من شكل من أشكال الاضطرابات السياسية التي اتخذت في بعض الاحيان شكلا دمويا صبغ سهول وجبال تلك المنطقة .

فمن بين انتفاضات وطنية وشعبية عديدة قامت في انحاء متفرقة من بولندا عبر تاريخها ، شهدت المنطقة

ماعرف بانتفاضة خوخووف عام ١٨٤٦ ، حيث هاجم الفلاحون المراكز الحدودية النمسوية ودمروها ، ثم امتدت الانتفاضة من خوخووف لتشمل مدن فيتوف وتسيخي وخيانيش وزاكوبانة وبورونين ، أي معظم مدن وقرى المنطقة في الجبال والسهول ، وقد قمعت هذه الانتفاضة بوحشية من جانب السلطات في ذلك الوقت .

ومع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي أخذ العنف الحدودي أو المسلح يتحول شيئا فشيئا ليأخذ شكل الكفاح السياسي والثقافي ، الذي يلازم في العادة انبعاث الشعور الوطني ، وبدايات تبلور الهوية القومية التي عانت بولندا من محاولات طمسها ، ربما اكثر من أي بلد أوروبي آخر .

ولمدينة بورنين التي تقع في السهول على ارتفاع ٧٤٣ مترا عن سطح البحر موقع خاص في تاريخ الكفاح السياسي الثقافي ، الذي تكلل باستقلال بولندا عن كل من روسيا القيصرية ، وجزئيا عن المانيا عام ١٩١٨ . فقد عاش في هذه المدينة ، أو تردد عليها عدد من المع شعراء وكتاب وسياسيي بولندا . وربما كان أشهرهم الشاعر فواديسواف اوركان و « يان كاسبروفيتش » الشاعر الذي سبق ذكره . والشاعرة آنييلا غوت ستابنيسكا » وهي شاعرة شعبية عاشت بين ١٨٩٤ - ١٩٥٤ ، وكتبت الكثير من الأشعار حول المنطقة .

كما عاش في بورونين العديد من الثوريين الروس الملاحقين من جانب القيصر ، أهمهم زعيم الثورة الاشتراكية الروسية فلاديمير لينين الذي عاش هناك بين ١٩١٣ و ١٩١٤ ، حيث قبض عليه بتهمة التجسس ، وأودع السجن الى أن اطلق سراحه بعد تدخل بعض السياسيين من النواب في البرلمان النمسوى عن المنطقة ، وبعد تدخل من جانب الشاعرين اوركان وكاسبروفيتش نجحت الوساطة وخرج من السجن ليغادر بعد ذلك الى سويسرا . وقد تحول المنزل الذي عاش فيه لينين الى متحف صغير في تلك المدينة الجميلة ، بعد أن كان فندقا صغيرا أثناء اقامة لينين فيه .

العنف يغير لون السهول

لكن ملحمة العنف والكفاح الحقيقية سطرت اثناء الاحتلال النازي لبولندا الذي استمر من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ . حين دخلت الجيوش الهتلرية المنطقة ، وبدأت أعمال القمع والاعتقالات لتصب في محرقة معسكرات الاعتقال النازية . ومن جانب آخر تصاعدت أعمال المقاومة من أشكالها البسيطة الأولى ، مثل توزيع المنشورات التي تحرض على الثورة والهروب الى تكوين عصابات الأنصار ، لتنتقل بعد ذلك الى أشكال أكثر فعالية تمثلت في تكوين فرق « اتحاد الكفاح المسلح » ، وكان ذلك عام ١٩٤٠ أي بعد مضي اشهر قليلة على الاحتلال النازي . وقد ذكر « فواديميرش فنك » في كتابه « الكفاح السرى بين القمم » ، ان سكان خوخووف أعادوا أمجاد آبائهم الذين قاموا بانتفاضة ١٨٤٦ ، وكرروا بطولاتهم أثناء فترة الاحتلال ، لكنهم دفعوا ثمنا افدح من ذاك الذي دفعه أسلافهم » فقد كان العدو أشرس بما لا يقاس .

وخلال تلك الفترة ساهم السياسيون والمثقفون ورجال المقاومة في اصدار الصحف والنشرات السرية التحريضية . وكان الاعدام أو الرمي بالرصاص أو الارسال الى معسكرات الاعتقال مصير الخلايا الثورية التي تكتشف . وهو ما حدث عام ١٩٤٢ عندما اكتشفت الخلية السرية الرئيسية التي كانت تنظم أعمال المقاومة هناك . ولم ترتفع المعاناة عن سكان منطقة الجبال الا بعد تحرير بلادهم من الجيش الهتلري عام ١٩٤٥ . لكن ذلك لم يمنع وقوع حوادث متفرقة في تلك المنطقة ، خصوصا بعد اعلان قانون الطوارىء في بولندا في ديسمبر ١٩٨١ ، فقد قبض على العديد من الزعماء المنتمين لنقابات العمال المستقلة (تضامن) الفارين . وهم يحاولون اجتياز الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية هربا من المطاردة . ولكن جاء اللقاء الشهير بين البابا يوحنا بولس الثاني وليخ فاليسا زعيم « تضامن » ، ليكون خاتمة الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة التاترا البولندية ، التي تختزل فوق قممها وخلال غاباتها وفوق سهولها تاريخا من الأساطير والخرافات والعنف السياسي والمسلح لم يفلح في تشويه الجمال الأخاذ لتلك المنطقة الفريدة من بولندا . □

وجهاً لوجه

الشاعرة **ملك عبد العزيز** و الشاعر **فاروق شوشة**

وهذه الرحلة مع عقل ووجدان الشاعرة ملك عبد العزيز محاولة للتعرف على أبعاد عالمها الشعرى وعناصره ومكوناته ، ورؤيتها للعديد من القضايا والمشكلات التى يطرحها الواقع الشعرى والادبي الراهن،يصحبها فيها شاعر من جيل الشباب ، واكب الشعر الحديث وأسهم فيه اسهاما طيبا .

* كانت هناك ضغوط اجتماعية تجنبتها باللجوء الى الرمز .

* يرجع الفضل في إشاعة مصطلح الشعر المهموس الى الدكتور مندور .

* أنا أكتب الشعر بفطرتي أكثر مما أكتبه من حصيلتى الثقافية .

تنتمي الشاعرة ملك عبد العزيز الى جيل الشاعرات العربيات الرائدات : نازك الملائكة وسلمى الخضراء وفدوى طوقان ويتميز صوتها من بينهن بظاهرة الهمس الشعرى ، والمزج الفني المحكم بين هموم الذات وهموم المجتمع في معادلة ناجحة ومحكمة .

ومن خلال دواوينها الشعرية المتتابعة ، أغاني الصبا ، وقال المساء ، وبحر الصمت ، وأن ألمس قلب الأشياء ، وأغنيات الليل ، تحققت معالم رحلتها الشعرية ، التي بدأتها ، وهي ما تزال طالبة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، تتلقى العلم على يد أستاذها الناقد الراحل الدكتور محمد مندور ، والذى اقترن بها فصارت شريكة حياته الحافلة والممتلئة بالنضال الفكرى والنقدي والسياسي ، مما كان له أعمق التأثير في عالمها الشعرى ووجدانها الثرى المرهف .

وللشاعرة ملك عبد العزيز مشاركات ذاتية في النشاط الثقافي والأدبي في مصر ، من خلال المتابعات الصحفية والمحافل الأدبية والشعرية ، كما أنها مثلت مصر في العديد من المؤتمرات الثقافية والمهرجانات الشعرية ، وهي الآن عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر ، ولها جهدها الموفور وحضورها المؤثر في نشاط هذه اللجنة الدائب خلال الأعوام الأخيرة .

أما الشاعر فاروق شوشة الذى أجرى هذا الحوار فهو أحد الأصوات الشعرية من جيل الشعراء ، أمل دنقل ومحمد عفيفي مطر ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وقد صدرت له خمس مجموعات شعرية هي : الى مسافرة - العيون المحترقة - لؤلؤة في القلب - في انتظار مالا يجيء - الدائرة المحكمة ، بالاضافة الى عدد من الدراسات الادبية والنقدية في مقدمتها ، لغتنا الجميلة ، ومشكلات المعاصرة - العلاج بالشعر - وأحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي - وأحلى ٢٠ قصيدة في الحب الالهى .

وهو المدير العام للبرامج الثقافية باذاعة القاهرة ، وأستاذ الالقاء والتذوق الأدبي في كلية الاعلام بجامعة القاهرة .

المكونات الأولى

● نبدأ من البداية : المكونات الاولى للشاعرة ملك عبد العزيز التى صنعت وصاغت وجدانها الشعرى ، وخلفيتها الثقافية . . .

- المنبع الأول لتكوينى الشعرى هو الشعر العربي القديم . بدأت رحلتى معه في سن مبكرة جدا قبل الدراسة الثانوية التى كانت تبدأ فى أيامنا في سن الثانية عشرة . قبل هذه المرحلة كنت أستمع الى أخوتي الكبار يقرأون المحفوظات الشعرية ، وكانت موسيقا الشعر تلفتنى اليه . وأذكر انى في طفولتي كنت اقرأ بشغف كل النماذج الموجودة فى كتب المحفوظات لا المقطوعات المقررة فقط ، وأعنى بعض المقطوعات التى تروقنى . واستطعت فى هذه السن المبكرة أن أقرأ كتب اخوتى الكبار ، بما فيها من نماذج الشعر الجاهلى والشعر العباسي .

وفى السنة الاولى من المرحلة الثانوية بدأ لقائى المدرسى مع مختارات من الشعر الجاهلى والعصر الاسلامى ، على مستوى كبير من الجودة ، وعرفت طريقى الى الشعر ، وتفجرت في اعماقى تلك الملكة الشعرية . واكتسبت الحس اللغوى ، والاحساس بالموسيقا الشعرية .

وفي الجامعة اتسعت آفاقى ، واصبحت أكثر اتصالا بالشعر الأجنبي ، وفي ذلك الوقت أعجبت بنوع خاص بالشاعر الانجليزي وردزورث الذى يتميز بعشقه للطبيعة ، واعتقد انى فى شعرى احتفل كثيرا بالطبيعة ، وفى سنوات الدراسة الجامعية كانت هناك جمعية تسمى « التعاون الفكرى » كان راعيها المرحوم الدكتور محمد مندور ، لكنه لم يكن رئيسها ، وقد فكر فى انشائها أحد الطلبة هو المرحوم محمد عبد العزيز اسحاق . كانت هذه الجمعية عظيمة الفائدة لنا جميعا ، لان كلا من أعضائها إذا قرأ كتابا أعجبه أو قصيدة أعجبته ، فلا بد أن يشرك الآخرين فى تذوقها ومدارستها ، وعن طريق هذه الجمعية عرفنا الدكتور مندور بأشعار الفرنسيين الذين كانوا يمثلون أصوات

التجديد فى ذلك الوقت ، مثل رامبو وفيرلين وبودلير وفاليرى . . ثم عرفنا أيضا بشعراء المهجر . هذا التعريف المزدوج ، مع اتساع الافاق نتيجة الاتصال بالثقافة الأجنبية اعطاني القدرة على التعبير الذى كنت عاجزة عنه من قبل ، وهو التعبير عن المشاعر الخفية المرهفة وليس المشاعر الواضحة او ذات اللون الواضح الصارخ ، كما جعلنى اقدر على استخدام الرمز (ن) بعد أن كان الشعر ينصب مباشرة ويستنفد ذاته فى كلمات قليلة .

● دراستك الأساسية فى كلية الآداب كانت فى قسم اللغة العربية ، وكانت عميقة الاتصال بالأدب العربي والثقافة العربية . ماذا أضافت اليك هذه المرحلة من الدراسة ؟

ـ هذه الدراسة فى الحقيقة جعلتنى أصل الى الاصول الشعرية التى لم تكن على مقربة منى من قبل ، فقد بدأت التعامل مع دواوين القدماء ذاتها ، ولا أكتفى بالنماذج او المختارات او الشذرات الموجودة فى كتب الادب العامة . وفى تلك الفترة تعرفت تعرفا حقيقيا على الأدب الجاهلى وأحببته ، لانه أصدق كثيرا من شعر العصور التالية له ، التى أصبح الشعراء فيها يحاولون تقليده دون أن يصلوا الى صفاته وأصالته . وكان هذا كسبا عظيما لي تمثل فى الاحساس باللغة احساسا كاملا ، بطبيعتها وصورها وموسيقاها وفنها الأصيل .

● مع بداية التعبير عن ذاتك الشاعرة من خلال قصائدك وعالمك الشعرى الخاص ، هل كنت تحسين بلون ما من القيود أو الخطر على مشاعرك وأحاسيسك ، فى وقت لم يكن صدر المجتمع يتسع لهذا الافضاء والتعبير ؟

ـ طبعا كانت هناك ضغوط اجتماعية شديدة ، حتى وان لم تكن مباشرة ، فأنا كنت استشعرها فى داخلى ، ومن هنا فقد كان الرمز مخرجا لي في الخروج من هذه الحيرة او صعوبة التعبير ، وفى نفس الوقت يبدو أنها طبيعتى أننى الى حد ما الجأ الى التجربة ، بمعنى أننى لا اتحدث عن الحدث ، ولكن عن الموقف الذى صنعه الحدث ، أو المشاعر التى فجرها الحدث . وهذا كان ينجينى اجتماعيا الى حد كبير ، وان كان فى الوقت نفسه اسلوبا فنيا وجدت نفسي فيه .

إضافات مندور

● على ذكر الناقد الراحل الدكتور محمد مندور الذى برز فى هذه الفترة من حياتك الجامعية كأستاذ ومعلم ورائد واب روحى لجمعية التعاون الفكرى ، ثم تحولت هذه العلاقة وتطورت بين الاستاذ وتلميذته الى رفقة حياة خصبة ومثمرة .

ماذا اضاف اليك الاقتراب من عالم الدكتور مندور كتلميذة وزوجة ورفيقة حياة ؟

ـ كان اعظم ما اضافه اليّ ان موارد الأدب ـ بفضله ـ اصبحت قريبة منى ، كتب الشعر الفرنسي والانجليزى مثلا فى مكتبته الحافلة ، بالاضافة الى دوره كملهم لشباب الجامعة فى سنوات الدراسة ، عندما كانوا يتحلقون حوله من خلال اهتماماتهم بشتى ألوان الفنون ، فالدكتور مندور كان موسوعيا ، ولم تكن ثقافته محصورة فى الأدب العربي أو الادب الفرنسي ، أو حتى الادب اليوناني ، وانما كان على صلة عميقة بتاريخ الموسيقا والفن والحضارة ، وكانت ثقافته المتشعبة جدا تجذب اليه الشباب ، الذى كان يعاملهم كأبنائه ثم كاخوته .

الهمس فى الشعر

● كيف ترين امتداده واستمراره فى تلاميذه من بعده ، نقاد وفنانى ومثقفى هذا الجيل ؟

ـ فى الواقع من الصعب التحديد فى هذا المجال . لكنى اعتقد ان كثيرين قد تأثروا بدعوته الى الهمس فى الشعر ، ثم بدعوته الى الاحتفال بالأثر الاجتماعى ، وأحسب أنهم قد تأثروا به بصورة واضحة ، سواء منهم الذين تتلمذوا عليه بطريقة مباشرة أو غير

مباشرة ، وهم منتشرون الآن فى وزارة الثقافة وفى المسارح وفى الاذاعة وفى التليفزيون ، وأثرهم واضح فى النهضة الثقافية .

● من بين اهتمامات الدكتور مندور النقدية كان اهتمامه الأساسى بالشعر ، واليه يرجع الفضل فى اشاعة مصطلح الشعر المهموس او الهامس . . والتصقت بشعرك هذه التسمية على نحو خاص ـ هل توافقين على هذه التسمية وهل ترين فيها الصفة الرئيسية والمميزة لعالمك الشعرى ؟

ـ كان الدكتور مندور يقصد بالهمس الصدق . . الصدق الانسانى ثم بالطبع الصدق الفنى ، من هذه الناحية يمكن ان يقال ان شعرى ينطبق عليه هذا المفهوم . . .

اما اذا فسر الآخرون مصطلح الهمس على انه النبرة الخافتة فليس كل شعرى نبرة خافتة . . هناك قصائد فيها عنف ، ولكن فيها الصدق الذى قصده الدكتور مندور ايضا . واعتقد أن قصيدة « أخي » لميخائيل نعيمة التى اختارها كنموذج للشعر المهموس لم يكن بها همس بالمعنى اللغوى ، اى لم تكن هادئة تماما ، وانما كانت تمتلىء بثورة مكبوتة أو مضغوطة . . فالاساس فى الهمس هو الصدق ، لا مجرد النبرة الخافتة كرد فعل للخطابية أو النبرة الزاعقة . . والذى أثار الدكتور مندور ليس شيوع الخطابية فى مجمل الشعر العربي ، وانما تحول هذه الخطابية فى كتابات المتأخرين الى رنين خاو . . . هى عند المتنبى كانت تعكس موقفا ، او تعكس فكرا ، اما عند هؤلاء المتأخرين المقلدين فقد أصبحت مجرد الفاظ خاوية لا تعكس احساسا صادقا ولا فكرا ، ومن هنا كان الدكتور مندور يرفضها ، وقد أعلن فى كتاباته الاولى صراحة انه معجب بشعر المتنبى وشعر فيكتور هيجو وكلاهما شعره خطابي . . لكنه شعر رائع على الرغم من هذه الخطابية ، اما ما شاع فى عصرنا الحديث من الشعر الخطابي الأجوف فقد أثاره ، وأراد أن ننتقل الى مرحلة حضارية نتخاطب فيها بصوت أقل جهارة وأكثر صدقا .

● هذه فرصة لنعرف ما لم يكتبه الدكتور مندور عن شعر الشاعرة ملك عبد العزيز . . . ماذا كان رأيه فى شعرك وتقييمه لرحلتك الشعرية ؟ خاصة وهو لم يسجله فى مقال أو كتاب ؟

ـ فى الحقيقة كان رأيه بشكل عام أنه شعر جيد ، لكنه لم ينقده نقدا تطبيقيا . وأذكر أنه فى كتابه « فن الشعر » . . استشهد بقصيدتى « ذكرى جواد » الموجودة فى ديوانى الاول « أغانى الصبا » . . على انها نموذج لامتزاج النَفَس الوجدانى بالنَفَس القومى ، وقال إنها من أجمل ما قرأه من شعر . . .

لكنه لم يتوقف بالتحليل أو الدراسة لشعرى الا فى مقال كتبه لجريدة الجمهورية على صورة حوار بينى وبينه . . وللاسف لا تسعفنى الذاكرة الآن بما جاء فيه من آراء وانطباعات . . .

وللامانة والتاريخ ، لقد كنت أنا وراء ابتعاده عن الكتابة عن شعرى ، وكان اصرارى هذا مبعثه الا يظن أحد أنه يجاملنى بالكتابة عنى وانا زوجته وأم أولاده . . ، وانه غير محايد كما هو مفروض فى النقد . . . .

الدواوين الخمسة

● لو عكفنا الآن على تأمل رحلتك الشعرية من خلال دواوينك الخمسة المتتابعة . . ما هو رد الفعل عند صدور ديوانك الاول « اغانى الصبا » ؟

ـ قوبل الديوان مقابلة حسنة لا بأس بها ، لكن الذى أثر فيّ كثيرا ، ان سيدة لا أعرفها قرأت الديوان وجاءت لتحيينى على قصيدة بعينها اعطتها أملا فى الحياة ورغبة فى المقاومة والصمود أمام الصعاب .

فى الحقيقة لقد خجلت من نفسي ، وشعرت بمسئولية الشاعر أو الكاتب بأكثر مما كنت اتصور .

وبدأت اتساءل هل فيما كتبته ـ غير هذه القصيدة ـ ما يعطى أملا للناس أم أنه مجرد تعبير ذاتى عن نفسى ولا يقدم ما قدمته هذه القصيدة ؟

● فى هذا الوقت كان المجتمع الأدبي يموج بمفاهيم ودعاوى مختلفة . الفن للمجتمع والفن للفن . . الأدب الملتزم وغير الملتزم . . وبدايات الكتابة الواقعية . . .

أنت كشاعرة وسط كل هذه الدعاوى . . اين كان موقفك وانتماؤك ؟

ـ فى الحقيقة أنا كشاعرة أكتب بفطرتى أكثر مما اكتب من حصيلتى للثقافة ، طبعا الشاعر لا يمكن أن ينعزل عن الحياة ، لكن ما معنى الحياة ؟ ، البعض ينظر اليها نظرة ضيقة على أنها عالم السياسة وعالم الاقتصاد ، وآخرون ينظرون اليها نظرة شاملة على أنها كل ما يعنى الانسان ، والانسان تعنيه اشياء كثيرة فى الاقتصاد والسياسة والحب والحزن ـ وغيرها ، واعتقد أننى أقرب الى النظرة الواسعة . . .

● هل ثمة تغير فى موقف ورؤية الشاعرة ملك عبد العزيز عن حدود هذه النظرة التى صاحبتها فى البداية ؟ ما الذى طرأ بعد رحلة التعبير الطويلة والثرية والمعاناة المستمرة القاسية ؟

ـ ربما عندما أخرج من ذاتى كشاعرة وأنظر اليها كناقدة ، أجد الأشياء الخاصة ـ هناك الرغبة او الدعوة الى العدل والمحبة والسلام مثلا ـ الدعوة الى رفض الجدران سواء الجدران المادية او تلك التى تقوم بين الناس،والرغبة فى الأخوة والالتحام بالناس والمحبة بين البشر . . . هذه أشياء أقصدها ولكنها ترددت فى شعرى .

● المتابعون لك يعرفون أنك فى طليعة من يمثلون الفكر الانسانى التقدمى . . لا تضنين بالمشاركة السياسية والانتماء والارتباط بقضايا الناس وهمومهم ، وما يحقق مصلحة المجتمع . . هذا الانتماء ملمح أساسى من ملامحك ، كيف انعكس لديك شعرا ؟

ـ انعكس انعكاسا تلقائيا . عندما يكون هناك موقف او قضية انسانية أو سياسية أو وطنية ، فمن الطبيعى أن أجد نفسى وهى تعبر عن بعض هذه المواقف ، لكنى لا اقصر نفسى على شيء . ولكنى بطبيعتى أنفعل بما ينفعل به من يعيش فى هذا الوطن . . ولا بد اذن من مشاركة ، وشعرى بالاضافة الى نشاطى الاجتماعى أو السياسي ، كل منهما فى الواقع يكمل الآخر ، ويؤدى مالا يؤديه الآخر من دور بمفرده .

● كيف تم ارتباطك كشاعرة ـ ونحن ما زلنا فى اطار ديوانك الأول أغانى الصبا ـ بصورة القصيدة الشعرية الجديدة ، قصيدة الشعر الجديد او الشعر الحر ؟ متى احسست ان هذه الصيغة الشعرية هى مجالك التعبيرى الدائم والمستمر ؟

ـ فى هذا الديوان الأول تصرفات كثيرة فى القصيدة العمودية ، فهى لم تجيء على الصورة التقليدية تماما ، انما جاءت فيها التنويعات والتوزيعات التى ابتدعتها مدرسة المهجر وجماعة أبوللو ، وداخل هذه التنويعات كانت لى تنويعاتى انا الخاصة ، فكنت أراوح بين الأشطر طولا وقصرا بحسب الاحساس النفسى والفنى ، ولم يكن هذا مقصودا ولكنى تركته للتلقائية . وهناك قصائد لو تركتها تكتب بالشكل الحر لكانت حرة لان بها اختلافات فى الايقاعات والصيغ الموسيقية .

وفى نهاية دراستى الجامعية ، وجدت نفسى اكتب بالطريقة الجديدة دون ان أجرؤ على أن أتم شيئا ، شعرت أن هذا خطأ أو ليس صوابا . ثم حدث أن توقفت وانقطعت فترة عن الشعر بعد زواجى مباشرة وشغلت بالحياة المنزلية ، وعندما عدت الى الشعر كانت هذه المدرسة الجديدة قد انتشرت وثبتت اركانها وتأكدت ، فوجدت نفسى بالطبيعة أكتب على هذه الصورة . . . .

واقع الشعر الحديث

● كيف ترين الآن حاضر الشعر الجديد بعد حوالى خمس وثلاثين سنة من بداياته ؟ وما هو تقييمك لواقع هذه الحركة الشعرية الراهن ؟

ـ اعتقد ان الشعر الجديد سيظل كما قدر له من البداية طبقا للصيغة والقواعد التى أرساها رواده . وألاحظ أن البعض الآن يكتبون نثرا ، أنا لا أوافق على هذه الكتابات ، واعتقد ان الموسيقا عنصر أساسى فى الشعر ، لانها ليست مجرد حلية او ايقاع اضافى ، ولكنها جزء من التعبير عن النفس تعجز عنه الألفاظ .

قصيدة النثر هذه ربما اعتبرتها فنا أدبيا غير الشعر اذا تكاثفت فيها الصور بحيث تعوضها بعض ما تفقده من فقر الموسيقا وترتفع بها عن الكلام العادى ، ولكن هذا قليل ونادر فيما يسمى قصيدة النثر . وهذه السهولة ـ باعتبارها نثرا ـ تدعو الكثيرين الى كتابة أى شىء وتسميه شعرا .

● ما رأيك فيما يثار حول حركة الشعر الجديد من بعض الأصوات المتشائمة التى ترى ان روافد الحركة قد أخذت تجف وتدخل فى مضيق ، ووقعت أجيالها الجديدة فى الغموض والسطحية والضعف الموسيقى والعروضى واللغوى . . ؟

ـ هناك الآن من الشعراء من يتابعون الحركة كما بدأت على أيدى شعرائها الرواد ، وبعضهم شعره جيد ، وان كانت وسائل النشر لم تبرزهم ولم تعطهم حقهم على الساحة . . أسماء بعضهم معروفة والاخرى تغترب وهكذا ، ولكن هناك بعض الأسماء التى يمكن أن نحترمها بالنسبة للشباب الذين يكتبون بهذه الطريقة .

وهناك تيار جديد أغرق فى الغموض ، بحيث أصبح كأنما يحدث نفسه ، وقد قرأت بعض هذا الانتاج ، وهناك درجات ومستويات من الغموض من الممكن تقبلها ، لأنها قد توحى بشىء ، وأنا أتقبل هذا ، وان لم أفهم فهما مباشرا ، لان القصيدة قد تعلو الى جو بعينه ، ولكنى احيانا اخرى أعجز عن أن اجد هذا الجو ، وابذل جهدا كبيرا يضنينى ثم لا اصل الى شىء . . هذا ارفضه تماما . .

عن شعراء السبعينيات

● هذه فرصة لأسألك الرأى فيما يسمى الآن بالانتاج الشعرى لجيل السبعينيات . . وحتى الثمانينيات ، هذا الجيل الذى يملأ انتاجه الصحف والمجلات ، ونماذجه هى المسئولة عن اعطاء فكرة عن واقع الشعر الجديد بالنسبة للقارىء العام . . باعتبارها الأكثر انتشارا ودورانا . . .

ـ الواقع أن شعراء السبعينيات الذين نطلق عليهم هذا اللقب هم جماعتان بعينهما . . ربما كانتا أعلى صوتا وأكثر ضجيجا . . ولكن لا ينفى هذا وجود شعراء آخرين أقل ضجيجا ، ولكنهم يسيرون على السمت الصحيح . اتيح لي فى العام الماضى أن أحضر مهرجان الشعر فى بغداد وكان به شعراء شباب من كل أرجاء الوطن العربي ، ووجدت أن الأكثرية تكتب بالاسلوب السليم أو الطريقة الصحيحة . . ربما هناك بعض أخطاء لغوية أو عروضية فى بعض الحالات ، لكن هذا يمكن تداركه بالدراسة . .

وهناك تجارب شعرية ناضجة تماما وتخلو من هذه الأخطاء . . الأقلية فقط هى التى تكتب بالطريقة الغامضة الملغزة .

● ماذا تقصدين بتعبير : الاسلوب السليم او الطريقة الصحيحة فى كتابة القصيدة الجديدة ؟

ـ اقصد الاسلوب الذى الفناه منذ ظهرت هذه المدرسة .

● الم يحدث عليه تغيير أو تطور ؟ هل الشعراء الجدد الآن يكتبون بطريقة نازك والسياب والبياتى وصلاح عبد الصبور وغيرهم من الرواد ؟

ـ طبعا هناك الآن رمزية أكثر وغموض أكثر . . ولكن مع ذلك ، نستطيع أن نقول أنها امتداد طبيعى لما سبق ، أما الامتداد الملغز فهو الذى أرفضه ، واذا كنت ـ وانا المتمرسة بكتابة الشعر وقراءته منذ الصبا الباكر حتى الآن ـ لا أجد تواصلا بينى وبين هذا الشعر ، فما بالنا بالقارىء العادي .

● مـاذا عن ديـوانـك الثـانى « قـال المساء » ؟

ـ هذا الديـوان يمثلني في أواسط الثلاثينيـات من العمر ، وأحسست أنني لم أنجز ما كنت أحلم به في طفولتي ، من أن أكون شاعرة معطية ، فـأحسست بشيء من الأسى أو الالم أو ما هو أكثر من الأسى . فالمساء هنا هو مساء العمر ، عمرى أنا ، فانا أسائل نفسي : قال المساء ما صنعت في نهارك الطويل ؟

من هنا جاءت تسمية المساء ، باعتبارها ذات دلالة رمزية .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « بحر الصمت » ؟

ـ هو الزمن . هذه أجدى المسائل التي وجدت أنها تشغلني ، طبعـا لم اتعمـد أن أكتب فيهـا ، لكن وجدت أنها تشغلني حتى من سن الصبا ، حيث لا يفترض في الانسان أن يلتفت الى الزمن ، لكنى كنت أشعـر . دائما أن الـزمن يحـطم الأشيـاء ، والنـاس تتحـطم بينما هـو باق وسـرمدى ، وكـل اللحظات الجميلة تنتهى ، لذلك لي قصائد كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع ، من زوايا وجوانب مختلفة . والزمن في تصورى كائن جبار قوى ممتد من الأزل الى الأبد ، يحتـوينا ويفنينـا ويحتوى كـل شيء ويفنيـه ، ونحن باعتبارنا نحاول الخروج من أسره أو التغلب عليه ، نلوذ بـالفن ، بالكتـابة ، بـالتعبير . . بينـما يحـاول الانسان العادى أن يخـرج من هذا الاسـر بالحلم ، بالعالم الآخر أو الحياة الباقية الخالدة . . فالانسان لا يتقبل أبدا فكـرة فنائـه ، وانما هـو يحلم دائما بعـالم مستمر .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « أن ألمس قلب الأشياء » ؟

هـذه هي الفكرة الثـانيـة التي تعنيني ، وهي الا تكون العلاقات بين البشر سطحية أو نفعية ، وانما أن يكـون هنـاك التحـام صـادق قـوى بـين النـاس ، وعلاقات حميمة دائمة . واحسـاسى فقط ليس إزاء الناس ، وانما أيضا ازاء الطبيعة فلست أشعر بأني جزء منفصل عنها ، وانما أنا جزء ملتحم بها ، ومن هذا المنطلق اتحدث من خلالها .

● وديـوانـك الخـامس : أُغنيـات الليل ؟

هل الليل هنا ايضا له مدلول رمزي ؟

ـ الطبيعة عندي دائما ممتزجة باشياء اخرى ، كما يحـدث في الفن السيريـالي،الرجـل الجبـل او المرأة الشجـرة ، فدائـما يمتزج الانسـان بالـطبيعة في كـل واحد . وربما كانت الروح الرومانتيكية جوالة تسيطر عـلى جو هـذا الديـوان . كل مـا هنـالـك ان الفن التشكيلي يعطينا الاحساس دفعة واحدة ، اما الشعر فيعطينا الاحساس درجة بعد درجة وكلمة بعد كلمة وصورة بعد صورة ، فهو اكثر امتدادا في الـزمان . ولقـد كنت اتمنى لو كنت مـوسيقية بـدلاً من كـوني شاعرة ، لان الموسيقا فن تجريدي صرف يستطيع ان يعبر عن كافة الخلجات التي لا يستـطيع الفكـر ان يترجمها باللغة . ومهما جردنا هذه اللغة وحاولنا جعلها شفافة وطائرة فهي في النهاية مدلول عقلي ، بما يؤدي الى الاحساس بالعجز .

زحمة الاهتمامات والشواغل التي يعيشها المجتمع العربي الآن،ما هو احساسك ورؤيتك لوضع الشاعر في هذا المجتمع ؟ ومدى اهتمام الآخرين بمتابعته ؟

ـ زحمة الاحداث لا تتـرك فرصـة لمتابعـة الفنون الراقية ، ولكن مع ذلك عنـدما تقدم هذه الفنـون للناس بالفعل فانهم يقبلون عليها ، واعتقد ان وسائل الاعلام عليها مسئولية كبيرة،ولها تـأثير كبـير في هذا المجال .

● سؤال آخر عن رأى الشاعرة ملك عبدالعزيز في رفيقات دربها الشعرى من الشاعرات العربيات الكبيـرات : نازك المـلائكـة وفـدوى طـوقـان وسلمى الخضراء .

ـ نازك يغلب عليها عالم الاستبطان الذاتي والتأمل الداخلي ، وهي تبرع في هذا براعة كبرى .

فدوى مغنية للمشاعر الانسانية في طلاقة وبهجة ، حتى اشعارها الحزينة تعطينا الاحسـاس بالبهجـة ، لانها صادقة ومنطلقة .

سلمى هي اكثر تعمقا ورمزية من سابقتيها . . ربما ، وقادرة على خلق الصور الجديدة الممتازة . □

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

التدخين

هـــذا المبيـــد الـبشـــري

بقلم الدكتور : بدوي بدران*

« كل سيجارة تدخنها تدق مسمارا في نعشك » عبارة تحولت الى كلمة يرددها الاطباء - والسيجارة بين شفاههم - وهم يؤكدون أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة . . ويتمثلون بأن محلول النيكوتين كان يستعمل في رش الحقول والمزروعات كمبيد حشري . . فهل آن للانسان ان يتخلص من هذا المبيد البشري . . ؟

إن أول الدلائل عن التدخين ترجع الى المؤرخ اليوناني هيرودتس والذي ألمح فيها أن بعض القبائل كانوا يستنشقون دخان بعض النباتات بعد حرقها .

ولكن اكتشاف التدخين يرجع الى اكتشاف امريكا عام ١٤٩٢ عندما لاحظ كولومبوس وجماعته أن سكان جزيرة قواتشان التي سميت فيما بعد « سان سلفادور » كانوا يحرقون نوعا معينا من النباتات ثم يجتمعون حوله ويأخذون باستنشاق دخانه بشغف وتلذذ ، وأن البعض كان يمضغ أوراق هذه النباتات ، التي سميت فيما بعد بالتبغ ، والتي أصبح يصنع منها فيما بعد لفائف السجائر .

وعندما رجع بعض البريطانيين المهاجرين من امريكا الى بلادهم ، أحضروا بذور هذه النبتة معهم وأخذوا يزرعونها ويصنعون منها السجائر .

أما نبتة التبغ فقد دخلت الى فرنسا لأول مرة عن طريق سفيرها في البرتغال جان - نيكو ، الذي نصح الملكة كاترينا ملكة فرنسا وأحد أبنائها باستعمال ومضغ أوراق التبغ لوجع الرأس . ومن هنا جاءت تسمية المادة السامة في التبغ بالنيكوتين نسبة الى هذا السفير جان - نيكو .

وفي أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر أصبح التدخين ينتشر بسرعة في أوروبا ومنها انتقل الى جميع أنحاء العالم .

انتشار التدخين :

التدخين أكثر العادات السيئة والضارة انتشارا بين الناس ، إذ تدل الاحصائيات على أن أكثر من نصف الرجال ، وكذلك ما يقرب من ربع الناس في العالم يدخنون وبمقادير متفاوتة .

ففي بريطانيا تقدر نسبة المدخنين من الرجال بـ ٦٥٪ ومن النساء حوالي ٤٠٪ كذلك في امريكا فان نسبة المدخنين تبلغ حوالي ٦٠٪ من الرجال و ٣٥٪

* الدكتور بدوي بدران نعيم اخصائي الامراض الداخلية والقلب . عمان - الاردن .



من النســاء ، وتدل الاحصــائيــات عــلى أنــه حــوالي (٢٨٠ , ٠٠٠) سيجارة يتم تدخينها كل دقيقة فما بالك كل ساعة أو في اليوم الواحد .

وعادة التدخين تبدأ في سن الطفولة والمراهقة وفي سن الشبـاب . . . ومن أهم أسباب التـدخـين أن الأطفال والمراهقين يهوون تقليد من هم أكبر منهم سنا أو تقليد والديهم ، وعلى اعتبار أن التدخين نوع من المودة يجمع بـين الأصدقـاء ، كذلـك فإن الـذكور يبدأون التدخين في سن أبكر من الفتيات .

والسبب غير المباشر الذي يجعل المدخنين يولعون بالتدخين هو شعورهم بالانتعاش ، والاحساس بأن عقليتهم قد تنشطت ، وأن قدرتهم على العمـل قد زادت ، ويأتي هذا الشعـور نتيجة لتـوسع شـرايين الدماغ بسبب تـأثير النيكـوتين الموسع للشـرايين ، والتحسن المؤقت للدورة الدمويـة في الدمـاغ لعدة دقائق ، فيشعر المدخن بتحسن في مقدرته الذهنية وأن صداعه قد زال ، ولكن بعد فترة وجيزة ترجع هذه الشرايين للانقباض فتقل كمية الدم والاكسجين في الدماغ ، فيشعر المدخن من جديد بتعب وصداع مما يضطره الى تناول سيجارة أخرى وهكذا .

تركيب التبغ :

إن أوراق التبغ التي تصنع منها السجائر تتكون من العناصر الأساسية التالية :

- نيكوتين ١ - ٤٪
- مواد كربوهيدراتية ٢ - ٢٠٪
- بروتينات ١ - ١٣٪
- أحماض عضوية ٥ - ١٧٪
- زيوت طيارة ٠,١ - ١,٧٪

وعلى كمية هذه النسب تعتمد جودة التبغ ، وفي الأنواع الجيدة تكون نسبة المواد الكربوهيدراتية أكثر من البروتينات والعكس صحيـح . أما نكهـة التبغ فتعتمد على نوعية الزيوت الطيارة الموجودة فيه .

أما الدخان المتصاعد من السيجارة فيتكون من :-

نيكـوتين وأول أكسيـد الكـربـون وثـاني أكسيـد الكربون وأمـونيا وزيـوت طيارة وأحمـاض عضويـة مثل : حامض الخليك ، حامض النمليك وحامض الكربونيك وغيرها . وكبريتيد الهيدروجـين والساج (الشحبار) ومواد مشعة مثل البولونيوم والتي يرجع لها التأثير السرطاني على الجسم .

ويحسن الآن تناول كل من هذه المركبات ومعرفة آثارها :

● **النيكوتين :**

مادة سائلة عديمة اللون ، تتحول الى اللون البني القاتم بمجرد تعرضها للهواء ، وهي مادة سامة جدا ، حيث ان الجـرعـة القـاتلة لـلانســان ، عبـارة عن (ملغم / كغم من وزن الانسان ، وهو ما يعادل قطرة ونصف من مادة النيكوتين) ، أي أنه لو أخذت كمية النيكوتين المستخلصة من ٢٠ سيجارة ومقدارها قطره ونصف تقـريبا ، وأعـطيت للانسـان بشكل حقنـه لقتلتـه ، وقد أعـطيت هذه الجـرعة فعـلا لحصـان فقتلته .

ولكن أثناء عملية التدخين يحترق النيكوتين ، ثم ينفخ مرة ثانية في الهواء ولا يبقى منه الا الجزء اليسير جدا في الرئتين ومنهما يدخل الى الجسم . والثابت أن

النيكوتين (محلول النيكوتين) كان يستعمل كمبيد حشري لرش الحقول والمزروعات وقد استعيض عنه اليوم بمواد أكثر فاعلية وأسهل استعمالا .

● أول أكسيد الكربون : CO

هو المادة الثانية ، السامة جدا في الدخان وينتج عن احتراق المواد العضوية احتراقا غير كامل ، وكان يستعمل في السابق من قبل الرومان والاغريق للانتحار وقتل الخصوم السياسيين ، واليه يرجع السبب في الاختناق من الفحم أو من مدافىء الكاز في الجو المحصور . .

إن أول أكسيد الكربون يتحد مع هيموجلوبين الدم مكونا كربواكسيد هيموجلبين Cohb ويمنع اتحاد هيموجلبين الدم بالاكسجين ، وان اتحاد أول اكسيد الكربون بالهيموجلبين أقوى (٢١٠) مرات من الاكسجين . والموت يحدث عنه اتحاد أول اكسيد الكربون مع ٧٠ ـ ٨٠٪ من الدم .

أما التسمم المزمن بأول اكسيد الكربون فيؤدي الى تلف الدماغ تدريجيا وما يتبع ذلك من تغيرات عقلية .

ومع دخول أول اكسيد الكربون باستمرار ، وبكميات قليلة في جسم الانسان ينتج التسمم المزمن ، والذي يؤدي بدوره الى الارهاق الذهني والصداع والدوخة ، وضيق التنفس . .

● الزيوت الطيارة : Volatile Oils

وهي زيوت عطرية تتبخر دون أن تترك أثرا شحميا على الورق ، ومنها النافع ومنها السام . ونظرا لرائحتها الطيبة تستعمل بكثرة في العطور مثل زيت النعنع وزيت القرنفل ومنها :

Alcohol	Phenol	Esters
الكحول	الفينول	الأستر

وهي مختلفة كيميائيا .

وبعضها سام مثل : التربنتين Turpentine فـ ١٥ غم منه يسبب الوفاة بالاضافة الى أنها جميعا تسبب تهيج الأنسجة ، والسام منها يسبب تلف الكلى ، كذلك تسبب تورم الرئتين والدماغ .

● الأمونيا : غاز النشادر NH_3

وهو غاز قلوي الطعم يعمل على تهيج الأنسجة المخاطية في الفم والحلق والقصبات الهوائية .

● المواد المشعة : البولونيوم PO^{210}

واليها يرجع التأثير السرطاني للتدخين كما سيأتي فيما بعد .

تأثير التدخين على صحة الانسان :

بعدما سبق من معلومات عن مركبات التبغ يصبح من السهل فهم تأثير هذه العناصر على جسم الانسان منفردة أو متحدة ، فجميع الاحصائيات والابحاث الطبية تدل على أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة ، والأمثلة كثيرة وعديدة .

والامراض التي لها علاقة بالتدخين هي :

١ ـ سرطان الرئتين والحلق والشفتين .
٢ ـ التهاب القصبات الهوائية المزمن .
٣ ـ تصلب الشرايين بشكل عام وشرايين القلب بشكل خاص .
٤ ـ قرحة المعدة والاثنى عشر .
٥ ـ أثناء الحمل : زيادة نسبة الطروحات ، كذلك انخفاض وزن الاطفال عن المعدل الطبيعي .
٦ ـ تسوس الأسنان وغيرها من الامراض .

وللتدخين تأثير على جميع الجسم ، وللتسهيل والتوضيح نأخذ تأثيره على أجهزة الجسم كل على حدة .

أولا : تأثير التدخين على الجهاز العصبي :

إن الجهاز العصبي أكثر أجهزة الجسم حساسية للتدخين ، ولما كان الجهاز العصبي هو الجهاز المسيطر والمنظم لجميع أجهزة الجسم الاخرى ، فبطبيعة الحال سوف تتأثر جميع هذه الأجهزة ، فتسمم الجسم بمختلف مركبات الدخان ، يشعر الانسان بالدوخان والارهاق الذهني وعدم التركيز والتوتر العصبي والصداع ، وكلها ناتجة عن تقلص الأوعية الدموية في الدماغ ، وهو ما يؤدي بالتالي الى نقص في كمية الاكسجين والدم اللازم للدماغ ، كذلك النيكوتين يؤثر على أعصاب السمع والبصر والذوق ويضعفها ، فمثلا المدخنون لا يحبون الأشياء الحلوة ولا يتذوقونها بسبب ضعف حاسة الذوق في اللسان ، والناتجة عن تأثير النيكوتين المباشر على اللسان .

ثانيا : تأثير التدخين على الجهاز التنفسي :

لما كان تأثير التدخين مباشرة على الجهاز التنفسي

وعلى الفم ، فان ذلك يؤدي بدوره الى تهيج الأنسجة المخاطية المبطنة لهذه الأعضاء مما يجعل الفم والحلق والقصبات الهوائية عرضة للأمراض المزمنة ، كذلك فان تأثيره على الأوتار الصوتية يجعل الصوت خشنا .

المعروف أن حرق ١كغم من التبغ يؤدي الى تكوين ٥٠ غم من السناج . ولو اعتبرنا أن معدل ما يدخنه الشخص في اليوم الواحد ٢٥ سيجارة ، وأن معدل وزن السيجارة ٢غم فبطريقة حسابية :

٢٥ × ٢ = ٥٠ غم تبغ في اليوم الواحد

٥٠ × ٣٠ = ١٥٠٠ غم تبغ في الشهر

$\frac{١٥٠٠ \times ٥٠}{١٠٠٠}$ = ٧٥غم سناج معدل ما يمر في الرئتين في الشهر الواحد

وطوال سنوات التدخين يترسب قسم من هذه المواد في الرئتين ويعطيها اللون الأسود ، كذلك يؤدي الى تصلب الرئتين ثم الى نقص في مرونتها ، مما يؤدي الى نقص في وظيفة الرئتين ، وما يتبع ذلك من نقص في كمية الاكسجين اللازمة للجسم .

ثالثا : تأثير التدخين على القلب والدورة الدموية :

المعروف علميا وعمليا أن التدخين يزيد من تسارع ضربات القلب بمعدل ١٠ ـ ٢٠ ضربة في الدقيقة ، ولما كان معدل ما يضخه القلب في الدقيقة ٥ لترات زيادة ، فمعنى ذلك أن القلب يضخ زيادة لترا واحدا عند المدخنين في الدقيقة . أي ٦٠ لترا في الساعة . . أي ٦٠ × ٢٤ = ١٤٤٠ لترا في اليوم الواحد،وكذلك يؤدي التدخين الى ارتفاع ضغط الدم بمعدل ٢٠ ـ ٢٥٪ حيث دلت التجارب العلمية على الحيوانات أن التدخين يؤدي الى زيادة افراز هرمونات الغدة الفوق كلوية Cotocho lamines التي بدورها تؤدي الى انقباض الأوعية الدموية والى ارتفاع ضغط الدم ، هذا بالاضافة الى أن ارتفاع ضغط الدم عبارة عن ثقل زائد على القلب ، كما أن التدخين عامل أساسي في تصلب شرايين القلب كما سيأتي فيما بعد ، وبذلك يكون تأثير التدخين على القلب :

ـ زيادة الضربات ، وهذا يؤدي الى اجهاد القلب .
ـ ارتفاع ضغط الدم وهذا أيضا عبء كبير على القلب .
ـ تصلب شرايين القلب وما يتبعه من ذبحة صدرية
ـ عدم انتظام ضربات القلب .

رابعا : التدخين وتصلب الشرايين :

إن تصلب الشرايين عبارة عن تغيير في جدار الأوعية الدموية مما يفقدها مرونتها ، كذلك في الجدار الداخلي لهذه الأوعية مما يجعل هذا السطح خشنا ، مما يؤدي الى ترسب الدهون وأملاح الكالسيوم على هذا السطح ، والذي بدوره يؤدي الى تقرحاته ، وتضيق هذه الأوعية مما يعيق حركة الدم بداخلها ، ومما يزيد من امكانية تجلط الدم بداخل هذه الأوعية . وتصلب الشرايين يؤدي الى نقص في كمية الدم اللازمة للاعضاء مثل القلب والدماغ وغيرها ، وأحيانا الى جلطة هذه الأعضاء وغيرها من المضاعفات .

خامسا : التدخين وتأثيره على الجهاز الهضمي :

يبدأ تأثير التدخين مباشرة على تجويف الفم بما فيه من لسان وأسنان وحلق وبلعوم ، حيث أنه يلون الاسنان باللون الأسود ثم يجعلها خشنة مما يؤدي الى تشققها وبالتالي الى تسوسها ، كذلك يؤدي الى تهيج الغدد اللعابية ، ثم الى زيادة افرازها ، وهذا ما نلاحظه عند بعض المدخنين من كثرة البصاق .
كذلك دلت احصائيات منظمة الصحة العالمية أن سرطان الشفتين واللسان والحلق عند المدخنين يبلغ ٤ أضعاف منه عند غير المدخنين .

سادسا : التدخين وأثره على الغدد الصماء :

أثبتت الدراسات العلمية أن ١١٪ من الرجال الذين يعانون من ضعف جنسي هم عبارة عن مدمنين للتدخين ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى زيادة الدورة الشهرية عند النساء وعدم انتظامها . وهذه الأعراض قد لوحظت أيضا عند النساء اللواتي يعملن في مصانع التبغ وتعليب السجائر .

سابعا : التدخين وتأثيره على الأطفال :

مما سبق نلاحظ مدى خطورة التدخين على جسم الانسان البالغ ، فما بالك بمدى خطورته وضرره على جسم الطفل الذى في دور النمو .

فضرر التدخين يبدأ على الجنين أثناء فترة الحمل ، اذا كانت الام مدخنة ، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن نسبة الطروحات عند الامهات المدخنات اكثر بـ ٢ ـ ٣ مرات منه عند غير المدخنات ، كما يسبب التدخين الولادة المبكرة عند الحوامل ، وان وزن الأطفال يكون عادة أقل بـ ١٥٠ الى ٢٥٠غم من الوزن الطبيعي .


شكسبير

شكسبير وشهرزاد!

بقلم . الدكتور امين العيوطي

لقد بذلت جهود عديدة لتقصي مصادر اعمال شكسبير الأوروبية . اما احتمال ان يكون من بين هذه المصادر مصادر عربية فلم تحظ بالكثير من الاهتمام ، رغم وجود حقائق تاريخية وشواهد فنية تشير الى هذا الاحتمال ، وليس هذا المقال الا محاولة لاثارة هذا الموضوع .

في مسرحية (ترويض الشرسة) تبدأ الأحداث بمقدمة من مشهدين يقدم فيهما شكسبير شخصية سلامي . وسلامي هذا صعلوك تقلب في حرف مختلفة . فقد عمل بائعا متجولا ، واشتغل في صناعة امشاط المغازل ، وحارسا للدببة واخيرا سمكريا . وهو سكير مفلس دائما . هكذا نلتقي به في بداية المقدمة ، وهو يشتبك مع صاحبة الخان ، لأنه لا يملك ثمن الأقداح التي عبها . ولا يلبث ان يغلبه السكر ، فيغط في نوم عميق امام الخان . على هذا الحال يعثر عليه السيد النبيل واعوانه وهم عائدون من رحلة صيد ، وينتهز السيد الفرصة ليتسلى به ، فيأمر بنقله الى فراش وثير في قصره،وتطبيب رأسه القذر بالماء المقطر الدافيء ، ولفه بأفخر الأغطية الحريرية ، وتزيين أصابعه بالخواتم ، واعداد اشهى الأطعمة والفواكه له ، وان تقوم الحاشية بين يديه في افخر ثياب ، وأن يحمل احد الحراس طستا مملوءا بماء الورد ، والآخر ابريق ماء ، والثالث منشفة من الكتان ، وان يحرق البخور لتزكو رائحة الغرفة ، وان تستعد فرقة موسيقية لعزف أرق الانغام الساحرة حين يفيق ، وان يقنعه الجميع انه كان في غيبوبة طويلة لسنوات ، وأنه قد استرد عافيته ، ويحدثوه عن كلاب صيده وجواده ، ويصفوا له نواح زوجته لما اصابه ، وان يقوم ممثل من فرقة التمثيل الجوالة بتمثيل دور الزوجة التي استبد بها الحزن على مرضه ، ويغرقه في حنانها ، وأن تعرض عليه الفرقة تمثيلية (ترويض الشرسة) ويجري كل شيء كما دبر السيد تماما ، فيقتنع سلامي بانه سيد عظيم شريف المنبت ، ويجلس ليستمتع بالعرض المسرحي ، وهو يعب الخمر بطبيعة الحال . حتى اذا انتهى العرض حمله اثنان من الأتباع في زيه الأول ، وتركاه حيث كان امام الخان ، ليدخل الخمار فيوقظه ، ويقص عليه سلامي قصة الحلم الجميل



الذي رآه ليلة الأمس ، الذي كان يدور حول كيف افلح جلف قروي في ترويض زوجة مشاكسة ، حتى ان سلامي لا يخشى الآن العودة الى بيتـه ، ولا من لعنـات زوجته ونقـارهـا . فهـو يعـرف الآن كيف يروضها .

المقارنة مع تراثنا :

وفي **ألف ليلة وليلة** ترد حكاية مشابهة اثارت خيال المسرحيين العـرب ، فصاغهـا مـارون النقـاش في مسـرحيته الهـزلية (هـارون الـرشيـد وابـو الحسن المغفل) ، وتناولهـا سعد الله ونـوس في (الملك هو الملك) ، كما نسج منها حسن يعقوب العلي مسرحيته (الثـالث) . تقول هـذه الحكايـة ان الملل اصـاب هارون الرشيد ذات ليلة ، فخرج مع وزيره جعفـر والشاطر علي الزيبق وسيافه منصـور ، ليتجولـوا في بغداد متنكرين ، وفي مقهى للدراويش سمع الرشيد درويشا يتمنى لو انه حكم بغداد ثلاثة ايـام فقط . واستهوت الفكرة خيال الرشيد ، فصمم على ان يحقق للدرويش امنيته . وهكذا ارسل اليه احد العيارين الذي بنّجه واتى به الى القصر ، حيث طلب الرشيد من الجميع ان يعاملوه كما لو كان الخليفة فعلا حين يفيق ، في حين ظل هو يراقب ما يفعله الرجل على امتداد الأيام الثلاثة .

أوجه الشبه بين الحكايتـين تلفت النظر . هنـاك العلاقة بين رغبة كل من الرشيد والسيد النبيـل ان يتسـلى برجله،والـدرويش في « الليالي » لـه نـظيـره الصعلوك في المسرحية . احدهماويحمل وهو تحت تأثير المخدر والآخر يُوخذ وهو تحت تأثير الشراب .وكلاهما يمر بتجربة النائم اليقظان او حلم اليقظة ، ويكتمل لديه الوهم بانه اما خليفة او نبيل ، ويحقق في حلم يقظته مالايقدر عليه في الواقع . وفي الحالـين يفيق النائم اليقظان من حلم يقظته ليعود الى سيرته الأولى ولعل هذا يطرح علينا سؤالا حول ما اذا كان هذا الشبه الدقيق كان مجرد صدفة ، او ان شكسبير اعتمد على بعض المصادر الشعبيـة الانجليزيـة ، كما كـان يفعل دائما بمصادره الأدبية والتاريخية التي حـولها الى تاريخيات وتراجيديات ، أو ان **الف ليلة وليلة** كانت المصدر الذي أخذ عنه .

تميل د . سهير القلماوي الى ان تنظر الى الأمر على انه مجرد تشابه بين قصص من الأدب الشعبي ، وان شكسبير في هذه المسرحية كان يتناول موضوعات لا تبلى ، وتقول في المقدمة التي كتبتها لترجمتها لمسرحية شكسبير ، ان موضوع المرأة الشرسة والـزوج الذي يروضها باللين والقسوة والحيلة والقوة صورة خلدها الأدب الشعبي والقصص الديني ، كما انها من قصص الف ليلة وليلة ترد في قصة « الحمار والثور » وصاحب الـزرع وكذلـك المقدمـة التي يـظهـر فيهـا سـلامي الصعلوك .

ولـذا فانها تـرى ان تحقيق نسبة هـذه المسرحيـة لشكسبير أعسر من المسرحيات الأخرى ذات الموضوع المبتكر غير المتـداول . ومع ذلـك يخوض النقـاد في

بعض هذا بالنسبة للمسرحية ، محاولين تحقيق صورتها ، كما وردت في المخطوط الأول ، وما يحتمل ان يكون قد نشر من مثلها قبله وبعده ، والحقيقة ان المقدمة نفسها بالفعل ذات موضوع « مبتكر وغير متداول » حتى ان البحث في المصادر المطروقة التي نعرفها عن شكسبير قد لا يؤدي بنا الى كثير . وربما كان الأجدى ان نبحث عن أصولها في مصادر غير مطروقة ، وفي هذا الخصوص فان د . سهير القلماوي تشير في كتابها الف ليلة وليلة الى ان مقدمة الليالي على الأقل كانت معروفة في ايطاليا حوالي القرن الثالث عشر : وان قصصا من قصصها كان شائعا في اوروبا في القرون الوسطى . وتشير دراسات المهتمين بالتراث الشعبي الى ابعد من هذا ، فتذكر د . نبيلة ابراهيم في كتابها الأميرة ذات الهمة ، أن قصة عروة وعفراء وقصة قيس ولبنى انتشرتا عن طريق العرب الذين رحلوا الى اسبانيا ، ومن هناك كان لهما تأثيرهما في بعض القصص الأوروبي في العصر الوسيط .

ويشير د . محمد رجب النجار في كتابه (الشطار والعيارون في التراث الشعبي) الى تأثير القصص العربي وحكايات الشطار ، في ادب الشطار الأسباني خاصة ، الذي ظهر في منتصف القرن السادس عشر ، وازدهر في القرن السابع عشر ، وكذلك يثير د . انور عبدالعليم في مقاله « عجائب بحر الهند » الذي نشر بمجلة الدوحة ، يناير ١٩٨٥ الى كتاب عجائب الهند بحكاياته التي كانت تتداولها افواه النواخذة والبحارة العرب وكتاب رحلة التاجر سليمان ، ورواج هذه الحكايات وانتشارها ، وترجمتها الى الاسبانية واللاتينية ، وكونها الأصل والمشترك لمثيلاتها في الآداب الاوروبية التي انتقلت اليها عن طريق مراكز الحضارة العربية في مصر والشام وصقلية والأندلس . ومن المؤكد ان انتشار مثل هذا القصص ، وخصوصا أنها وقد ترجمت الى اللاتينية التي كان شكسبير يجيدها ، والتي نقل عنها الكثير من قصص مسرحياته ، لم يقتصر على اسبانيا بل امتد ليشمل بلدان اوروبا ، وعلى الخصوص بعد الاتصال الحضاري الذي تم بين العرب والغرب اثناء الحروب الصليبية وبعدها ، ولعل الصدفة التي تجمع في عمل واحد لشكسبير بين حكايتين من الليالي هي في الواقع اكثر من مجرد صدفة .

ومسرحية اخرى :

ولنتوقف هنا قليلا امام وجه آخر من أوجه الشبه ، أو على الأصح التأثير الممكن . مثل هذا التأثير نلمسه في مسرحية اخرى من مسرحيات شكسبير ، وهي (حلم ليلة منتصف صيف) ، في هذه المسرحية يقيم شكسبير جنبا الى جنب مع عالم البشر مملكة كاملة للجان ، على رأسها اوبيرون ملك الجن وتيتانيا ملكة الجن ، وبك العفريت الساخر المرح ، وتابعات الملكة من زهرة البازلاء وبيت العنكبوت وحبة الخردل والفراشة ، في هذا العالم يصور شكسبير نزاعا بين اوبيرون وتيتانيا زوجته حول صبي صغير كانت امه الهندية تابعة لتيتانيا تسامرها وتضاحكها ، ثم ماتت وهي تلد طفلها فسرقته تيتانيا من احد ملوك الهند واتت به الى مملكتها لتربيه ، بينما اوبيرون يريده لنفسه ليكون من فرسانه الذين يجولون معه الغابات . والجفوة التي تحدث بين تيتانيا واوبيرون لها ما يقابلها في الجفوة التي تحدث بين العشاق الآدميين (هيلينا التي تلاحق ديمتريوس الذي يعشق بدوره هيرميا والذين يفرون الى الغابة لحل مشكلتهم ، بل ان الجفوة التي تحدث بين ملك وملكة الجان جفوة من ذلك النوع الذي يحدث بين اي زوجين آدميين . . فهي تهجر فراشه وصحبته وتتهمه بانه زير نساء يخونها مع هيبوليتا ، عروس ثيسيوس دوق أثينا ويغازل حبيبة الراعي ، وهو يتهمها بأنها تعشق ثيسيوس . وهكذا يكيد لها اوبيرون بأن يطلب من بك ، هذا العفريت المرح ، أن يأتيه بزهرة الحب التي يستطيع ان يقطر من سائلها في عيني نائم فيجعله يهيم حبا باول مخلوق تقع عليه عيناه حين يفيق ، وما ان تفيق تيتانيا من نومها حتى تقع عيناها على بوتوم ، الذي جاء ليتدرب في الغابة مع رفاقه من الحرفيين على مسرحية يقدمونها في حفل زواج ثيسيوس وهيبوليتا ، والذي حول اوبيرون

رأسه الى رأس حمار وما ان تسمعه يغني ، أو بالأصح ينهق ، حتى تقع في غرامه ، وتفتن بصورتـه وتأمر الجنيات ان يسرن به الى عرشها ، وان يدللنه ويقدمن له اطيب انواع الطعام من مشمش وتوت وعسل نحل ويفعل اوبيرون نفس الشيء مع العشاق ، لكنه بدلا من ان يقطر سائل الزهرة في عيني ديمتريوس حتى يحب هيلينا ، يخطيء فيقطره في عيني لايسان فيخلق بهذا مشكلات بين العشاق الأربعة . لكن اوبيرون يرفع الخطأ عن عيني تيتانيا حين تزهد في الصبي ، تحت تأثير حبها لبوتوم ، فترسله اليه كما يرفع الخطأ عن عيون العشاق الأربعة ليكون حفل زفاف دوقة اثينا وهيبوليتا عرسا للجميع .

في تصوير شكسبير لهذه المملكـة نرى ان الجـان مخلوقـات شريـرة ، فهذا بـك المرح عفـريت مـليء بالألاعيب والحيل الساخرة حين يخيف القرويات او يعبث بـالقرويـين ليضلهم في متاهـات الغابـة ، او يعابث الخيل حين يصهل كما تصهل المهرة او يقوم عن القرويات المتعبات باعمال البيت . وهو في كل هذا عفريت ساخر ضاحك ما يفعله بالعشاق انما يفعله بنية طيبة ، وحين يدرك خطأه يسارع الى تصحيحه ليصلح ما بين العشـاق . والجان انفسهم مخلوقـات تعشق السمـر والرقص والـطرب . فهي ترقص في حلقات على زمر الرياح . وهي ارواح انيقة نـاعمة تعشق الغنـاء والبهجة وتكـره الحشرات التي تفسـد براعم ورود المسك ، وتخشى الرقي واعمال السحر . وهي ليست مثل الارواح الملعونة التي تخشى الفخر ، وتخشى ان يطلع ضوء النهار على مخازيها ، فتهرع الى عالمها السفلي ما ان يصيح الديك . فهي ارواح كما يقول اوبيرون تهوي مداعبة نجمة الفجر ، وتعشق الضيـاء وترقص وتغني « في رقـة الجـان » وهي التي تبارك حول بيت ثيسيوس وهيبوليتا في ليلة عرسهما ، كما تبارك العشاق .

أوجه الشبه :

ان مثل هذه الصور لا تختلف في شيء عن الصورة التي ترسمها الليالي للجان ، والتي تستخلصها د . القلماوي من حكايات الجان في هذا الأثر الشعبي . فالجان غير قادرة على الشر ، وغالبا ما تكون علاقتها بـالانسان عـلاقة ود ، وهي مخلوقـات لهـا ممـالكهـا وسلطانها ، تسخر العفاريت لخدمة اغراضها . اما العفاريت فشأنها شأن بك في مسرحية شكسبير ، يحلو لها ان تعبث بقلوب العشاق ، وان تلهو بالبشر . لكن عبثها عبث ظريف ينتهي دائما الى خير الابطال . وهي تخلق مشاكل الحكاية . وحياة هذه المخلوقات بشرية محضة في أكلها ومسكنها وعواطفهـا وعاداتهـا . وفي استخدامها للسحر لتغيير حال الانسان من آدمي الى حيوان فانها تستخدم ماء تعقد عليه ، ثم ترشه على الانسان ليخرج الى غير صورته . وهو ما يحدث لبوتوم وما يحدث بشكل آخر للعشاق .

في كل هذه التفصيلات نجد الصورة التي يرسمها شكسبير للجان في الحلم تتطابق في كل حرفياتها مع الصورة التي ترسمها الليالي . بل لعل مما يلفت النظر ان يكـون الصبي وافدا من الشـرق عالم الغمـوض والخيال والسحر،او العالم الذي اخرج الليالي على وجه التحديد . وربما كانت الخرافات في عصـر شكسبير تعرف قصص تحويل البشر الى اشكال حيوانـات ، لكن هذا يتم في هذه القصص عن طريق الساحرات الشريرات ، كـما في قصة السـاحرة القبـرصية التي سحرت احد المسافرين الانجليز ، وحولته الى حيوان تحمله الأثقـال ، حتى لجأ الى احـد الكنـائس ، واستطاع ان يجذب انظار المصلين بحركاته . وما ان تتعقبه السـاحرة بعَصَاهَا حتى ينكشف الأمر فتعيده الى صورته الأولى وتنال هي جزاءها . هذه واحـدة من القصص التي يرويها ريجينال سكوت في كتابه اكتشاف السحر ، الذي طبع في انجلترا عام ١٥٨٤ ، لكنه لا يشير فيه الى قصص جان شعبية شائعة في انجلترا في ذلك العصر يمكن ان يكون شكسبير قد استند اليها في تصويره للجان . ولعل في تـطابق اوجه الشبـه بين شخصيات وموضوعات واخيلة الليالي ومثيلاتها عند شكسبير ما يقوم قرينـة على ان خيـال شكسبير انمـا استمد مادتـه من أصول تـراثية عـربية ، وأكسبهـا اشكالها البارعة الرائعة . □



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الدعاية والهواية

الدعاية إحدى الكلمات التي تظهر وتشيع بيننا منذ أواخر القرن الماضي ، مع نشوء الصحافة عندنا ، وربما ظهرت ترجمة للكلمة الاوروبية Propaganda وقد تصدى لها بالانكار يومئذ بعض اللغويين المتشددين عندنا ، وأيد جلهم إنكارها ، إذ كان من حظها أنها لم ترد في أشيع المعاجم المتاحة يومئذ وفي مقدمتها « القاموس المحيط » وما دونه من المعاجم المدرسية ، وبقيت مطاردة حتى تيسر لأحد اللغويين (وربما كان هو المرحوم معروف الرصافي) أن يصادفها فينتبه إليها، لورودها في رسالة النبي - صلوات الله عليه - إلى هرقل عظيم الروم (ملكهم) حين دعاه إلى الاسلام ، وكان مما كتب إليه « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته ، ودعوته هي توحيد الله وتجنب الشرك به ، ومن هنا بدأ يشيع الاعتراف بفصاحتها ، بعد الاصرار على أن المصدر هو « دعاوة » ، التي يذكرها « القاموس » لا « دِعاية » .

ومن العجب أن يغفل عنها الباحثون ،ولا نقول « أن يجهلوها » لأنها واردة في كتب السيرة المحمدية ، وهذه الكتب منتشرة ، تقرأ تبركا أو تثقفا ، وقلما تخلو هذه الكتب من هذه الرسالة القصيرة التي تكاد تكون أشهر رسائل النبي إلي الرؤساء يدعوهم يومئذ إلى الاسلام ، وكثير يحفظونها ويغفلون عن هذه الكلمة فيها . ثم أنها واردة في معجم « لسان العرب » مع الفقرة التي وردت فيها من الرسالة ، فالمعترفون بفصاحتها يرون أنها مسموعة من الفصيحة .

لكن لنفرض أن « دعاية » لم تسمع في المأثور الفصيح من نص أو معجم ، فهل ننكرها ؟

رأيي إنها فصيحة قياسيا من عدة وجوه تتساند لعدِّها فصيحة .

أولا : تذكر بعض المعاجم « دعَيْتُ » كما تذكر « دعَوْت » ، وإذن فلنا أن نقول : « دعيت دعاية » كما قيل في الفصيحة « حكيت حكاية » ، « ورويت رواية » ، « وسقيت سقاية » ، « وبريت براية » ، « وكفيت كفاية » . . . .

ثانيا : يذكر « لسان العرب » في مادة شكا أن مضارعه يشكو ، والمصدر شكوى ، وشكاوة وشكاية بقلب الواو ياء ، وينقل عن السيرافي قوله في ذلك « إنما قلبت واوه ياء لأن أكثر مصادر « فِعَالة » من المعتل إنما هو من قسم الياء نحو : الجراية والولاية والوصاية ، فحملت الشكاية عليها لقلة ذلك في الواو » ولهذا نقول لَوْ لَمْ يكن الفعل إلا واويا « دعوت دِعاوَة » لجاز لنا أن نقول قياسا على ذلك « دعوت دعاوة ودعاية » ونلاحظ أن الغالب في تصريف كلماتنا هو قلب الواو ياء .

ثالثا : الفعل « دعيت أو دعوت » صار مع ظهور الاسلام يدل على مهمة مطردة تشبه الحرفة أو الصناعة ، وسُمّى القائم بهذا العمل الداعي والداعية والجمع دعاة ، وهناك قواعد مصادر الفعل ، وفيها أن الفعل الثلاثى إذا دل على حرفة أو صناعة كان مصدره على « فِعالة » مثل زراعة وتجارة وحدادة . . . فاتباعا لذلك نقول « دعاية » دون تحرج .

وللفعل « دعا » عدة مصادر متعددة المعاني ، وتظهر الفروق في الاستعمال بحسب المقام ، ولكنها تبدأ وتنتهى عند معنى النداء أو الاستدعاء مع اختلاف المقامات .

وتكفينا هذه الاشارة الى تعدد معانى الفعل لنعود الى كلمة « الدعاية » فنقول : انها كانت تعنى عمل الداعى أو الداعية بصدق وأمانة ، ولكن شاب نقاءها أخيرا شىء من الكدر ، فيقال مثلا فى كلام أو عمل « انه دعاية » أى لا ثقة به لما يشوبه من غش أو خداع ، وحلت محلها كلمة « اعلام » ، فلا يقال الآن فى الهيئات أو المؤسسات التى تقوم للتعريف بشىء الا أنها « للاعلام » ولا توصف إلا بأنها إعلامية ، ومن ذلك وزارات الاعلام فى الدول ، ومثلها الهيئات والمؤسسات الأخر .

وكان اللغويون المتشددون اذا نسبوا الى الكلمة قالوا : « دعاويةّ » ترجمة لكلمة Propagandism ، وأخيرا صاروا يقولون فى النسب اليها « دعائية » ونحن نرى الأخيرة فصيحة مع خفتها ، فقديما كان فقهاؤ نا يقسمون الفروض أو الواجبات قسمين : فرض عين وهو ما لا بد أن يؤ ديه كل شخص بنفسه ولا يجوز أن يوكل فيه غيره كالصلاة ، وفرض كفاية وهو فرض اذا قام به بعض الجماعة سقط عن الباقين كالجهاد فى سبيل الله بأوسع معناه ، ومنه الجهاد دفاعا عن الوطن أو العرض أو النفس أو المال ، وكانوا اذا نسبوا الى « الكفاية » قالوا « فرض كفائى » فنقول قياسا على ذلك « عمل دعائى » فى النسبة الى « الدعاية » .

هواية : ظهرت هذه الكلمة عندنا خلال هذا القرن بعد ما انتشرت بيننا المدارس على النظام الغربى ، ثم عرف ولاة الأمر أن الدروس المقررة ـ وهى عامة إجبارية ـ لا تستجيب لكل مواهب الطلاب المختلفة ، ورغباتهم على وفقها ، فعينوا لذلك أوقاتا بين الدروس يمارسون فيها ما يرغبون من أعمال فيقسمون جماعات بحسب الرغبة فى المواد : كالموسيقا والرسم والخط والكهرباء والنساجة والنجارة ، وتسمى الرغبة كما يسمى العمل الذى يرضيها « هواية » ترجمة لكلمة hobby ، وقد يغير الطالب هوايته ، أو يتخذها بعد ذلك حرفة . وقد يتكسب منها أو لا يتكسب ، وتظل أيضا « هواية » .

وهواية مشتقة من الفعل هَوِى الشىء يهواه هوى (مثل عمى يعمى عمى) أى أحبه فهى فى مزاولتها الكثيرة تشبه المهنة ، فيكون وزن المصدر على فعالة .

والجذر « هوى » يختلف تصريف أفعاله ومصادره ، فهناك فعل آخر غير ما سبق : « هوى يهوى » (مثل بكى يبكى) ومصدره « هُوِيّ » و « هَوِىٌّ » بمعنى السقوط أو الوقوع ، ويبدو لى أن هذا هو المعنى الأصيل العام للجذر ، فهو يلاحظ فى كل تصاريفه على اختلاف أوزانها ، فتختلف معانيها ، ولكنها قريب من قريب كالإخوة ، حتى ان هوى الشىء بمعنى أحبه تدل على السقوط فيه ، ومثل ذلك الحب ، فإن معنى الجذر « ح ب ب » هو السقوط ، يقال « حب الجمل » بمعنى « برك » ، وفى البروك سقوط ، واذا برك الجمل كان المكان الذى يشغله أوسع من مكانه واقفا ، ولهذا يدل « ب ر ك » على التوسع ، ومنه « البركة » بمعنى السعة . □

لا تقلد سواك فى الدين فالتقليد عجزٌ ، والله اعطاك عقلا
فتفكر فى الخلق تكشف خفايا ، لتسعى خلاله مستقلا



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

أبو البنات

كل الأحياء تحب صغارها وتعطف عليها بالفطرة ، وهذه المحبة والعطف أظهر في الأحياء المتقدمة في التطور مع ظهور النزعة الاسرية فيها بين كل أبوين ، وهذا ما نراه في بعض الطيور والاحياء البحرية والبرية ، لحاجة الصغار الى فترة من الحضانة تعتمد فيها على أبويها قبل أن تعتمد على نفسها في المعيشة والحماية .

والشعور الأسري بين الابوين في البشر أشد ظهورا ولزوما ، لان الطفل البشري أشد عجزا من صغار سائر الأحياء ، لفترة أطول ، فهو أحوج الى حضانة طويلة لاتمام تربيته التي قد تمتد سنوات حتى بعد بلوغه الرشد . ويحذرنا القرآن الكريم من تعريض صغارنا للاخطار المنظورة وغير المنظورة ، ومنها أن نترك لهم في ميراثهم منا عداوة أحد ، فينتقم منا في حياتنا أو بعدنا بالانتقام منهم ، فقال : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا » .

ومحبتنا لصغارنا تحمل كثيرا منا على أن يتجنب المخاطر ليبقى لحمايتهم بنفسه ، وعلى امساك المال ولو حين يجب بذله في بعض الحقوق ، خوفا عليهم من الفقر معه أو بعده ، وهو يحتمل في نفسه ما لا يحتمل فيهم من آلام ، وفي الاثر « الاولاد مجبنة مبخلة » اذ قد يحملون على الجبن غير الجبان ، أو على البخل غير البخيل .

وبناتنا أحوج من الابناء الى الحماية والعطف ، ولو لم يطلبنه ، فكيف وهنّ لضعفهن يطلبنه دائما بلسان الحال ، وأحيانا بلسان المقال ، وهن أشد بنا تمسكا ، والانسان لا يشعر بكل ما في كيانه من رقة الانسانية وحنانها وأريحيتها ونجدتها الا مع صغاره ، ولا سيما بناته ، وهو أشد خشية عليهن من الضياع لفقد الحماية الشخصية والمالية في حياته وبعده .

وهذا الشعور الاخير هو محور المقطوعات الشعرية الثلاثة التي اخترناها هنا ، وأصحابها الثلاثة شعراء اسلاميون من العصر الأموي .

ولا نعرف المناسبة التي أوحت بكل من المقطوعتين الاوليين ، وان كان مثل هذا الشعر في غنى عن المناسبة ، وهما من « ديوان الحماسة لابي تمام » .

لإسحاق بن خَلَف

لـولا «أُميمـة» لم أجـزَعْ مـن الـعـدَم
ولم أقـاسِ الـدُّجَى في حِنْـدِس الـظُّلَمِ[١]

وزادني رغـبـةً في الـعـيش مـعـرفـتي
أن الـيـتـيـمـةَ يجـفـوهـا ذَوُو الـرَّحِمِ

أحـاذر الـفـقـرَ يـومـاً أن يُـلِمَّ بهـا
فـيهتـكَ السـتر عن لحمٍ عـلى وَضَمِ[٢]

تهـوى حيـاتي ، وأهـوَى مَـوْتَهـا شفقـاً
والمـوتُ أكـرَمُ نـزَّالٍ عـلى الحُـرَمِ[٣]

أخـشى فـظاظـةَ عـمٍّ ، أو جَـفـاءَ أخٍ
وكـنـت أُبـقِي عـليـهـا مـن أذى الـكَـلِمِ

٢ ـ لِحِطَّانَ بنِ المُعَلَّى

أنـزلـني الـدهـرُ عـلى حُـكْـمِـه
مـن شـامـخٍ عـالٍ الى خَـفْض

وغـالـني الـدهـرُ بِـوَفْـر الـغِـنى
فـليس لِي مـالٌ سـوى عِـرْضـي

أبـكـانيَ الـدهـرُ ، ويـا رُبَّمـا
أضـحـكـني يـومـا بمـا يُـرضـي

لـولا بُـنـيَّـاتٌ كَـزُغْـب الـقـطا
رُدِدْنَ مـن بـعضٍ إلى بـعضِ[٤]

لـكـان لي مـضـطربٌ واسـعٌ
في الارضِ ذاتِ الـطُّول والـعَـرْض

وانمـا أولادُنـا بـيـنَـنـا
أكـبـادُنـا تمـشِـي عـلى الأَرض

لـو هـبَّـتِ الـريـحُ عـلى بـعضِـهِـمْ
لامـتـنـعـت عَـيْـني مـن الـغَـمْض

٣ ـ لأَبي خالد القَنَانِي

كان أبو خالد من أصدقاء قَطَرِيِّ بنِ الفُجاءة الذي كان من كبار قُوَّاد الخوارج ضد الدولة الاموية ، وكبار شجعانهم وشعرائهم ، فكتب قطريٌّ اليه يدعوه للحرب معه ، وأن لا عذرَ له في القعود عنها بين لصوصٍ وكفارٍ[٥] ، فأجابه أبو خالد بهذه الأبيات (وهي من كتاب الكامل للمبرد) .

لـقـد زاد الحـيـاةَ اليَّ حُـبًّـا
بـنـاتي ، إنهنَّ مـن الـضـعـاف

أحـاذرُ أن يـريْـنَ الـفـقْـرَ بـعـدي
وأن يـشْـربْـن رنْـقـا بـعـد صـافٍ[٦]

وأن يـعْـريْـن إن كُـسِـى الجـواري
فـتـنـبـو الـعـينُ عـن كـرمٍ عِجـافِ[٧]

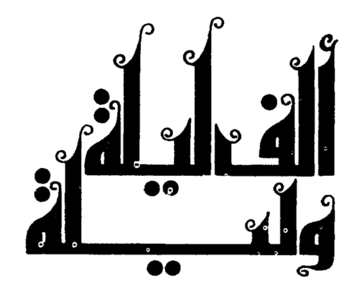
ولـولا ذاك قـد سـوَّمْـتُ مُـهْـري
وفي الـرَّحمـان لـلضـعـفـاءِ كـافٍ[٨]

أبـانـا ، مـن لـنـا ان غـبْـت عـنَّـا
وصـار الحـيُّ بـعـدك في اختـلاف

---

(١) العدم : الفقر ، الدجى : الظلام والمراد هنا : ظلام النفس من الألم حندس الظلم : شدة الظلمات .
(٢) الوضم : ما يوضع تحت اللحم من خشب ونحوه لوقاية من الأرض ، وتركه لحما على وضم : أوقعه في مذلة .
(٣) الشفق هنا : الشفقة ، والحرم : النساء .
(٤) القطا : طيور كالحمام بطيئة الخطوات ، والزغب جمع أزغب ، والزغب : الشعر النامي على صغار الطير : رددن من بعض الى بعض : متقاربات في العمر .
(٥) كانت حركة الخوارج أشبه في مبادئها بحركة «التكفير والهجرة» التي قامت في مصر في السنوات الأخيرة .
(٦) الرنق من الماء ومن العيش هو الكدر ، وعكسه الصافي .
(٧) الجواري : الفتيات ، تنبو العين : تنفر من سوء حالهن وهن الكريمات العزيزات .
(٨) لولا ذاك لركبت حصاني وخرجت للقتال .

رسالة القاهــــرة



بين التحقيق الأدبي والتحقيق الجنائي

بقلم : فاروق خورشيد

ألف ليلة وليلة . . . في قفص الاتهام !!
فما هي التهمة ، ولماذا توجيه الاتهام الآن ، وما هي الحيثيات ؟
هناك عنوان كبير وخطير ووصمة وجهت الى الليالي اسمها « خدش الحياء العام » !
فما هذا الاتهام ؟ وهل يقوى على الصمود أمام « ذخائر » الدفاع الكثيرة ؟

عادت ألف ليلة وليلة لتحتل مكان الصدارة من انتباه الحياة الأدبية من جديد . . وقد تعودنا أن تكون ألف ليلة وليلة الشغل الدائم لأجيال متتابعة من الدارسين والمبدعين على السواء .

فعلى الرغم من صدور الدراسات العديدة عن هذا العمل الشعبي الأدبي ، الا أننا جميعا نسلم انه لم يحظ بعد بالكشف الكامل عن كل جوانبه الفنية والاجتماعية على السواء . . وعلى الرغم من استيحاء كبار الكتاب من مطلع عصر النهضة لشخصية شهرزاد نفسها وشخصيات ألف ليلة وليلة الأخرى الثرية وحكاياتها المتعددة الايحاءات والجوانب ، الا أننا نحس جميعا أننا لم نغترف من هذا الكنز ما فيه الكفاية . . من هنا كان من الطبيعي أن تظل ألف ليلة وليلة شغل الدارسين والمبدعين على السواء . . ولكن الغريب أن بروز ألف ليلة وليلة هذه الأيام الى بؤرة الانتباه تجاوز الدارسين والمبدعين ، بل تجاوز المثقفين من المهتمين بالحياة الأدبية ليصل الى شغل اهتمام رجل الشارع العادى . . وما كان هذا ليكون غريبا لو أن هذا البروز كان نتيجة تمثيلية تلفزيونية أو تمثيلية اذاعية واسعة الأثر والانتشار تقدم للجماهير هذه الأيام،وانما مصدر الغرابة كان في أن واقع الحياة نفسه حل محل التمثيلية التلفزيونية أو الاذاعية في هذا المجال . وواقع الحياة وممارساتها هذه الأيام أصبح يحوى ما هو أكثر غرابة من خيال مؤلفى التمثيليات .

القاء القبض على ألف ليلة وليلة !

فقد ألقى القبض على ألف ليلة وليلة نفسها . . وسيقت بكل نسخها التى عثر عليها الى السجن ، وتحرزت النسخ ، ووضعت في مكان أمين حتى لا



تحدث في المجتمع تأثيرا ضارا أثناء التحقيق معها أمام الشرطة وأمام النيابة بعد ذلك ، ثم أمام القضاء آخر الأمر . . وفي أول الأمر ، تحركت الأقلام للدفاع عن ألف ليلة ، وتحرك اتحاد الكتاب فدخل بصفته منتفعا بكتب التراث ، اذ ينص قانونه على الحصول على خمسة في المئة من حصيلة بيع كتبه ، كطرف في القضية .

واستشهدت الأقلام بما قدمته الاذاعة وما قدمته السينما وما قدمه المسرح وما قدمه التلفزيون من أعمال مقتبسة من ألف ليلة وليلة ، كما تحدثت هذه الأقلام عن جهود الكتاب والدارسين في مصر والوطن العربي بل العالم كله ، التي تركزت حول ألف ليلة وليلة ، ولكن هذا كله لم يشفع للمتهم من أن يظل حبيس التحفظ وأن يقدم للنيابة فالقضاء . والتهمة قاسية فهي ليست تهمة فكرية أو قضية رأي أو موقف مما كان جديرا بنص أدبي يمكن أن يقف من أجله في قفص الاتهام دون خجل أو تحرج ، ولكن التهمة تمس الخلق . فتهمة « الليالي » أنها نص يروج للفساد بين النشء ويحض على الفسق والفجور ، وبهذه التهمة أخذ ناشران كبيران - سنا وعملا - وأودعا في السجن الى جوار مروجي الصور الفاضحة والأفلام الزرقاء . . وضابط البوليس المتحمس يرى أنه وحده الذي أدرك حقيقة ألف ليلة التي استترت على كل العقول والأفهام منذ أعرق مراحل التاريخ ، وحتى توصل هو وحده الى رفع القناع عن وجهها القبيح . . .

ترجمة . . ولغات عدة

ألف ليلة وليلة خدعت الكثيرين فعلا ، فقد ذُكرت منذ القرن الرابع الهجري ، ذكرها ابن النديم في الفهرست ، والمسعودي في مروج الذهب ،

والمقرى في نفح الطيب ، ثم ترجمت الى التركية عام ١٦٣٦ وترجمت الى الفارسية عام ١٨١٤ ، وترجمت الى الأوردية والى الهندستانية عام ١٨٣٦ . وبعد هذا ترجمت الى كل اللغات الشرقية المعاصرة ، أما في الغرب فقد عرفها الفرنسيون على يد أنطوان جالان مترجم القرآن الكريم ، وتحتفظ المكتبة الأهلية في باريس بترجمته التى انتهى منها عام ١٧١٧ ، وترجمت هذه الترجمة الفرنسية الى كل لغات أوروبا ، وتقول الدكتورة سهير القلماوى في دراستها عن ألف ليلة وليلة المنشورة عام ١٩٥٩ (وقامت الشعوب غير الفرنسية بنقل هذا الأثر الى لغاتها ، فترجمت الترجمة الفرنسية حتى انه لم يبق شعب تقريبا في أوروبا لم يترجم هذه الترجمة ـ ترجمت الى الانجليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية والهولندية والداغاركية والألمانية واليونانية والسويدية والروسية والبولندية والهنغارية . ولاقت هذه التراجم جميعها نجاحا عظيما) . . الى هنا ينتهى حديث الدكتورة سهير القلماوى الذى جاء في رسالتها التى نالت عليها الدكتوراه تحت اشراف عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ، وافتتحت بها الدراسات الأكاديمية لأدبنا الشعبى كله ، فما مرت سنوات حتى أصبح لهذا الأدب الشعبى كرسى أستاذية خاص به شغله الدكتور عبد الحميد يونس في جامعة القاهرة ، التى أدخلت الدراسات الشعبية في مناهجها في أقسام اللغة العربية وأقسام الاجتماع . وحذت حذوها جامعات عربية متعددة . .

كل هذه الشعوب في الشرق والغرب لم تلتفت الى وجه الليالى القبيح ، حتى جاء ضابط شرطة نشط فعرف خبث الليالى ، وألقى القبض عليها متلبسة ثم أودعها السجن ، وألصق بها التهم التى أخذت بها النيابة وضخمتها وزادت عليها من عندها حتى طالبت بالحكم عليها بالاعدام حرقا . . وهو حكم قرأنا عنه كثيرا في القرون الوسطى ، يطبق على الساحرات والكفرة والمشعوذين الذين تدينهم محاكم التفتيش الشهيرة . .

ثم قدمت ألف ليلة وليلة الى القضاء ، وكان على الأقلام أن تسكت . فليس لأحد أن يتناول قضية معروضة أمام القضاء حتى لا يؤثر الحديث عنها على أحكام القضاة ، كما ليس لأحد أن يعقب على حكم يصدره القضاء حتى لا يفقد الحكم قيمته ، فمجال الطعن فيه أمام القضاء نفسه ، فقدسية القضاء تحتم الا تكون أحكامه مضغة في أفواه الناس ، أو مجالا لتعقيباتهم . . وهكذا وقفت الليالى وحدها بلا محام أمام القضاء . فإن المحامين الذين يترافعون في القضية إنما وكلهم الناشرون المتاجرون بها ، أو إتحاد الكتاب الذى يعتبر نفسه بحكم قانونه وريثها الشرعى . . أما الليالى نفسها فلا يدافع عنها سوى وجودها الأدبى الشعبى ، ووجودها الأدبى التاريخى نفسه ، وما كان سيجدى عنها ترافع محام يعتمد على نصوص قانونية ، ولا تمتد معرفته بها الا الى حدود ذكريات قديمة من أحاديث الجدات أو ذكريات معاصرة من أطراف أحاديث بعض الكتب والأفلام والتمثيليات . . وهى التى دافع عنها على مر التاريخ العلماء والمستشرقون من أبناء كل الشعوب حين خصصوا سنوات من أعمارهم لترجمتها الى لغاتهم وتقديمها ذخيرة دسمة لتربية أذواق أممهم وشعوبهم . من ألمانيا يدافع عنها فون هامر ١٨٢٨ وويل ١٨٤١ وهانيج ١٨٩٦ وجريفه ١٩١٨ وليتمان ١٩١٨ . ويدافع عنها من انجلترا سكوت ١٨١١ وتورنز ١٨٣٨ ولين ١٨٣٩ وبين ١٨٨٢ وبرتن ١٨٨٥ . ويدافع عنها من الفرنسيين جالان الأشهر ومردوس بعده بقرنين . وتريبوتن عام ١٨٢٨ كما يتقدم للدفاع عنها المستشرقون دى ساسى وشليجل وفون هامر واويستروب ولين وشوفان وليتمان وماكدونالد ونولدكه وشيجلبرج . وأحدهم وهو أويستروب الداغركى حصل على اجازة الدكتوراة في بحثه الاستشراقى عن ألف ليلة وليلة . . ومن العرب الدكتورة سهير القلماوى التى رجعنا الى رسالتها في ذكر الباحثين السابقين عليها والدكتور طه حسين وأحمد حسن الزيات وجورجى زيدان والأب أنطون الصالحانى والشيخ أحمد بن محمود شيروانى اليمانى والشيخ عبد الرحمن الصفتى الشرقاوى . والدكتور محسن مهدى والدكتورة فريال غزولى ، وهؤلاء من الدارسين . أما الذين استوحوها وكتبوا من واقع انفعالهم الفنى بها ، واحساسهم بتراثها الفنى فيتقدم للدفاع عنها الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وسيد قطب وعلى أحمد باكثير وكامل كيلانى وأحمد رشدى صالح والفريد فرج وطاهر أبو فاشا وأحمد بهجت

وأحمد سويلم ، وغير هؤلاء وأولئك كثيرون . كما تقدم كورساكوف بصاحبته الرائعة شهرزاد يملأ بها جنبات المحكمة .

أعداء الأدب

آخر الأمر أن ألف ليلة وليلة وقفت وحدها في قفص الاتهام تسمع بلاغة وكيل النيابة ، وحكم القاضي وتصمت هي ويتكلم هؤلاء فلا تعقيب . . ونحن أيضا لا نملك التعقيب على القضية وحكم القضاء ومرافعة النيابة . . ولكن التعقيب جاء في نفس وقت عرض القضية من أمريكا . . فقد حدث ان الأستاذ محسن مهدى أستاذ كرسي (جويت) للدراسات العربية بجامعة هارفارد كان يزور القاهرة في وقت وقوف الليالي في قفص الاتهام . وقد جاءها ومعه نسخ محدودة من كتابه (ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى) الذى طبع في ليدن عام ١٩٨٤ . ليقدمه لمجتمع القاهرة العلمى كآخر محاولة علمية قام بها عربى يدرس الأدب العربى في جامعة أمريكية للحصول على نسخة محققة ، أو نسخة (استاذ) من ألف ليلة وليلة . . وليس بعد هذا الدفاع دفاع . .

فهو لا يقدم دفاعا موضوعيا اذ يحقق الكتاب تحقيقا علميا وحسب ، وإنما هو يقدم دفاعا فنيا وخلقيا أيضا ، ان جاز أستخدام هذه التعبيرات في مجال الفن والأدب ، اذ هو يصدر كتابه بفقرة مطولة ينقلها عن مقدمة كتاب (عيون الأخبار) الذى ألفه وكتب هذه الفقرة الامام الحافظ ابن قتيبة الدينورى . . وهذه الفقرة ليست دفاعا عن ألف ليلة ، فما كان يكتب عن ألف ليلة ، وانما هى دفاع عن الابداع الأدبى خاصة ، وعن الانتاج الفنى بكل صورة بشكل عام . وذلك من خلال دفاعه عن كتابه (عيون الأخبار) ضد المآخذ التى قد تؤخذ عليه ككتاب أدب . وهى مآخذ قد يأخذها البعض على كل كتاب من كتب الأدب ، في كل لغة من لغات الأدب في العالم كله . . وللأدب أعداء في كل عصر وكل مصر . تقصر نفوسهم عن الاستجابة له ، وتخشن طباعهم فلا يحسون عطاءه ، وتتزمت عقولهم فلا يرون ما خلف الكلمات من معان ، وما خلف المعانى من عطاء ، وما يهدف هذا العطاء اليه من إثراء النفس الأنسانية بكشفها وتعريتها في نبلها وزيفها على السواء . وما يحققه هذا العطاء بتحرير النفس من قيودها ، فتعرف وجودها حين ترى التعبير الفنى عن هذا الوجود ، وتحطم قيدها الذى يشدها الى زيفها ، وتندفع باحثة عن صحتها وسوائها ، فتثرى الحياة وتعطى التقدم الحضارى المستمر . .

والامام ابن قتيبة يقسم أعداء الأدب الى عدة أنواع من الناس ، فمنهم المتزمتون المؤثمون ومنهم المتصنعون ومنهم المتحذلقون . . وهؤلاء من أخلصوا العداء ، وعرفهم ابن قتيبة في عصره ، أما من كان عداؤهم لغير ما يجدون فى أنفسهم ، وبدافع من هوى خارجى فهم كثر وخصوصا فى أيامنا هذه . رحم الله ابن قتيبة فقد كان ينطلق من معنى الاخلاص فى العداء الى معنى الاخلاص فى الدفاع والبيان .

وللمتزمتين يقول ابن قتيبة الدينورى : (وسينتهى بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الاشراف والأئمة فيها . فاذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به . واعلم أنك ان كنت مستغنيا عنه بنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه . وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه توقى المتزمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل اليه معك) . . ومعرفة المذهب فى المزاح والفكاهة تعنى أن المسألة ليست لعبا ، وأن لكل قول معنى وراءه معنى ، وأن هذا المعنى ان أدركه المتزمت والتزم به ، فغيره محتاج الى هذه الوسيلة الأدبية لتقربه الى نفسه ، وارسائه فى وجدانه . والكتاب لم يعمل لِيُرضى طائفة لا تريد مما ترى وتسمع وتقرأ الا ما وقر فى نفسها من سابق معرفة ، فلا تريد أن يهز معرفتها شيء يثير فيها التساؤل ويدفعها الى البحث ،

آيات شاهدات

وللمؤثمين يقول ابن قتيبة الدينورى : (واذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ، فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن

تصعر خدك وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وانما المآثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب . . فتفهم الأمرين وافرق بين الجنسين) . . وذكر العورة أو الفرج أو الأعضاء التناسلية جميعا ليست من المآثم في شيء ، فهي في مجال العلم ضرورة ، وهي في مجال الدين ضرورة . يقول تعالى في سورة الانبياء الآية (٩١) . . (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) . . ويقول تعالى في سورة التحريم الآية (٢١) : (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) . . ويقول تعالى في سورة (المؤمنون) الآية (٥):(والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) . . والى آخر الآيات التي جاء فيها ذكر الاعضاء التناسلية دون حرج أو تحرج . . كما أن الفعل نفسه لا تحرج فيه . اذ يقول تعالى في سورة النور آية (٣٢) : (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماثكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) . . حيث أطلق اسم الفعل الجنسي للدلالة على معنى الزواج . ويقول تعالى في سورة النور الآية (٣):(الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) للدلالة على الفعل الجنسي صراحة . ولم يتأثم أحد من الشراح من الوقوف عند هذه الالفاظ وشرحها ، والاختلاف حولها وتوجيهها وجهة أو أخرى لجلاء المعنى ، دون خوف على أذواق المسلمين ، كما لم يتحرج أحد من أن يحفظ الصبية آيات القرآن الكريم دون خشية عليهم من الفتنة وهم يحفظون هذه الألفاظ الدالة على أسماء الأعضاء أو على أسماء الفعل الجنسي نفسه ، بل ان أحدا لم يتحرج في أن يحفظ الصبية منذ نعومة أظفارهم من آيات القرآن ما هو اشارة الى أحداث الخيانة الزوجية والزنا والافعال المحرمة . فيقول تعالى في سورة التحريم الآية (١٠) : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) . . فما هي خيانة الزوجتين وكيف خانتا الزوجين ؟ بل هناك تصوير بالغ الروعة ومثير للخيال في قصة يوسف . يقول تعالى في الآيات ٢٣ ، ٢٤ : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) .. لم يتحرج القرآن الكريم اذن لا من ذكر الأعضاء ولا من ذكر الفعل الجنسي ولا من ايراد حكايات الفتنة والغواية والخيانة . فليس في الدين من حرج ، وليس في العلم من حرج ، وليس في التربية الخلقية من حرج ، والفن والقصة من وسائل هذه التربية .

وللمتصنعين يقول ابن قتيبة الدينوري : (أحببت أن تجري في القليل من هذا - يعني الترخص في بعض المواقف - على عادة السلف الصالح في ارسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ، ولا تستشعر ان القوم قارفوا و تنزهت وثلموا أديانهم وتورعت) . . ولست أجد عبارة أبلغ من هذه العبارة في الرد على أصحاب الكذب والنفاق ، الكذب على النفس ، ونفاق المتزمتين من أصحاب المنع وقهر الحياة . . فليس من شك ان (القوم) ونعني بها البشرية منذ أخرج آدم من الجنة ، ومنذ قتل قابيل أخاه هابيل ، ومنذ خانت امرأة نوح ولوط زوجيهما ، تعيش في صراع أزلي دائم بين الخير والشر ، وبين روح الانسان التي هي من روح الله ، وبين جسد الانسان الذي هو من طين الأرض . ودفن الرؤوس في الرمال لا يخفي عن أحد حقيقة ما يحدث في الحياة من صراع يسجله الفن وتحكيه فنون الأدب . ومن يقرأ كل هذا ويستوعبه لا يقارف اثما ولا يثلم دينا ، أما من ينكره ويتجاهله فهو يتعالى على غيره بدعوى كاذبه ان صدق ، ودعوة مرائية في حقيقتها . .

وللمتحذلقين يقول ابن قتيبة الدينوري : (وكذلك اللحن ان مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك ان تتعمده ، لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه، وشاطر النادرة حلاوتها . . الا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالأعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ، ولاستبشعها سامعها ، وكان أحسن أحوالها أن يكافىء لطف معناها ثقل ألفاظها) فالترخص أمر يرتبط

بحس الأديب وفهمه لما يقول ، وموافقة الحديث مجال القول . وهو مقصود لذاته ان كان يضيف الى النص جديدا ، ويقدم له من الطلاوة والرقة ما يتناسب معه ويزيده حلاوة في التلقي ورقة في الدخول الى النفس . وليست المسألة صحة وحسب ، وانما المسألة وخصوصا في النادرة والحكاية ، مدخل الى قلب المتلقي ، ورهافة في التعبير . والترخص هنا ليس جهلا ، بل هو علم فوق العلم ، لأنه بيد من يعلم ويعرف ، ولا يتحرج رغم المعرفة والعلم أن يعطي نفسه الرخصة التي تصله بالقلوب والعقول والأفهام دون حائل . . ومن هنا لم تخالف النصوص الشعبية المكتوبة القواعد ، ولكنها ترخصت قدر الطاقة فخلقت لغة الأدب الشعبي المتداول في كل قطر وكل جيل . لأنها حين ترخصت سهلت وقربت الى النفوس والأفهام .

شاهد الصُــــدف

وقد أحسن الدكتور محسن مهدى الدارس القادم من الغرب الأمريكي بابراز هذه المقتبسات من مقدمة الامام الدينوري القادم من عمق التاريخ من الشرق العراقي ، فهي أعظم ما يقدم به بين يدى دارسة عن ألف ليلة وليلة ، ونسخة مقارنة محققة ـ على جهد الدارس وطاقته . . لهذه الذخيرة الرائعة من ذخائر العربية التي يشرف بها أدبها ويسمو بين الآداب العالمية .

والامام الدينوري صاحب هذه المقتطفات التي جاءت من مقدمته هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قال عنه ابن تيمية (هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء ، وأجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف . . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون ممن استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة .

ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه) . . وقال عنه الخطيب في تاريخ بغداد كان (وثيقة ديّنا فاضلاً) .وقال عنه كاتب مقدمة النسخة المحققة التي صدرت في سلسلة تراثنا عن وزارة الثقافة المصرية (أجمع الذين ترجموا لابن قتيبة على أنه كان أحد العلماء والأدباء ، والحفاظ الأذكياء ، وعلى أنه كان إماما في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف) وصاحب عيون الأخبار هذا هو مؤلف : غريب القرآن ومشكل القرآن ، ومعاني القرآن ، وأدب الكاتب وغيرها الى الثلاثمائة مصنف . وقد أسرعت بهذا التعريف حتى لا يقفز المتهمون الى الامام الدينوري نفسه ، فما أكثر ما نؤخذ بجهالة الجُهال ، وتنطع المتنطعين . . فلم يكن الأستاذ محسن مهدى اذن مبعدا عن القصد حين اختار هذه المقتطفات من امام علامة مشهود له بالصدق والأمانة والدين ومعرفة أمر الدنيا معا ، فهو صاحب مؤلفات في الشعر وفي أدب الكاتب وفي النساء أيضا . . والأستاذ محسن مهدى شهاده حية بنفسه اذ أنفق عمره في هذا السفر العظيم الذى أراد به أن يقدم لأمته نسخة قريبة قدر الأمكان ، مما يتصوره النسخة الأم أو النسخة الأستاذ لألف ليلة وليلة . فجمع هذه النسخ في مظانها وقارن وطابق . ثم اختار نسخة أصلية يستند اليها ، ويصححها ويضيف اليها من النسخ الأخرى . وهو جهد يعني أننا دخلنا دنيا العلم المخلص الصادق ، فلسنا نعرف من دارسينا العرب من عنى نفسه كل هذا العناء الذى يشاكل عناء المستشرقين في موقفهم من ليالينا . . وهى حقا ليالينا أعادها محسن مهدى الينا بسفره الضخم الذى يحتاج الى وقفة خاصة ليس هنا مجالها . . ويكفينا منه أنه كان شاهد صدق وعدل حين احتاجته الليالي ، ويكفينا ان الصدف ساقته الى القاهرة يوم محنة عشقه الأكبر ـ ألف ليلة وليلة ـ ليساندها في قفص الاتهام بجهده الصادق وعرقه المخلص ، وهذه الكلمات الرائعة التي اختارها من الشيخ الامام الحافظ ابن قتيبة الدينوري . . حياه الله ورحم ابن قتيبة الدينوري ، ومد لنا بظل رحمته حتى لا يضيعنا ويضيع تراثنا المتعجلون من شباب لم يقرأ ولم يعرف ، وتصدى لما لا يعرف بضجيج من اللفظ لا يغنى عن المعنى والبقاء ، ولا يحط من تراثنا الفني ولا يضع من أمر أدبنا الذى شق طريقه من قديم الى معنى العالمية حين عرف العالم ألف ليلة وليلة . ورحمنا الله ان عشنا حتى رأينا ما ينغص عيشنا ويسخر من عقولنا ، ويسفه أحلامنا . . رحمتك بنا يا الهى فأنت خير الراحمين . □

قصة مترجمة

مناسب من جميع النواحي

للكاتبة الانكليزية : جرترود شويتزر

ترجمة : الدكتور عيسى المصو

(طوال حياتي والآخرون يقررون عني ما هو مناسب لي . لكن هذه المرة أردت تنفيذ ما اريد .)

تعرفت على (توني) في نفس اليوم الذى طلب مني (رون) فيه أن أتزوجه .

لكن في الواقع لم يطلب (رون) مني تماما ان اتزوجه فلقد كنا تظاهرنا باننا سنتزوج عندما كان في السابعة وانا في الخامسة . وشاع بين الناس انه يصلح الواحد منا للآخر - فلقد كان طويلا أشقر ، بينما كنت انا سمراء قصيرة القامة .

فالذى قاله (رون) في الحقيقة هو : ألا تعتقدين أن شهر سبتمبر سيكون شهرا مناسبا لزواجنا ؟

انني لم أتعرف على (توني) في ذلك اليوم ، فلقد كنت طريحة الفراش مصابة بزكام ، بينما كان هو في غرفة الجلوس يقيس حجم الموقد ، اذ مضت شهور وابي يتحدث عن تركيب موقد لحرق الاخشاب ، ولكنه لم يتيسر له ذلك ، الا ان شقيقتي (ليبي) التي كانت قد نزلت عندنا في احدى زيارتها نصف السنوية ، عثرت على من يقوم بالعمل ، وها هو ذا الآن منهمك فيه .

قالت (ليبي) : هذا هو (توني ستيفنز) يا (كيم) وهو يقول ان المكان صالح تماما لتركيب الموقد فيه .

ولا يستطيع أحد الزعم بأن هذا التعارف هو تعارف حقيقي ، فلقد رفع رأسه عن آلة القياس التي كان يستعملها وحياني بكلمة (هاى) فأجبته بنفس الطريقة .

ولو سمع أبي ذلك فربما لم يكن يروق له الأمر ، فكمدرس للغة الانكليزية كان يرغب عن مثل هذا اللون من التحية المقتضبة . وكان ابي يرغب في اشياء كثيرة بعيدة المنال ، ولكن شأنه في ذلك هو شأن الآخرين أيضا ، وكانت (ليبي) تعتقد انه كثير الاحلام ، وانني شديدة الشبه به . وكنت قد بقيت في البيت لأرعى شؤونه بعد موت والدتي ، وسارت الأمور فيها بيننا سيرا حسنا .

وعند قدوم (ليبي) كانت تتولى ادارة المنزل ، الأمر الذى جعلني أدرك مدى التشويش في طريقة حياتنا . لقد كانت شقيقتي متزوجة من أحد المحامين ، وهي تقوم بأعباء مهنتها وبأمور بيتها ، وهي رابطة الجأش دائما ، كما كانت تكبرني بعشر سنوات ، فكانت أشبه ما تكون بمثلي الاعلى ومرشدتي . الا أننا كنا على طرفي نقيض .

سألتني عن موعد زواجي من (رون) ، وذلك في اليوم التالي بعد مجيء (توني) لاخذ قياس الموقد ، اى في اليوم التالي الذى قال فيه (رون) انه يعتقد ان سبتمبر سيكون شهرا جميلا للزواج .

وكنت قد أخبرته أنه لم يبق لسبتمبر سوى أربعة شهور ، وأنني لم أكن أفكر في الزواج بمثل هذه السرعة . وكان ذلك صحيحا ، فلم أكن واثقة تماما أنني كنت بعد مستعدة للزواج .



فطلب مني (رون) بلهجة حازمة ، أن أحسم الأمر حالا .

وكنت قد عقدت العزم على التفكير في الامر ، ولكني الفيت نفسي افكر في (توني) بدلا منه . ولم يكن في وسعي معرفة السبب ، فلم يكن وسيما ـ وكانت ملامحه كبيرة ولونه ضارب الى السمرة ، ولم يسبق اني سمعته ينطق بشيء سوى تلك التحية المقتضبة . ورغم هذا فانه استحوذ على تفكيري .

وكل ما قلته (لليبي) هو أن (رون) وانا لم نقرر بعد موعد الزواج ، فأجابتني أنها لو كانت مكاني لقررت الموعد ، فمن خطل الرأى اعتبار رجل مثل (رون) وكأنه مضمون .

وكانت على حق بالطبع . كان (رون) حسن الهيئة وكانت له وظيفة مرموقة في احدى شركات التأمين ، فما الذى يحدو بي الى الانصراف عن (رون) والتفكير في رجل لم أره الا دقائق معدودة ؟

وعلى الغداء اشاد ابي (بتونى) مستشهدا بقول صديق له سبق وأن جربه في العمل بأنه صانع ماهر . فاجابته (ليبي) بهدوء انها سبق وان عرفت بذلك قبل استخدامه ووافقها أبي على ذلك ، فهو معجب (بليبي) ، وكان كلانا معجبا بها ، وان كنا نرتاع قليلا من مقدرتها ، وأضاف أبي بانه على كل حال لن يكون بحاجة الى عمل ، فلقد مضى وقت طويل على قريتهم منذ أن كان فيها صانعاً يستعمل أساليب قديمة .

وعندما عاد (توني) بعد ظهر ذلك اليوم لتركيب الموقد سألته هل لازلت تستعمل الاساليب القديمة ؟ فرد بانه يعتقد أن استعمال الأساليب القديمة لا يتساوق مع سنه الصغيرة ، وانه صانع على كل حال ، يحب العمل بيديه ، وانه يتقن ذلك ، وكان في اثناء حديثه يعمل بالمطرقة والازميل دون النظر اليّ .

قلت : لابد وان يكون هذا رائعا ، أما أنا فأبعد ما أكون عن اجادة الاعمال اليدوية ، ولحسن الحظ لا يتبين ذلك في اعمالي ، فانا اعمل مبرمجة كمبيوتر .

وفجأة وجدتني أحدثه عن مواضيع تكاد لا تخطر لي على بال ، فابلغته عن رغبتي السابقة في احتراف الرقص ، ولكن دون ان تسعفني الموهبة ، وكيف أن شقيقتي تدأب على القول انه لا يقدر النجاح الا للقليلات حتى من بين الموهوبات .

قال : ليس تحقيق النجاح هو كل شي ، فعليك أحيانا الاصغاء الى صوت نفسك .

وتفوه توني بهذا الكلام دون التوقف عن عمله بل دون الالتفات إليّ ، وتمنيت لو أنه يلقي نظرة سريعة اليّ على الأقل . غير أنه كان هناك للقيام بعمل ، وخيل الي أنه لم يكن يبدى أي اهتمام بي ، وقسوت على نفسي مرددة اني لن أعيره بدوري أي اهتمام .

لكن ذلك لم يكن صحيحا ، فلم استطع نسيانه ، وعندماجاء (رون) ذات يوم للعشاء وتحدث مع أبي وشقيقتي عن زفافنا ، وكأن كل شيء قد تقرر ، الم بيّ الهلع . فأنى لي ان أتزوج (رون) وانا ما برحت افكر في رجل آخر ؟

قلت : انا لم اقل يا (رون) انني سأتزوجك في سبتمبر . انني لم اتوصل الى قرار بعد . فقد جاء الامر مفاجئا .

قهقه أبي مرددا : مفاجئا ، ألستما متحابين منذ ثمانية عشر عاما ؟

قلت : لايمكن لطفلة في الخامسة أن تحب .

قال (رون) ساخرا من تصرفي غير المعقول : انها لا تريد الا المعارضة فقط .

ولئن كنت راغبة في الظهور بمظهر الهدوء والاتزان والوقار ، غير أنه لم يسعني الا أن أكرر هذه الكلمات فقط : كلا ـ أنا آسفة ـ لا استطيع ـ احتاج الى وقت ـ واندفعت خارجة قبل ان يستطيع أحد ايقافي .

صعدت الى غرفتي وجلست الى النافذة محملقة في شجرة الخوخ . كان (رون) قد تحداني ان أتسلقها وأنا في التاسعة ، وقبلت التحدى فوقعت عنها ، فجرحت في رجلي ، ولا تزال الندبة الناتجة عن ذلك تذكرني بالحادث . (فلرون) طريقة تجعلني أقوم بعمل الأشياء حتى تلك التي لا أريد القيام بها .

وكنت في العادة أنفذ ما تطلبه (ليبي) مني ، وكانت دائما تفلح في اقناعي بسداد رأيها في كل ما يتعلق بي . ولا مراء أنهما الآن يطمئنان أبي في غرفة المائدة ، بانني ساعود الى رشدى كما كان مألوفا ، ولكنهما لم يملكا وسيلة تدلهما على أنني لم أعد نفس الفتاة التي يعهدانها ، وانني لم اعد كما كنت منذ ان تطلع (توني) اليّ وحياني باقتضاب .

قلت : هلا تتوقف عن العمل للغداء ؟

ضرب بمطرقته مسمارا ضربات سريعة دقيقة ثم

التفت لينظر اليّ . كنت أعتقد أن عينيه سوداوان واذ بهما خضراوان اخضرارا غامقا كمياه البحر . وسألني ماذا تريدين ان تعرفي ؟

خطر لي أن أقول انني محبة للاستطلاع ، لكني عزفت عن ذلك أمام هاتين العينين . قلت : فكرت انه ربما استطعنا تناول طعام الغداء معا .

حدجني بنظرة ثم هز كتفيه قائلا : ان غدائي معي ، فاذا أردت أن تحصلي على بعض السندويشات ، واحضارها الى هنا فلا بأس .

قلت : يبدو وكأنك تضن علي بوقتك ، وقد تفضل الانفراد بنفسك .

ـ لا ابدا ، لكني لست متأكدا مما تبغينه ، فلقد سمعت أنك مخطوبة منذ نعومة أظفارك .

ـ ان الامر في بلادنا يختلف عما هو عليه في البلاد الأخرى . فلا يخطب الأطفال هنا ، وعلى كل حال فالامر مجرد غداء .

قال : لا ادرى اذا كان الأمر موقوفا على الغداء ، فقد أميل اليك كثيرا أثناء الغداء ، وبعد ذلك قد يظفر بك هذا الرجل الآخر . وابتسم لأول مرة ، ولم يكن في ابتسامته شيء غير عادى ، ولكني شعرت وكأنه قدم الي هدية .

ليست عندى فكرة عما أكلته على الغداء . وجلسنا على لوح خشبي في نور الشمس وتحدثنا عن أنفسنا ، ولكني لا استطيع تذكر الكثير مما قيل . الا أنني أتذكر باني أخبرته أن (رون) مجرد صديق عرفته طوال حياتي ، وبدا الأمر صحيحا عند النطق به .

ولم أعرف الآن ، وأنا جالسة في الظلام بعد ان فجرت مشاعرى في غرفة المائدة ، اذا كان الأمر صحيحا أم لا . فلقد كان يخيل الي دائما أنني أحب (رون) ، ولكن هل يمكن ان انجذب في الحال (لتوني) اذا كنت أحب شخصا آخر ؟

صعدت (ليبي) الدرج أولا ، وقرعت الباب ، ودخلت قبل أن تنتظر مني دعوتها . واشعلت النور ووقفت تحدق بي النظر .

قالت : ما الذى المّ بك يا (كيم) ؟ الا تدركين كم أنت محظوظة للحصول على (رون) ؟

قلت : لا أعرف ان كنت أحبه في الحقيقة أم لا .

ـ ما الذى تقولينه ؟ لقد تحاببتما منذ طفولتكما .

ـ لقد نشأت وأنا أعتقد ذلك ، ولكنني الآن لست واثقة من صحة الامر .

ـ ولكن يا (كيم) انك لم تلتفتي الى أى شخص آخر و (رون) تتمناه كل امرأة ، فهو مناسب لك من جميع النواحي .

قلت : كنت اعتقد دائما أنك تعرفين ما الذى يناسبني يا (ليبي) . ولكني أعتقد أنه لا يستطيع أحد سواى أن يعرف ذلك .

وقبل أن تجيب قرع (رون) الباب ، وخرجت (ليبي) وهي تهز رأسها .

قال (رون) : ما معنى هذا الأمر كله يا (كيم) ؟ لقد كدرت أباك وأختك تكديرا عظيما .

ولم يقل انني سببت له كدرا . انهما يوافقاني بخصوص سبتمبر . من غير المعقول ان تصري على ان الموعد قريب جدا .

قلت : ليس لأبي أو لأختي أية علاقة بهذا الأمر . فاذا قلت انني بحاجة الى المزيد من الوقت فليس لاحد أن يدحض ذلك . وجلست منتصبة وقد بدأت أشعر انني أطول مما كنت عليه عادة . وأضفت : حتى ولا أنت يا (رون) .

تقطب وجهه . وعندما تحدث كان صوته قد تغير . قال : لقد كنت دائما فتاة معقولة ، وهذا العناد لا يليق بك . واستدار ذاهبا وهو يقول : اذا صممت على انك لا تقصدين ما تقولين وانك تريدين الزواج في سبتمبر كلميني هاتفيا .

وكان في طريقه نحو الباب عندما قررت أن أعلمه بكل شي . قلت بهدوء : اعتقد انني بدأت أحب شخصا آخر يا (رون) .

تحول نحوى محملقا قائلا : ماذا تعنين ؟ من ؟

ـ رجل يدعى (توني ستيفنز)

بدا الشك عليه ، وكأنه يعتقد أنني أختلق الأمر كله .

قال : حسنا ، لايزال في وسعك أن تكلميني هاتفيا اذا عدت الى رشدك .

وحين أغلق الباب وراءه رجعت الى النافذة ، والآن بعد أن تحدثت بكل ما امكنني من حزم ونزاهة ، المت بي قشعريرة . ان جميع ما يترتب عليّ عمله بالطبع هو أن أحدث (رون) هاتفيا قبل فوات الأوان ، وأن أحيطه علما بانني لم اكن اعني ما قلته ، الا ان عملا كهذا كان خارجا عن ارادتي .

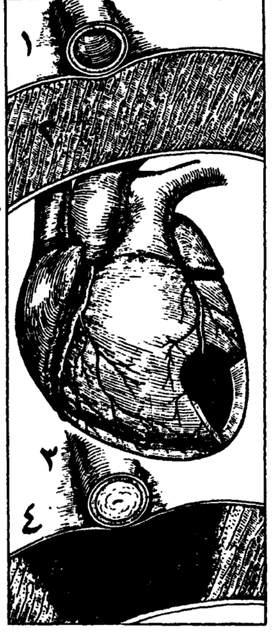
وكلمني (توني) هاتفيا في مساء اليوم التالي ، ودعاني للذهاب الى السينما فقبلت دعوته .
وفي منتصف الفيلم أمسك بيدى ، وبعد ذلك لم أدر ماذا حدث على الشاشة . وبعد انتهاء الفيلم تمشينا نحو مطعم صغير ، وقد عوض (توني) عن الأوقات التي لم يكن ينظر فيها الي ، فما انفكت عيناه تطيلان النظر الي .
قال : لم أكن متأكدا ان كنت ستخرجين معي ، فقد كنت أظن أن ذلك اليوم الذى اتيت فيه الى مكان عملي ، وتغدينا معا ، كان تعبيرا عن مجرد هوى من الأهواء . وابتسم تلك الابتسامة التي هي أشبه بالهدية .
قلت : لست متأكدا من نفسك ، أليس كذلك ؟
اجاب بعد هنيهة : انني متأكد من عملي ، وعن الكيفية التي أريد أن أعيشها ، ولكني لست واثقا من النساء . لقد كنت على وشك الخطوبه دات مره من فتاة ، ولكنها آثرت الزواج من أحد المحاسبين بدلا مني ، ولست أريد أن يحدث لي ذلك مرة أخرى .
وبدا لي وأنا أوافقه على قوله أنني كنت أعده بشي ما .
وقبل أن يطلب مني توضيحا قلت : هل لي أن أعرف كيف تريد أن تحيا حياتك ؟
أجاب : براحة وشرف مع من أحب ، نقوم بعمل الأشياء التي نحبها ، مقتربين بعضنا من بعض مع وجود بعض المسافة بحيث يستطيع كل منا تأكيد ذاته ، واستطرد بهدوء : اعتقد أن على الرجل ان يقوم بما يريد عمله حتى لو لم يدر عليه ذلك ربحاً وفيراً ، وللمرأة أن تحترف المهنة التي تشاء .
وافقته على رأيه وأنا أعي هذه المرة حقيقة ما ذهب اليه .

وعندما عدت كان (رون) في غرفة الجلوس في البيت مع (ليبي) وابي . ففوجئت به الى حد لم أشعر معه أكنت مسرورة أم آسفة لحضوره ؟
قال موضحا الموقف : لم آت لأراك يا (كيم) ، وانما جئت لاتحدث مع أبيك .
قال أبي : أخبرني (رون) أن هناك شيئا بينك وبين (توني) ، فهل هذا صحيح ؟
قلت بلهجة لاذعة : ذهبت مع (توني) لمشاهدة أحد الأفلام ، ان كان هذا هو ما تقصده بقولك انه يوجد شيء بيننا .

قال (رون) : هل سمعت ؟
وتنهد أبي وسأل : لماذا ؟ يا (كيم) ؟
وجلست على الأرض قرب مقعده واخذت يده قائلة : يا أبي لست واثقة اذا كان بامكاني أن أفسر .
قال (رون) قبل أن أنهي حديثي : تعتقد انها تحبه .
قالت (ليبي) : ان ذلك يبعث على الضحك ، فلقد عشت دائما مع اناس يستعملون ادمغتهم في عملهم . فكيف تتخيلين انك تحبين صانعا ؟ انك نسجت حلما رومنسيا من شيء مستحيل كرغبتك في احتراف الرقص .
قلت : الرقص ؟ اجل ولكن انى لي أن أعرف ان كان ذلك ممكنا .
ونظر ابي الي مندهشا ، وأدركت عندئذ انه سمح (لليبي) ان تقنعه كي لا أحترف هذه المهنة .
أما بالنسبة الى (رون) و (ليبي) فبدا عليهما أنهما لم يسمعا ما قلت .
سألها (رون) : ماذا تعتقدين فيما دار من حديث بينهما ؟ سعر المسامير ؟
وادركت حينذاك انني لم اكن احبه ، وان الذى كان بيننا لم يكن حبا .
قلت له بلهجة جعلتها ألطف ما يكون : (رون) اعتقد ان من الأفضل لك أن تذهب ، فانني أريد أن أحدث والدى على انفراد .
فنهض في الحال للذهاب وقال مخاطبا والدى : انها تعتقد جادة أن في هذا الرجل شيئا خاصا .
لاتنس مطلقا اى نوع من الرجال هو هذا الرجل .
وكرر أبي حال مغادرته الغرفة : أى نوع من الرجال هو هذا ؟ وهل يقصد رجلا يعمل بيديه ؟
ونزع ابي نظارته محملقا في الفضاء بنظرة حالمة وقال : قضيت ذات مرة في طفولتي فصل صيف بكامله مع رجل يعمل بيديه ، كان مزارعا ، ولم انسه ابدا ، فقد كان يعرف ما هو جدير بمعرفته أكثر من أي رجل صادفته .
قلت : انتظر حتى تلقى (توني) .
وبدأت (ليبي) الحديث قائلة : اصغي الي يا (كيم) يا عزيزتي ـ ولكني قاطعتها قائلة : لا يا (ليبي) ليس هذه المرة ، في هذه المرة سأصغي الى صوت نفسي .

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي



يعتبر انسداد الشريان التاجى وموت أو تلف العضلة القلبية بسببه فى طليعة العلل التى تؤدى الى النوبات القلبية القاتلة فى الغرب ، وقد بلغ عدد الذين يلقون حتفهم تبعا لذلك ٣٠٠٫٠٠٠ نسمه سنويا ـ وذلك فى الولايات المتحدة وحدها .

ويوضح الرسم المرافق الشريان التاجى والعضلة القلبية ويظهرهما سويين فى أعلى الرسم ، ومعتلين فى أدناه ، لاحظ الشريان المغلق والعضلة التالفة (المظللة) .

وقد تم تطوير عقار لمعالجة الذين تنتابهم نوبات قلبية من هذا القبيل ، ويطلقون على هذا العقار اسم (t-pa) ويعطى الى المصابين أثناء النوبة . . فيعمل على التخلص من التجلط الذى فى داخل الأوعية الدموية المتصلة بالقلب . . واجريت تجارب عديدة على العقار الجديد ، وأصاب من النجاح نسبة لايستهان بها ٧٢ ـ ٨٠٪

ويتميز العقار الجديد على سائر العقاقير التى تعمل على تسليك الجلطات مثله فى أنه يتم تناوله بواسطة التقطير فى الوريد . . خلافا للعقاقير الأخرى التى يتم تداولها بواسطة القشتر . .

والجدير بالذكر ان العقار الجديد من ثمار الهندسة البيولوجية . وقد طورته شركة Genentech الأمريكية .

الصلع ثانية

ماأكثر ما كتبنا عن الصلع وعن العقاقير التى استحضرت لعلاجه . . وما أكثر ما كتب لنا القراء ، يطلبون المزيد من المعلومات عن تلك العقاقير ، وعن الجهات التى تنتجها ، وبلغ من كثرة ما كتبوا أننا عجزنا عن الرد عن استفساراتهم . . لاسيما وأننا نضمن الخبر الذى ننشر كل مالدينا من معلومات حوله ، بما فى ذلك عنوان الشركة المنتجة ان كان قد وردنا عنوانها .

والخبر الجديد الذى نقدمه اليوم ظهر أول ماظهر فى تقرير نشرته مجلة تاتشر العلمية ، فى أحد أعدادها الصادرة فى مطلع هذه السنة (فى شهر مارس بالتحديد) ومفاده أن عالمين اسكتلنديين قد نجحا فى زرع خلايا الشعر الجلدية التى توجد تحت منبت الشعر مباشرة ، والتى تعرف باسم الحليمات الجلدية Jermial Papillae ، فهذه الخلايا تتحكم بنمو الشعر بحيث يتوقف نموه تماما فى حالة انتزاعها من مكانها ، ثم يعود الى النمو ثانية لدى اعادتها الى مكانها . . وتستطيع هذه الحليمات - اضافة الى ذلك - ان تعمل على تكوين منابت شعر جديدة فى مواقع جرداء لم يكن فيها شعر ولامنابت .

ونجح العالمان فى زرع هذه الخلايا فى انابيب المختبرات وفى استنباتها بكميات كبيرة . . وأجريا من التجارب على الخلايا الجديدة المستنبتة ما أكد قدرتها على اخصاب منابت الشعر وكأنها خلايا شعر أصلية .

الا أن هذه التجارب أجريت على خلايا الفئران ، وليس ما يحول دون استنبات خلايا شعر انسانية . . فاذا اثبتت هذه فاعليتها كخلايا الفئران كان فى مقدور العلماء اكتشاف الأسباب التى تؤدى الى الصلع . . او الى فقدان خلايا الشعر فاعليتها أصلا . . وكان فى استطاعتهم القضاء على الصلع بعمليات بسيطة ، تزرع فيها خلايا شعر فعالة .

جرب النجوم

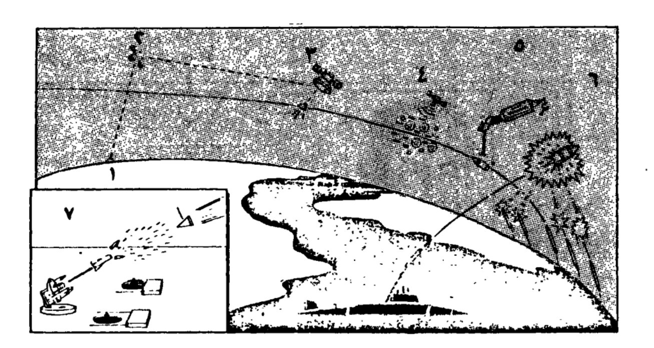
. . ماهى ؟

حرب النجوم كانت - ومازالت - موضع اهتمام الجميع . . فى الغرب وفى الشرق . كبارا وصغارا فهى تثير اهتمام الصغار بقدر ما كانت موضوعهم المحبب بين مواضيع الخيال العلمى التى طالما شاهدوها على شاشة التلفاز والفيديو . وهى تثير اهتمام الكبار بقدر ما تبعث على حب استطلاعهم . . فما هى حرب النجوم التى تتعدى تكاليفها حدود الخيال ، والتى تضمن للعالم الغربى الحماية والوقاية من الصواريخ السوفياتية النووية كما يؤكد الامريكيون ، والتى تؤدي لتفاقم سباق التسلح كما يؤكد السوفيات . . ؟

على أننا لانطمح هنا الى أكثر من ايضاح مقتضب جدا لفكرة هذه الحرب ، مستعينين على ذلك بالرسم الذى وضعه الخبراء بقصد هذا الايضاح . .

ولعل أول مايذكر عن حرب النجوم هو ان اسمها هذا هو الاسم الذى اطلقه عليها الكتاب والصحفيون . . أما اسمها الرسمى فهو : « شبكة الأسلحة الفضائية المضادة للصواريخ والقذائف النووية » فهى اذن لاعلاقة لها البتة بالنجوم او . . بالكواكب البعيدة فى أغوار الفضاء . . انها مجرد أسلحة متطورة مضادة تطلق من الفضاء أو من الارض لتعرقل أسلحة أخرى متطورة اطلقت هى الأخرى من الفضاء أو الارض ، ولتبطش بها فى الفضاء وقبل اصابتها الأهداف . .

وأولى الاسلحة المضادة هى أسلحة الليزر الأرضية التى تطلق أشعتها الى الأفق وفق توجيه مرآة خاصة يحملها قمر صناعى (٢) و(٣) .



ولما كان من السهل تدمير هذا القمر الصناعى الراصد (٤) وذلك بـواسطة أقمار كاذبة خادعة ، أو عن طريق التشويش الراداری . . كان لابد من وجود سلاح مضاد ثان غير نووى كأشعة ليزر الكيماوية(٥) ، والأشعة النيوترونية وما الى ذلك . . على أن يكون هذا السلاح فى مدار له فى الفضاء ليرد على غارة العدو دون أدنى تأخير . .

ولكن الرؤوس النووية المعادية قد تكون مطلية بما يفقد ذلك السلاح المضاد الثانى الكثير من فاعليته . . فى تلك الحال يدخل المعركة السلاح المضاد الثالث ، اشعة ليزر السينية (٦) التى تطلقها الغواصات وما اليها من أعماق البحار ، أو من على سطح الأرض . . وهذه الأشعة بالغة الفاعلية ، بحيث يستطيع الشعاع الواحد منها تدمير عشرات الصواريخ . .

أما اذا نجح الصاروخ المهاجم فى تخطى كل هذه الأسلحة واقترب من أهدافه فلابد فى تلك الحال من اطلاق قذيفة الشظايا (Shrapnel) على ذلك الصاروخ (٧) بما يكفل القضاء عليه .

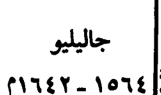
الجديد في علاج مرض السكرى

■ هذه طريقة جديدة في معالجة مرض السكرى . . اجرى تجاربها وتعاون على تطويرها فريقان من العلماء الاطباء . . فريق جامعة واشنطن في سانت لويس وفريق جامعة كولورادو للعلوم الصحية في دنفر . . . والطريقة الجديدة هي الاخرى تقوم على الزرع . . ولكن زرع بعض خلايا البنكرياس وليس كله . والخلايا المقصودة هي تلك التي تفرز الانسولين (Islets Cells) . فقد تبين أن زرع خلايا سليمة محل الخلايا التالفة كفيل بحصول الجسم على ما يحتاجه من الانسولين بصورة طبيعية . .

وتضمن الخلايا الجديدة ايضا رصدا متواصلا لمحتويات السكر في الدم بحيث يزيد افراز الانسولين اذا زادت تلك المحتويات والعكس بالعكس . .

وقد جربت هذه الطريقة في الحيوانات فكانت نتائجها طيبة . . وستجرب عما قريب في الانسان . يقول الدكتور انطونى موناكو ، رئيس قسم زراعة الاعضاء في مستشفى نيوانجلند في بوسطن ، يقول « لا شك ان التجارب التى ستجريها على الانسان ، في غضون شهرين ، ستنجح مثلما نجحت تجارب الحيوان » .





جاليليو

١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م

يحتل جاليليو جاليلى مكان الصدارة بين رواد العلم الحديث جميعا . . فقد كان ذا فضل كبير في اثراء المعرفة البشرية وتوسيع مدارك الانسان .

ولد فى بلدة بيزا الايطالية . . حيث البرج المائل الذى طالما تردد عليه جاليليو فى صباه ، والذى القى من فوقه حسبما تزعم الرواية ، بأجسام ذات أوزان مختلفة ليقيم الدليل على أن تلك الاجسام تصل الى الارض فى وقت واحد .

والتحق جاليليو بالجامعة لدراسة الطب . . ولكنه مالبث أن انصرف عن الطب واقبل على دراسة الرياضيات ، وذلك إثر درس اتفق له ان يسمعه فى الهندسة . . غير أن ظروفه المادية حالت بينه وبين مواصلة الدراسة الجامعية .

وما أسرع ما انطلق جاليليو فى كتابة الكتب . . وما أسرع ماتجلت مواهبه الفذة فى تلك الكتب .

ويعجب المرء كيف اتسع وقت جاليليو لاختراع ميزان الحرارة الرائد ، الذى عمل بالغاز لقياس حرارة الهواء . . أما المرقب (التلسكوب) فلم يكن من ابتكار جاليليو ، بل انه سمع عن اختراعه فى هولندة ، فما كان منه الا أن أعاد تصميم المرقب الهولندى وحسنه فى يوم واحد . . ثم وجهه الى السماء لمراقبة أجرامها ، فكان أول فلكى راقب النجوم والكواكب بمنظار . . وكان أول فلكى رأى أقمار وحلقات الكوكب زحل ، ولاحظ تحركات بقع الشمس . . فوجد فى تحركاتها دليلا على صحة نظرية كوبر نيكوس .

على أن هذه النظرية لم تكن بحاجة الى دليل فى نظر جاليليو ، وقد اعتقد منذ شبابه أن الشمس لا الأرض هى الثابتة ، وان الأرض وسائر الكواكب الأخرى هى التى تدور حول الشمس .

ولطالما شعر جاليليو بحماسة فائقة لنشر تلك الحقيقة . . الا أنه أحجم عن ذلك نظرا لانها تناقض نظرية بطليموس ، وتتعارض وتعاليم الكنيسة . . وآثر عدم الكتابة فيها قبل ترخيص البابا بذلك ، والا اضطهد واتهم بالهرطقة . .

وجاءت موافقة البابا الصريحة سنة ١٦٢٤ ، فكتب جاليليو كتابه الشهير « حوار بين النظامين الرئيسيين : نظام بطليموس ونظام كوبرنيكوس » . . وقد تميز هذا الكتاب بروح النزاهة والوضوح ، وروعة التعبير ، حتى اعتبر من روائع الفكر والعلم والأدب .

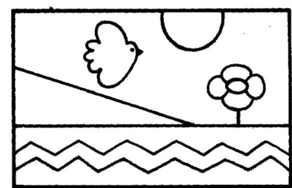
ولم يكن من الصعب التعتيم على موافقة البابا ، وقد ظهرت فجأة وثيقة أخرى زعمت ان الفاتيكان حذر جاليليو من نشر كتاب الحوار . . .

وهكذا مثل جاليليو أمام محاكم التفتيش ، وقد هددته بالتعذيب مرتين ، فاضطر الى الاعتراف بأنه مذنب . . فأدين بالزندقة ، وحكم عليه بالاقامة الجبرية فى منزله . وأمضى السنوات الثمانى الأخيرة من حياته وهو سجين منزله ، وتوفى سنة ١٦٤٢ عن عمر يناهز ٧٨ سنة .

وتجدر الاشارة الى أن جاليليو لم يتوقف عن الكتابة فى فترة سجنه ، بل انه ألف فيها أحسن كتبه !

بقى أن نذكر أن جاليليو كان بريئا مما اتهم به ، وان الحكم الذى صدر بحقه كان جائرا . . هذا على الاقل هو ما اعلنه البابا الحالى قبل سنة ونيف . . اى أن جاليليو برىء ، ولكن بعد موته بثلاثة قرون □

سلامة البشرية في سلامة البيئة



سمك السالمون غنى عن التعريف .. انه السمك الذى يقضى طفولته فى الأنهار ، حتى اذا بلغ طوله ٥ ـ ٦ بوصات .. وعمره بضع سنوات انطلق الى أعالى البحار ، الى حقول غذائه المفضل ، وقد تبعد هذه الحقول مئات الأميال أو آلافها ، وقد يقضى السمك فيها عدة سنوات .. ولكنه يعود الى مواطنه الأصلية فى الأنهار ، ويبدأ رحلة عودته فى فصل الربيع .. فتلك هى قصة سمك السالمون .. سالمون المحيط الأطلسى وسالمون المحيط الهادى وهو أكبر حجما ..

ولما كانت مواعيد رحلات السالمون معروفة تماما لدى الصيادين ، ولما كان لحمه مستطابا ، كان حرصهم على التربص له وصيده فى أماكن معينة ، ومواعيد مفضلة .. الا أنهم تمادوا فى صيدهم وتجاوزوا الحد الذى يصبح بعده الصيد جائرا ..

ولم تغفل السلطات المعنية بالأسماك أو التوازن البيئى عما حدث .. فقد بلغ مجموع ما صادوه من سمك السالمون فى أنهار اسكتلندة وحدها ١٥٧١ طنا ، وذلك فيما بين سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ .. ثم هبط ذلك المجموع ونقص بنسبة ٣٠٪ تقريبا ، حتى بلغ ١١٨٤ طنا خلال الفترة ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ ... ، وقد حدث مثل ذلك النقصان فى كندا والنرويج وايرلندة وغيرها ، حتى أصبحت جموع سمك السالمون العالمية مهددة .

ونقصّت تلك السلطات أسباب هذا النقصان ، فوجدته فى الصيد الجائر الذى قام به صيادو جزر



الفَرَوز .. وهى الجزر التى تقع فى شمال الأطلسى ، وتتمتع بحكم ذاتى مرتبط بالدانمرك .. فقد تضاعف مجموع ما صادوه بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠ عشرة أضعاف ، حتى بلغ ١٠٠٠ طن سنويا .. ولعلهم لم يجدوا غضاضة فى ذلك ، نظرا لان جزر الفروز لم توقع على أي من الاتفاقيات الدولية التى تحدد الكميات التى يسمح بصيدها من السمك السالمون ، تحاشيا للصيد الجائر .

لا عجب اذن أن ضغطت مجموعة الدول الاوروبية العشر على جزر الفروز ، وحملتها على التوقيع على معاهدة تلزمها بحدود تقف عندها فى صيد سمك السالمون ، وهى ٧٥٠ طنا خلال موسم ٨٢/١٩٨١ و ٦٢٥ طنا فى المواسم التى تليه ..

أضف الى ذلك أن بعض الدول المعنية حظرت على صياديها صيد سمك السالمون فى رحلة عودته الى الأنهار .. باعتباره صيدا جائرا مهما قلّت كمياته .. ولعل من أهم ما ضمن لسمك السالمون الاستمرار وعدم الانقراض ، حقول تربيته الكثيرة .. وقد بلغت حصيلة هذه الحقول فى اسكتلندة وحدها ٢٠٠٠ طن سنة ١٩٨٢ ، ثم تضاعفت حتى بلغت ٤٠٠٠ طن سنة ١٩٨٥ . □

الضوضاء .. جهاز الستيريو .. أهم أسبابها

تعتبر الضوضاء ملوثا من ملوثات البيئة ، ولعلها من أسوأ الملوثات اطلاقا ، فهي تسبب ارتفاع ضغط الدم .. وتعكر صفو حياة الانسان النفسية ، وتحد من قدرته على الدراسة واكتساب العلم ، ناهيك عن الأذى الذى تحدثه لحاسة السمع .

فقد دلت آخر الابحاث على أن الضوضاء من شأنها أن تفتك بخلايا الشعر ، او تقضى عليها ، فتحدث الطنين المتواصل فى الأذن ، هذا اذا لم تؤدِّ الى الصمم الدائم او المؤقت على الأقل .

والجدير بالذكر أن خلايا الشعر التى توجد فى الأذن العميقة ، والتى تتحرك ذات اليمين وذات الشمال لدى وصول الصوت اليها ، هى التى تمكن الانسان من سماع الأصوات ، اذ أنها تفرز مادة كيماوية ، وترسلها الى الألياف العصبية ، وتكسب هذه الالياف القدرة على حمل الرسائل السمعية وايصالها الى المخ .

وأفادت تلك الأبحاث أيضا أن ضوضاء ٤٦ ديسيبل كافية لاحداث الأرق .. وأن ضوضاء ٦٥ ديسيبل تسبب تلفا للمخ فى الحيوانات ، فيما لو استمرت ٢٤ ساعة أو تزيد .

ولعل الستيريو هو أسوأ مصادر الضوضاء كما دلت دراسات أخرى حديثة .. قام بها أحد علماء جامعة ايوا المختصين .. ذلك أن ضوضاء الستيريو ممزوجة بعذوبة الموسيقا ، وهكذا يتلقى عشاق الستيريو السم والدسم فى آن معا .. فهم معرضون لفقدان سمعهم جزئيا أو كليا اذا واصلوا الاصغاء للستيريو ثلاث ساعات يوميا لفترة من الزمن .. وكانت ضوضاء الستيريو بمعدل ١٠٠ ديسيبل أو تزيد .

بقى أن نذكر أن وكالة الطيران المدنية فى الولايات المتحدة (FAA) نجحت فى حمل الطائرات على الحد من ضوضائها بنسبة ٥٠٪ ، وذلك فى آخر ميلين تقطعهما قبل الهبوط ، وأول ميلين تقطعهما بعد الاقلاع .. وأن مدينة نيويورك وضعت قانونا ضد الضوضاء ، وفرضت غرامات على المخالفين تبلغ الواحدة منها ٢٥ دولارا كحد أدنى .. وقد حذت شيكاجو وسان فرنسيسكو ومدن أمريكية أخرى حذو نيويورك . □

الضوضاء فئات .. تتفاوت من حيث حدتها التى تقاس بالدسيبل وتختلف من حيث أثرها على الانسان .

	دسيبل
قد تحدث أذى طويل الأجل لسمع الانسان	٧٥ فما فوق
تسبب الأرق وتمنع الحوار	٧٠ ـ ٧٥
احتمال الأرق ومنع الحوار .. والنوافذ مقفلة	٦٥ ـ ٧٠
احتمال الأرق ومنع الحوار .. والنوافذ مفتوحة	٦٠ ـ ٦٥
قد تسبب الازعاج للنائم .. والنوافذ مفتوحة	٥٥ ـ ٦٠

ملاحظة: الدسيبل هو الاسم الاصطلاحى الذى أطلقوه على الضوضاء ، بل على الوحدة التى يقيسون بها الضوضاء ، ورمز الدسيبل هو (dBA)

الرصاص .. أسوأ الملوثات جميعا

قررت وكالة البيئة فى الولايات المتحدة الأمريكية الحد من محتويات الرصاص فى بنزين السيارات بنسبة ٩١٪ ، وذلك اعتبارا من سنة ١٩٨٦ .. وحظر تلك المحتويات نهائيا وذلك بعد سنة ١٩٩٥ .. ومعنى هذا أن هذه القيود ستسن فى قوانين اتحادية ، وتلزم بتنفيذها كافة الولايات الخمسين .. غير أن مجلس مدينة شيكاجو استبق الحوادث ، وقرر تحريم البنزين المرصرص على الفور ، واعتبارا من شهر ديسمبر الماضى (١٩٨٤)

ويتساءل المرء عما اذا كان الرصاص ـ بكمياته الضئيلة التى توجد فى البنزين ـ يحدث بالفعل أضرارا بالغة تبرر كل هذه الضجة وكل هذه الاجراءات التى نقرأ عنها كل يوم تقريبا ، والتى لا تقتصر على الولايات المتحدة ، بل تتعداها الى ألمانيا وبريطانيا واليابان ودول أخرى كثيرة .. ترى ما هى أضرار الرصاص على وجه الدقة ؟ نعنى الأضرار التى أثبتتها دراسات علمية جادة ودقيقة ..

وأول ما يذكر من هذه الأضرار تلك التى تصيب الأطفال البالغين من العمر ١ ـ ٣ سنوات ، فهم أكثر الناس عرضة لأثر الرصاص الدائم وضرره المقيم .. فوجود الرصاص فى دمهم بنسبة تزيد على ١٥ ميكروجرام كفيل باضعاف أسنانهم والحد من ذكائهم ..

وقد أثبتت الدراسات المسهبة الترابط الوثيق بين نتائج الأطفال فى امتحان الذكاء ، وبين الارتفاع فى محتويات الرصاص فى دمهم .

على أن الأجنة معرضة هى الأخرى لضرر الرصاص .. فقد أثبتت التجارب التى شملت ٥١٨٣ جنينا أن ١٠ ميكروجرام رصاص فى حبل الجنين السرى كافية لاحداث تشويه دائم فى ذلك الجنين .. وهى كفيلة أيضا بامتناع احدى خصيتيه على الهبوط الى مكانها الطبيعى .

أما فى الرجال فقد أكدت الدراسات أن ٣٠ ميكروجرام رصاص فى الدم كفيلة باصابة الرجل



بارتفاع ضغط الدم .. وقد لا تزيد محتويات الرصاص على ١٥ ميكروجرام ، وفى تلك الحالة يكون الرجل عرضة لفقدان بعض قدرته على التعلم .. ذلك أن تلك الكمية من الرصاص كافية ، على ضآلتها ، لاحداث تغيرات فى موجات المخ البطيئة ..

وترجح دراسات أخرى أثر الرصاص المدمر فى قدرة الرجل على اتخاذ القرارات .. وقد تجلى ذلك الأثر فى تصرفات عدد لا يستهان به من أباطرة الرومان ، حتى اتهم بعضهم بالجنون وبعضهم الآخر بالعته أو الصرع أو ما الى ذلك .. ويذهب بعض العلماء والمؤرخين الى أن الرصاص هو الباعث على اتخاذ القرارات الخاطئة التى اتخذها اولئك الأباطرة ، والتى أدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى سقوط الامبراطورية الرومانية بأسرها .

ولعل أخطر ما يذكر عن الرصاص هو أنه اذا دخل الجسم بقى فيه .. اذ لا يلفظ الجسم منه سوى ١٠٪ تقريبا ، أما البقية ٩٠٪ فتستقر فى العظام غالبا ، ثم تتسرب الى الدم بين حين وحين . □

استراحة العربي

نصف كلمة :

عجبت لرجلين في قارب .. جهد الناس في التفريق بينهما حتى صمم كل منهما ان يبتعد عن الاخر جهده ، وجلس أحدهما عند مقدمة القارب بينما الثاني في مؤخرته ، ثم هبت ريح عاصفة هوجاء،واصطدم القارب بصخرة خرقت القاع فتسرب منه الماء ، وبدلاً من ان يتعاون الرجلان في سد الخرق تركا القارب يشرف على الغرق . وزعق الذي عند المؤخرة مناديا النوتي على الشاطىء يسأله أي طرفي القارب يغرق أولا ؟ فلما أخبره النوتي بأنه يرى أن المقدمة تغوص قبل المؤخرة .. قبّل كفه ظهرا لبطن .. وهو يقول :

ـ لن يكون الموت بغيضا الى نفسي .. مادام الآخر سيهلك قبلي ..!

***

كلمات :

* بعض الناس يحسبون أنهم يبيّضون صحائفهم بتسويد صحائف الآخرين .
* من قاد نفسه اقتاد الشعوب .. ومن قادته نفسه غمرته العيوب،وابتلعته الخطوب .
* لو كان الناس كلهم عقولا .. لخربت الدنيا ..
* البياض ناصع كالحقيقة .. تعلن عن وجودها بلا تستر ولاغموض . والسواد صريح كالمنطق .. لايلتوي ولايدور .. انما يمضي كالصراط .

حكمة :

« الذي يولد ليزحف .. لايستطيع أن يطير » .

حكاية :

مر رجل في الطريق بثعبان كاد يتجمد من البرد .. واخذته به الشفقة .. فتناوله من الارض ووضعه في جيب ردائه .. فلما احس الثعبان بالدفء دبت فيه الحياة وتنبهت الغريزة .. فعض الرجل الذي أحسن اليه ونفث فيه السم ليموت ... !

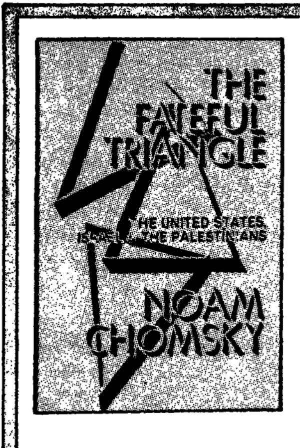
****

صورة :



التعامل مع الناس فن له قواعد وأصول .. ولكن يظل أبرز مقومات هذا التعامل أن تكون انسانا مع الناس ...

فالمعاملة الانسانية ... معناها الالفة مع الذين يحيطون بك .. ومعناها أيضا أن تأخذ وأن تعطي .. فالحياة أخذ وعطاء متبادل .. تؤثر في الناس .... وتتأثر بالناس .. وبالحياة .....



مُثَلث الشـؤم

تأليف : نعوم تشومسكي

عرض : نبيل ابراهيم

يمثل نعوم تشومسكى عالم اللغويات اليهودى البولنـدى الأصل ظـاهرة شـاذة بالنسبة للأوساط الصهيونية ، فمن قلب امريكا داعمة اسرائيل وحاميتها ، يرتفع هذا الصوت ليقول جزءا من الحقيقـة حول أطـراف الصراع الثلاثة فى منـطقتنا العربية ، ولكن لأن الصهيونية عدوة الحقيقة فقد إعتبرت الكاتب والكتاب معادين لها .

فيما يلى عرض للكتاب الذى عادته الصهيونية وقبله العرب لأنه يعرض جانبا من الحقيقة .

كتاب الشهر

لقد قيل وكتب الكثير عن غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ،ونُسي الكثير واختفت الافتتاحيات الجذلة الصاخبة حول « تحرير » لبنان وحول« الفرص الجديدة » للسلام التي تنبعث من وسط الموت والدمار . واختفت تبريرات بيغن الخادعة خلف « عملية السلام من أجل الجليل » مع توكيداته القاطعة بأن اسرائيل لم تطمع ببوصة من الأراضي اللبنانية كما ذهبت أميال شارون « الخمسة والعشرون » التي أعلنها هدفا عسكريا ، الى جانب أكاذيبه الأخرى أمام عالم يفقد الثقة به تدريجيا . فالذاكرة قصيرة المدى وخاصة في أمريكا ، حيث تختلط الاسطورة بالتاريخ تدريجيا بأيدي « الأوصياء على التاريخ » .

ذهبت ولكن لم تنس

« ذهبت ولكن لم تنس » ، ربما كانت هذه عبارة مناسبة لوصف كتاب نعوم تشومسكي الأخير « مثلث الشؤم » . ففي هذا المجلد الكبير يعيد هذا اللغوي البارز-المعروف عالميا بنقده السياسي-صياغة السجل التاريخي للغزو الاسرائيلي الوحشي للبنان ، والاحداث التي نتجت عنه . وهذا الكتاب هو جولة للكتابة السياسيةوالتحليل النقدي الموسوعي في مداه وفي توجهه نحو التوثيق التفصيلي . وفيه يحطم تشومسكي تماما « النسخة الرسمية » السائدة لتلك الفترة ، كما وصفها المدافعون عن اسرائيل في أمريكا .

هناك أمر مطمئن تماما حول عدد كبير من الحقائق التي لا يمكن النيل منها في عمل سهل وموثق بشكل جيد . وقد اعتمد المؤلف اعتمادا أساسيا على الصحافة المكتوبة بالعبرية ، ليوثق كتابه ، مما جعل منها تلك القضية التي لاتدحض لدى القراء . (فهناك على سبيل المثال ما يقرب من ألف حاشية في هذا الكتاب المكون من خمسمائة صفحة) .

وفي الواقع أنه صاغ تاريخا جديدا بالكامل ، تاريخا غير رسمي ، من مئات القصاصات المأخوذة من مصنفات الصحف والمجلات وغيرها ، مما يمكن أن يطوى ويزول ، وهذه هي الكتابة في قمتها .

يمكن القول أن هدف تشومسكي لم يكن اعادة ترتيب السجل التاريخي لهذا الفصل من تاريخ الشرق الأوسط ، الذي عانى من تشويه كبير ، وذلك بغض النظر عن مدى أهمية وبقاء هذا الاسهام . بل كان هدفه المعلن هو التثبت من بعض جوانب « العلاقة الخاصة » بين الولايات المتحدة و « اسرائيل » وأثرها المدمر على ضحاياها المباشرين ، الفلسطينيين . وقد تركزاهتمامه الرئيسي على هذه الجوانب لتلك العلاقة ذات الابعاد الثلاثة ، التي يرى تشومسكي أنه جرى التقليل من أهميتها ، بل كثيرا ما شوهت وعرضت بشكل سيء ، وقادت الى سياسات كانت « مشينة وبالغة الخطورة » في الوقت نفسه . ولم يكن الغزو الاسرائيلي للبنان سوى حلقة واحدة ، ولكن حاسمة ، في مسلسل تلك العلاقة .

الاجماع الدولي

يعبر تشومسكي عن نقطة جدله المركزية « بالاجماع الدولي » على ضرورة ايجاد حل للصراع العربي الاسرائيلي الذي يمكن الرجوع به الى ما بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ . وفي البداية كان الاجماع« رافضا » من حيث اهماله للحقوق الوطنية للفلسطينيين ، واعترافه بصلافة بحقوق « اسرائيل » . وفي منتصف



أدوات القوة والبطش

السبعينيات عدل الاجماع الدولي ليشمل الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وبالسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت ترفض الصيغة السابقة للانضمام لهذا الاجماع . وعند هذه النقطة لم يعد الاجماع رافضا ، لانه اعترف بحقوق طرفي الصراع ، وفسر ذلك عموما بأنه يعني حلا بوجود دولتين ، واليوم يضم هذا الاجماع الدولي الدول الأوروبية ، والاتحاد السوفيتي ، ومعظم دول عدم الانحياز ، والدول العربية الرئيسية ، بما في ذلك جميع دول المواجهة ، وبالطبع ، التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن البديهي القول ان مشهد التطورات داك أقرب الى السجل التاريخي الحقيقي منه الى السجل السائد في الولايات المتحدة ، وحسب هذه النسخة فان الولايات المتحدة واسرائيل قد بحثتا بشكل حثيث عن تسوية سلمية للصراع ، بينما عارضت ذلك الدول العربية (عدا مصر منذ عام ١٩٧٧ وارهابيو منظمة التحرير الفلسطينية) . وبتعبير آخر « الرافضون » . ويتمكن تشومسكي من قلب هذه النسخة « الرسمية » للاحداث رأسا على عقب بسهولة نسبية ، من خلال تفحصه المتروي للسجل التاريخي منذ عام ١٩٦٧ ، بدءا من قبول الرئيس عبد الناصر لمشروع روجرز عام ١٩٧٠ ، حيث يؤسس قضيته بشكل منهجي على أن دول المواجهة أولا ثم التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية قد دخلوا ضمن الاجماع الدولي لتلك الفترة . ويتتبع المؤلف عروض السلام العربية المتعددة واحدا تلو الأخر . ومن ضمن أشهر هذه العروض تلك التي تقدمت بها مصر أعوام ٧٠ و ٧١ ، ٧٧ والأردن في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ . ودول المواجهة عامي ١٩٧٦و ١٩٧٧ . ومنظمة التحرير الفلسطينية عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٧ . وفي الأعوام الأخيرة طالت القائمة لتشمل مشروع الملك فهد الذي طرحه عام ١٩٨١ وقرارات قمة فاس عام ١٩٨٢ . والنقطة التي يطرحها تشومسكي واضحة تماما : فالسجل التاريخي باعتباره نقيضا للسجل « الرسمي » لايدع مجالا للشك حول النقطة التي تقف عليها الدول العربية الرئيسية ، والتيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لو جادل أحد في غموض بعض مواقفها الذي ربما يكون مقصودا .

معسكر المعارضة

وفيما يتعلق بالسجل الامريكي الاسرائيلي يلاحظ أن هناك نوعا من الثبات في معارضتها القاطعة للاجماع الدولي ، حتى في صورته الرافضة الأولى ، بغض النظر عن الانشائيات الدعائية التي تظهر العكس . وكلا البلدين هما في الواقع قائدان لمعسكر المعارضة ، مما يجعلها ـ ويالمفارقة ـ ضمن حلف واحد مع الأقلية العربية الرافضة .

كتاب الشهر

وفي حالة الولايات المتحدة يناقش تشومسكي بأنه بعد حرب يونيو (١٩٦٧) حدثت هناك مناظرة حول السياسة الداخلية بين المدافعين عن الانضمام للاجماع الدولي الذي كان في ذلك الوقت قائما على قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وكان هذا الاتجاه بقيادة وزير الخارجية الأمريكي روجرز ، وبين الاتجاه الأخر المعارض لهذا الانضمام الذي كان يقوده هنري كيسنجر ، الذي كان مستشارا للأمن القومي حينذاك . وقد كانت الغلبة للاتجاه الثاني . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحدة تتبع في الواقع العملي سياسة دعم « اسرائيل الكبرى » . وقد عرفت أخيرا بمقولة ان اسرائيل « قيمة استراتيجية » . ومثل هذه السياسة تستدعي تطوير اسرائيل لتصبح قوة عسكرية رئيسة في المنطقة ، بحيث تدافع عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة . وبالتالي فان هذه السياسة تتطلب توسع اسرائيل اقليميا . ومن هنا يأتي قبول الولايات المتحدة باستمرار اسرائيل في احتلالها للمناطق العربية . ويسارع تشومسكي الى الاشارة الى أن الصراع الداخلي في الولايات المتحدة لايقوم على الأهداف ، بل على التكتيك الذي يتمحور حول كيفية الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط بالطريقة المثلى (في الأساس السيطرة على موارد النفط واستمرار تدفق البترو دولار .)

وقد ظل الموقف الاسرائيلي ، كما يعلنه الطرفان ، معارضا بلا هوادة للاجماع الدولي لصالح مد السيطرة الاسرائيلية على جميع المناطق المحتلة (الليكود) ، أو الاحتفاظ بجميع أو أغلب المناطق المأهولة في الضفة الغربية (حزب العمل) ويقوم موقف حزب العمل على مشروع آلون القديم ، الذي تقوم اسرائيل بموجبه بمنح سكان الضفة الغربية تمثيلا سياسيا رمزيا مع الأردن . وبموجب هذا المشروع تحتفظ اسرائيل بسيطرتها على الضفة الغربية » بينما تعفي نفسها مما تدعوه « بالمشكلة الديمغرافية » للعرب . وكلا الحزبين الاسرائيليين الحاكمين يعارضان بصلابة وجود أي نوع من التعبير السياسي الفلسطيني المستقل غرب نهر الاردن ، ناهيك عن اقامة دولة فلسطينية مستقلة .

الذعر والعدوان

وقد ردت اسرائيل « بذعر » نموذجي على عروض العرب ومنظمة التحرير بتسوية سياسية إذ كان يتلوها صمت بارد وراء نشاط استيطاني متزايد ، مثل اعلان حزب العمل عن « توسيع القدس » بعد عرض السادات للسلام ، الذي قدمه في فبراير ١٩٧١ . وفي مناسبات أخرى نتج عن الذعر عمل عدواني ، كان في العادة موجها الى أهداف مدنية . (من الغريب أنه بعد اعلان مشروع فهد للسلام عام ١٩٨١ انتهكت اسرائيل المجال الجوي السعودي مطلقة تكهنات حول احتمال قيام اسرائيل بضربات جوية لحقول النفط .)

يقول تشومسكي : ان مشروع السلام السعودي وغيره من تلميحات تطلقها الدول العربية لم تكن السبب الوحيد في حالة « الذعر » التي اجتاحت اسرائيل عامي ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، بل كان ما هو أخطر من ذلك ، وهو الصعوبة المتزايدة في تصوير منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها مجرد عصابة من الارهابيين ، خاصة في ضوء محافظتها على وقف اطلاق النار على الحدود اللبنانية الاسرائيلية ، الذي اقترحته الولايات المتحدة رغم استفزازات اسرائيل المتعددة . وهنالك اسباب وجيهة تدفع للاعتقاد بأن هذا الخطر كان واحدا من العوامل التي دفعت اسرائيل لغزو لبنان » .

ومن الواضح أن هذا ما كان يدور في ذهن رئيس

الاركان الاسرائيلي الجنرال ايتان ، عندما صرح ـ والغزو في ذروته ـ بأن « الدفاع عن الضفة الغربية يبدأ من بيروت الغربية » .

ويصر تشومسكي على نقطة يهملها الآخرون في العادة : فبدون الدعم الهائل الذي تلقاه اسرائيل من أمريكا اقتصاديا وعسكريا وسياسيا فانها لاتتمكن من الابقاء على خطها المعارض أو الاستمرار في سياستها القائمة على الحرب والتوسع . وتتضمن المعونة الامريكية أيضا ، حسب قول تشومسكي : الدعم الايديولوجي والمرائي والمعيب لاسرائيل داخل أمريكا « من خلال تزييفها المنهجي للسجل التاريخي ، وممارستها للتشهير بالفلسطينيين وتجاهلها لمعاناتهم » .

وتتحمل الولايات المتحدة المسؤولية الكبرى في اطالة امد الصراع والآثار المترتبة على الرفض الاسرائيلي : وقد كانت الحرب مع لبنان أسوأ مظاهره حتى ذلك التاريخ ، ويناقش تشومسكي أن يكون الرفض الامريكي الاسرائيلي حائلا دون توفر امكانية تسوية سلمية ، وأن الدعم المالي الامريكي لحركة الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة قد خلق حقائق « لايمكن تغييرها بأقل من الحرب » وهكذا فبدلا من النظر بأمل الى تسوية سلمية ، ربما يكون علينا أن نهيء أنفسنا للنتائج الضارة التي يتوقع تشومسكي أن تتضمن احتمال طرد أقسام كبيرة من سكان الضفة الغربية . « وتحويل اسرائيل الى مجتمع على غرار جنوب افريقيا من نظام « البانتوستان » أي نظام الاقاليم المتعددة . المطبق في جنوب افريقيا ، والالتزام بالحفاظ على هذا التمزق » .

وبدلا من القبض على ما تبقى من احتمالات لتسوية سلمية تبدو الولايات المتحدة جاهزة للابقاء على حلفائها في الشرق الأوسط في حالة دائمة من الاعتماد على الغير ، وستواصل اسرائيل من جانبها تنفيذ اوامر الولايات المتحدة ، بينما تقبل بالعيش في حالة حرب . ويحذر تشومسكي أنه « عاجلا أم آجلا فان اسرائيل ستواجه الهزيمة العسكرية ـ التي اقتربت منها عام ١٩٧٣ ـ أو أنها ستحتاج الى اللجوء الى الخيار النووي مع ما يجره ذلك من نتائج لايمكن تصورها . ولا أقل من ذلك سوى انحدارها نحو التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والسياسي » . لقد وضعت اسرائيل « الهيمنة » نصب عينيها ، بدلا من التعايش مع جيرانها ، وكان هذا بمباركة أمريكية .

سلاح اسرائيل السري

ودون أن يُبقي حجرا لم يقلبه،يناقش تشومسكي امكانية تخلي الولايات المتحدةعن خطها الرافض ، وانضمامها الى الاجماع الدولي ، والضغط على اسرائيل للحذو حذوها ، كما أنه يضع سيناريو أكثر احتمالا تتخذ فيه اسرائيل خطوات انفرادية ، تعتبرها الولايات المتحدة مخالفة لمصالحها ورغباتها . ونفترض عموما أن حالة الاستقلال الاسرائيلي الممنوحة يجب أن تتوافق مع ما تمليه الولايات المتحدة في هذا المجال .

وبتعبير آخر ، فان على اسرائيل أن تنفذ أوامر الولايات المتحدة ، سواء رضيت بها أم لم ترض . وهناك برهان جلي يتقدم به تشومسكي على أن اسرائيل قد تلجأ الى « سلاحها السري » وعندها يتحول الخطر الى حالة جنون أو وحشية . وحسب هذا المنطق فان بامكان اسرائيل أن تهدد (كما هو الأمر الآن) بفرض حالة من التحدي العسكري على الاتحاد السوفيتي ، وبذا فانها تطلق زناد مواجهة بين القوتين العظميين ، يمكن أن تؤدي في حالة الذروة الى حرب نووية . وقد ألمحت اسرائيل الى أنها قادرة على ضرب الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي بأسلحتها النووية . وبغض النظر عن مزايا هذا التهديد فان هناك طرقا عديدة تستطيع بها اسرائيل اثارة مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ،مورطة الولايات المتحدة في الصراع .

وتبقى منطقة الشرق الأوسط واحدة من أكثر المناطق احتمالا لنشوب حرب عالمية ثالثة . وقد شهدت المنطقة من قبل عددا من حوادث المواجهة بين القوتين العظميين ، وتدل جميع المؤشرات على استمرار التوتر والمنافسة بين هاتين القوتين في المستقبل ، والدليل على أن لاسرائيل القدرة على تحويل هذا الخطر الى حالة جنونية « قائم ووارد » ، وحول ما اذا كانت ستشعر يوما أنها تحت الضغط لممارسة « خيارها الشمشوني » وتهدم المعبد على رؤوس الجميع ، فان السؤال يبقى مفتوحا . واذا

كان للسلوك السابق أي دلالة فانه سبب قوي يدعو الى القلق .

ظل أورويل في أمريكا

لقد تجاهل التيار الرئيسي لوسائل الاعلام والمجلات الثقافية والاكاديمية في الولايات المتحدة هذا الكتاب . ومثل ذلك فرقا واضحا عما حدث من استقبال في أوروبا وكندا ، حيث تم استعراضه من جانب التجمعات الثقافية المؤسسية في الولايات المتحدة لفترة من الوقت ، ورغم أنه مقبول تماما فقد رفضت الكثير من أقسام الجامعات التي تتمتع باحترام تبني ظهوره في أروقتها ، التي كانت تجتذب ما يقرب من الف شخص . وعندما لا تقوم بمنعه من الحديث الى مريديه ، فانهم يقومون بلا حياء بنشر المقالات المليئة بالبذاءات والتشهير ضده في المجلات والصحف المرموقة . وبأسلوب « أورويللي » نسبة الى الروائي الانجليزي جورج أورويل ، فان الرجل الذي هللت له واحدة من المجلات الادبية المرموقة باعتباره من أبرز المثقفين الامريكيين ، قد أصبح الآن - ويا للغرابة - شخصية غير محبة لدى نخبة المثقفين الأكاديميين . وفي هذا تفسير لحالة هذه النخبة والمجلات التي يشرفون عليها .

وقد لايبدو السبب في هذا الهجوم العنيف على تشومسكي واضحا للوهلة الأولى . ويمكن الافتراض بأن نقده المعلن لسياسات الولايات المتحدة واسرائيل نحو الفلسطينيين هو رد على القذف والتشهير الموجه له (وهذا على أية حال اتجاه سبق وضع هذا الكتاب بكثير ، اذ كانت له الكثير من الكتب والعديد من المقالات السابقة عليه .) . ومثل هذا الاستنتاج له بعض المزايا بلا شك ، ومنها خلفيته اليهودية التي



جورج أورويل

تضعه في موقع لايحسد عليه ، حيث يمكن اتهامه بأنه « يهودي كاره لنفسه » من جانب المتعصبين من مناصري اسرائيل . وفي العادة فان أكبر قدر من التشهير يحتفظ به لليهود والاسرائيليين الذين لديهم من الشجاعة ما يمكنهم من نقد السياسات والممارسات الاسرائيلية،وحماتهم الامريكيين ضد العرب . لكن تشومسكي ليس « درايكاليا » ولا « متطرفا » بأي مقياس اذا أطلقت هذه العبارات لتعني المدح والذم . فلم يحدث أبدا أن دافع عن تحطيم الدولة اليهودية . بل كان على الدوام مدافعا عن دولة عربية يهودية ثنائية القومية ، وهو موقف اتخذه بعد أن أصبح مثل هذا الموقف مقبولا تماما . باعتباره واقعيا،فقد اقتنع بالحل على أساس ثنائي القومية المتجسد في الاجماع الدولي الحالي ، باعتباره حلا ممكنا ، مع أنه قد لايكون الحل الأفضل لهذا المأزق . ويفسر هذا الموقف ، ضد عوامل أخرى ، الاهتمام المتزايد بأعمال تشومسكي في أوروبا ،

وأماكن أخرى خارج الولايات المتحدة ، حيث تسود فكرة الاجماع الدولي . ودعمه الواضح للحقوق الفلسطينية لاينعكس بالتأكيد من خلال دعم مماثل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، التي تعرضت سياستها وممارساتها للنقد في بعض كتاباته السابقة ، رغم تناسب ذلك مع الدور المحاصر للمنظمة في مواجهة أمريكا أو اسرائيل . ومن الصعب التمييز بدقة بين النقطة التي ينتهي عندها « تطرف » تشومسكي وتلك التي يبدأ عندها تعصب خصومه خلال هستيريا العداء لتشومسكي ، التي تتعدى أحيانا لتصل الى « النقد المدروس » لهذا العالم .

المثقفون والحقيقة

وبالنسبة لتشومسكي فان التقصي الدقيق لسياسات الولايات المتحدة وسلوكها ، هو جزء من الالتزام الذهني « بقول الحقيقة وكشف الاكاذيب » . فان كان الناس مسؤولين عن أعمال حكوماتهم المتعاقبة ، فللمثقفين مسؤولية أكبر ، لانهم كما يجادل تشومسكي « في موقع يمكنهم من كشف أكاذيب الحكومات ، وتحليل الافعال حسب مسبباتها ودوافعها ومقاصدها الخفية أحيانا « فالمثقفون » أقلية مميزة تُوفِّر لها الديمقراطية خلف قناع من التشويه وسوء التمثيل والايديولوجيا والمصالح الطبقية ، التي تقدم لنا من خلالها الاحداث والتاريخ الحالي . » وقد لخص تشومسكي موقعه الفلسفي والاخلاقي من مسؤولية المثقفين قبل نحو عقدين من الزمان ، وحافظ عليه باخلاص منذ ذلك الحين .

وقد وضعه موقفه المبدئي بالطبع في تناقض مع اهتماماته الثقافية والاكاديمية ، التي يسميها « الرأي الواضح والاوصياء على التاريخ » ممن يبذلون جهودا كبيرة في انتاج التشوش الفكري والدفاعات السياسية نيابة عن الدولة ونخبها الحاكمة . وخلال حرب الولايات المتحدة في الهند الصينية اكتسب عداءهم عندما « قال الحقيقة وكشف الأكاذيب » التي لفقتها ونشرتها هذه الطبقة المثقفة .

واليوم يعتبر تشومسكي على المستوى العالمي واحداً من المدافعين الرئيسيين عن حقوق الانسان،والناقدين للسياسة الخارجية . ويتراوح مجمل انجازه الثقافي بين ٢٤ كتاباً ومئات المقالات . نصف هذه الكتب تقريباً يتعلق بالسياسة الخارجية وانتهاكات حقوق الانسان أو نقد سياسات الدول . وجريمة تشومسكي في نظر المدافعين عن أمريكا واسرائيل هي أنه وظف المكانة الكبيرة التي يحتلها كعالم ومدافع عن حقوق الانسان في نقد سياسات أمريكا واسرائيل . وبالنتيجة فقد ذبح تشومسكي « العجل المقدس » الأمريكي . وان كانت هناك أسطورة تدين بنجاحها الكبير الى الاستغلال الايديولوجي ، فهي اسطورة اسرائيل في أمريكا ، وقد رفض نعوم تشومسكي المساهمة في هذه اللعبة .

عصامي وعظامي

يحكى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختباره فقال : أعظاميٌّ أنت أم عصامي ؟ اراد أشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما أم بنفسك ؟ . فقال الرجل : انا عصامي وعظامي ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس ، فقضى حوائجه ، ومكث عنده مدة ، ثم اختبره فوجده أجهل الناس . فقال له تصدقني : كيف أجبت بما أجبتني حين سألتك ؟ فقال : لم أعلم عصامي خير أم عظامي . فخشيت أن أقول أحدهما ، فقلت كليهما ، فقال الحجاج عند ذلك : المقادير تُصيِّرُ الغبي خطيبا .

من المكتبة العربية

بين وعي شعب ما لهويته ، وامتلاك هذه الهوية زمن من العمل والبحث والنضال والتضحيات . في هذا الكتاب يعرض المؤلف تجربة تونس في امتلاك هويتها الوطنية ضمن عملية تبلور الوعي القومي الأكبر .

وعيُ الهويّة العربيّة في الفكر التونسي الحديث

بقلم : رشيد خشانة

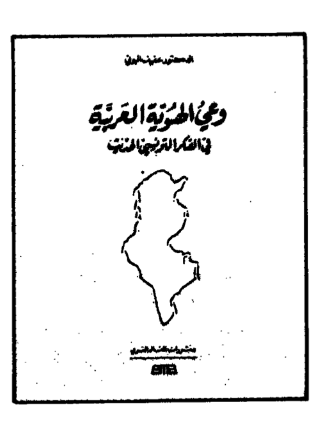
يبدأ الباحث الدكتور عفيف البوني كتابه (وعيّ الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث) بالتشديد على حقيقة أن كل الشواهد التاريخية التي زخر بها الانتاج الفكري التونسي خلال العصر الحديث تؤكد أن الوعي بعروبة تونس كان حافزا دائما في أعمال الكتّاب ووجدان الجماهير العريضة ، لذلك فهو لم يقصد من كتابه هذا الى اثبات عروبة تونس وانما سعى الى (التأكيد بأن الوعي بها لم يغب أبدا عن الفكر التونسي الحديث) . .

واقتصر د . البوني في رصده للحس القومي على المؤلفات ذات القيمةالتاريخية أو الثقافية العامة ، كما يقول في المقدمة ، ولم يتعرض لتاريخ الأحزاب والحكام والأشخاص .

الدين والأمة

خصص المؤلف الفصل الأول من الكتاب لنقد مفهوم الأمة السائد في الغرب ليخلص الى تعريف مؤداه أن (الأمة ظاهرة اجتماعية تربط بينها روابط مشتركة كاللغة والتاريخ والثقافة والأرض المشتركة ، وهذه الروابط تخلق بفعل الاستمرارية والصيرورة التاريخية ، ملامح شخصية قومية ، وهذا ما يقود الى بروز عنصر الوعي والاعتزاز بهذا الانتماء في الضمير الجماعي ، والوجدان الشعبي لكل أفراد الأمة الواحدة)

أما عن علاقة الدين بمفهوم الأمة فيرى الباحث أنه عامل مساعد ومهم . (الا أنه ليس العامل الاساسي في تكوين الأمة بالمعنى العلمي الحديث ، فقد اعتنق أفراد الأمة أكثر من دين ، وقد يكون أحد الأديان أوسع انتشارا ، ولكن يظل الدين لله والوطن للجميع) .



يبقى بُعْد أخير وهو علاقة الوعي العربي بالدعوات الاقليمية ، وهنا يؤكد المؤلف على أن من يتصور وجود تناقض بين التراث العربي الاسلامي وبين الحضارات المحلية السابقة على الاسلام كالحضارة الفرعونية والفينيقية القرطاجية . . . الخ . فهو واهم ، لأن التناقض غير موجود لأن هذه الحضارات تشكلت في مناخ واحد تقريبا ، وكانت تربطها علاقات تفاعل وتأثير ، كما أن الهجرات ساعدت على تمازج تلك الثقافات ، ثم أن (انتسابنا الى الحضارة العربية الاسلامية واعتزازنا بها لايتناقضان مع انتسابنا الى تلك الحضارات واعتزازنا بها) .

ويحلل د . البوني أطوار الفتح العربي لتونس فيبين أن تأخر انتشار العروبة والاسلام ، أو طول الفترة التي استغرقها هذا الانتشار لايرجعان الى عامل (قومي)أظهرته مقاومة السكان الاصليين ، وانما تفسرهما كثرة الموانع الطبيعية واتساع مساحة المنطقة ، وكذلك الدور التحريضي الذي قامت به بقايا وفلول الاستعمار البيزنطي وحليفتها الارستقراطية المحلية خوفا على مصالحها من هذا الانتشار العربي ، ويبدو المؤلف هنا وكأنه يتجاهل ضراوة المقاومة العسكرية التي جابه بها السكان المحليون والقبائل البربرية الفتح العربي بقيادة الكاهنة التي لم يكسر الفاتحون العرب شوكتها الا بصعوبة كبيرة .

وعن التاريخ السياسي الذي أعقب الفتح يقول الباحث : انه بعد أن استقر الوجود العربي الاسلامي تأكد استقلال افريقية (اسم تونس في ذلك العصر) اداريا عن الخلافة العباسية وذلك مع نهاية المئة الثامنة للميلاد . وكانت حدود هذه الدولة الادارية تمتد من طرابلس شرقا الى قسنطينة غربا ، وكان أهم ما في هذا الاستقلال الشكلي توارث الحكم بين أفراد العائلة المالكة مع استمرار الدعاء للخليفة العباسي ودفع الضرائب لمركز الخلافة في بغداد .

ويستوقفنا هنا تحليل المؤلف للصراعات في أفريقية في ذلك الوقت ، ذلك أنه يجزم بأن (الصراعات في مختلف أرجاء البلاد العربية هي صراعات سياسية ، وهي في جوهرها لم تكن صراعا دينيا) ، ولكنه يعود لينفي ما جزم به حين يفسر أسباب سقوط الدولة الفاطمية ـ وهي من أهم فترات تاريخ المغرب العربي ـ فيقول : « ان هذا السقوط يرجع بالاساس الى حدة الصراعات المذهبية والدينية التي قام على أساسها . »

الاستبداد التركي

ويستعرض المؤلف الانظمة التي تعاقبت على تونس فيما بعد حتى مجيء العثمانيين ، ويشدد على (أن الاستبداد السياسي الذي سلطه الأتراك على البلاد ونهبهم لثرواتها ،وأفقارهم للثقافة العربية الاسلامية الأصلية ، وتعيين الحكام ومحاولتهم تزكية نمط الحياةوفساد ادارتهم ، كل ذلك أنهك اقتصاد البلاد التونسية ، وأصاب شعبها باستلاب سياسي واقتصادي ترك آثاره في مختلف نواحي الحياة ، وهذا ما أدى الى خلق فراغ سياسي وضعف حضاري خطير كان مدعاة لحصول الاحتلال الاستعماري الفرنسي في مرحلة لاحقة .

بعد هذا العرض التاريخي ينتقل د . البوني الى بحث (وعي الخصوصية في الانتاج الفكري التونسي الحديث) فيقرر أن ابن أبي دينار هو أول من أطلق اسم تونس على أفريقية ، وهو الاسم الرسمي الشائع لهذا القطر منذ الفتح العربي ، ولكن حدود تونس كانت غير واضحة في الواقع ، وهذا ما يفسر الاختلاف بين المؤرخين الى عهد قريب جدا حول « الحيز الجغرافي لتونس ، فهو يتقلص ويتمدد ويتوحد مع الوطن العربي في عصر القوة والازدهار ، وينفصل وينقسم ، وحتى يتجزأ ويتفكك في عصر الضعف والانحطاط والتخلف » . كما يقول المؤلف . ثم ظهرت خلال العهد العثماني بعض الظواهر على السطح ، ذات الطابع السياسي ، تعطي الانطباع والرغبة في تمييز تونس عن غيرها ، (فقد اتجه الحكام الاتراك في بداية الربع الأول من القرن التاسع عشر ، الى التقليل من الاعتماد على العنصر التركي والاعتماد تدريجيا على أبناء البلاد ، وذلك لتمرد الجنود الاتراك على الوالي مرارا) .

ثم كان احتلال فرنسا للجزائر انذارا مبكرا بالخطر الذي يتهدد تونس ، لذلك كان الباي (الحاكم) الذي صعد الى العرش في عام ١٨٣٧ أكثر حماسا لابراز الخصوصية من سابقيه ، وساعده على ذلك الوهن الذي أصاب الامبراطورية العثمانية ، مما أضعف الصلة بينها وبين ولاياتها العربية ، وشدة

من المكتبة العربية

الاحتكاك بالغرب ومحاولة تقليده ، وكان أحمد باي هذا أول من كتب المراسلات الى الأستانة باللغة العربية .

التقسيم والهوية القومية

في الفصل الثاني من الكتاب ـ ويحمل عنوان (الهوية العربية بين التغريب وتأكيدالذات) يرصد المؤلف تنامي الوعي والانتماء منذ كتابات ابن أبي دينار الى أدباء القرن التاسع عشر ومؤ رخيه رابطا بين ذلك التطور وبين رسم الحدود الاقليمية بين تونس والاقطار المجاورة لها ، مشددا على أن (النتيجة الطبيعية لاقرار هذه الحدود هي عزل سكان هذه الاقطار بعضها عن بعض من خلال حدود سياسية فاصلة لكي تصبح فى عهد الاستقلال وكأنها حدود دولية ثابتة ، أو حدود جغرافية طبيعية وهي ليست كذلك البتة ، انها حدود سياسية صنعها الاستعمار ، وتشبث بها الحكام ، ونتج عنها ايقاف التنقل الحر للمواطنين العرب ملزمة اياهم بحمل جوازات السفر ، وهذه الحدود التي أقيمت في عهد الاستعمار وبسعي منه قد قسمت أحياناأفراد القبيلة الواحدة ، فأصبح هذا المواطن (تونسيا) وصهره أو قريبه (جزائريا) أو (ليبيا) أو (مغربيا) ، وأصبح هذا وذاك والآخر غرباء عن بعضهم بعضا يفصلهم من الناحية السياسية والادارية والقانونية الواقع نفسه الذي يفصل الفرنسي عن الانجليزي) .

أما عن تطور الوعي الوطني فيقرر المؤلف أن نهاية القرن الماضي شهدت بروز (تيار اصلاحي اسلامي يتبنى ويدافع عن الكيان العربي الاسلامي لتونس ، وكانت وسيلة التعبير لدى هذا التيار هي جريدة الحاضرة التي ظهرت في ٢٨ أغسطس ١٨٨٨ والتي دافعت عن فكرة الاصلاح بالمفهوم التقليدي .

وكان يقابل هذا التيار تيار ثان ظهر في بدايات القرن العشرين وهو تيار حزب (الشباب التونسي) الذي كان يضم نحو الف عضو ، وكانت قياداته (تنحدر من بورجوازية أصلها المماليك وهي طبقة الأتراك الحاكمة) . ولم يكن هذا الحزب يعكس الطموحات الشعبية بل كان يعبر عن الرؤ ية الاصلاحية المتذبذبة المبهورة بالغرب ، وكانت صحيفته (التونسى) تصدر باللغة الفرنسية ، ولم تصدر باللغة العربية الا بعد فترة ، وبتأثير من الشباب المكوّن تكوينا عربيا اسلاميا مثل عبد العزيز الثعالبي .

أما في فترة ما بين الحربين فيعد ظهور (الحزب الحر الدستوري) سنة ١٩٢٠ حدثا (ذا أهمية بالغة) في تطور الوعي العروبي اذ كان مؤ سس الحزب وقيادته وأعضاؤ ه عربا مسلمين تونسيين (مما جعل هذا الحزب يختلف فكرا وبرنامجا وتركيبا عن حزب الشباب التونسي) .

وفي سياق محاولات الاستلاب والتغريب المفروضة على الشعب التونسي ، جاء قانون التجنيس الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٣ مرغبا التونسيين في تعويض جنسيتهم بالجنسية الفرنسية ، واعدا اياهم بالحصول على الامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون ، وكانت هذه الخطة مناسبة لتجذير الوعي الوطني والقومي وخوض معركة ناجحة مع الاستعمار الفرنسي . ويذكر د . البوني أن من بين الذين وقفوا ضد قانون التجنيس من منطلق عروبة تونس المصلح الكبير طاهر الحداد والزعيم النقابي محمد على الحامي .

ثم يرصد الباحث تطور الفكرة القومية من خلال المحاضرات والنشاطات الثقافية في الثلاثينيات ، وكذلك من خلال المجلات التي ظهرت في تلك الفترة (كالثريا) و (الفجر) و (البدر) و (العلم) و (العرب) و (العالم الأدبي) ، ويفرد نبذة خاصة لمجلة (المباحث) التي كتبت تقول سنة ١٩٤٧ : (أن اللغة العربية لغة شعبنا الاصيلة وعنصر من أهم عناصر ذاتيته ، وركن من أقوى أركان شخصيته الوطنية ، ورابطة من أمتن ما بين افراده من الروابط ، ولذا فلا نمل البحث في هذا الموضوع ولا

نتردد في العودة اليه ، فهو من المواضيع الحيوية، بالاضافة الى كياننا الروحي وثقافتنا القومية وتراثنا الأدبي ، وسنعود اليه في مستقبل الأيام ما لم تحل اللغة محلها الطبيعي من التعليم والمعاملات بهذا القطر العربي)

نكبة فلسطين والوعي القومي

في الفصل الثالث والأخير من الكتاب يرصد المؤلف (تطور الوعي القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية) ويصل الى نتيجة مؤداها أن تجذر الوعي الوطني المتمثل في المطالبة الصريحة بالاستقلال ، (ارتبط بتجذر الوعي القومي العربي في تونس المتمثل في التأكيد على الشخصية العربية الاسلامية للبلاد) . وكان لنكبة فلسطين دور كبير في شحذ الوعي القومي ، وحفز التونسيين على المشاركة في حرب ١٩٤٨ . ويضيف د . البوني أن (الكتابات والأشعار والتصريحات الصحفية للزعماء السياسيين في الفترة ما بين ١٩٤٧ و ١٩٥٦ تطرقت كلها ـ مع تفاوت الدرجة والوضوح والدقة ـ الى عروبة تونس ، اما لتأكيدها أو لربطها بقضايا الأمة العربية ، وظهر التشديد على الانتماء العربي في كتب زعماء بارزين مثل حبيب ثامر وعلي البهلوان ويوسف الرويسي ورشيد ادريسي ، وعند تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة سنة ١٩٤٧ كانت احدى النقاط الرئيسية في ميثاقه تقول : (المغرب العربي جزء لا يتجزأ من البلاد العربيةوتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي لازم .)

ويختم المؤلف كتابه بفقرة مقتبسة من مقال للاستاذ يوسف الرويسي يقول فيها : (ان الشعور بالقومية العربية التي تجمع بلاد العروبة كلها لم يكن قد تكامل بعد ، فكانت الحركات العربية حركات (قومية) خاصة ، يضاف الى ذلك أن الاستعمار في بلاد المغرب ضرب حول هذه البلاد طوقا حديديا ، وأقام دون اتصالها بشقيقاتها العربيات حواجز لم يكن من الهين اختراقها ، فكانت بلاد المغرب محرومة من الاتصال الذي كان يوجد دائما في البلاد العربية بعضها ببعض ، الأمر الذي يوطد تعارفها ويمتن العلاقات بينها) .

كتاب دون خاتمة

ولسنا ندري لماذا يتوقف د . البوني عند عام ١٩٤٧ ، فهو يبدأ كتابه بداية واضحة ولكنه ينهيه في فترة غير واضحة ، مترجرجة ، كانت حبلى بالارهاصات . ولان النهاية لم تكن واضحة فان الكتاب ترك دون خاتمة

ولعل المآخذ الرئيسي على هذا الكتاب ليس غياب الخاتمة بقدر ما هو غياب الرؤية الجدلية للامور ، فالمؤلف يتصور أن الوعي القومي يكون مكتملا ومتبلورا منذ الوهلة الأولى ، لذلك كان حكمه على الزعماء الوطنيين الأوائل غير واقعي ، وخصوصا على باشا حانبة ، في حين أن الوعي الوطني (الاستقلال عن فرنسا) والوعي القومي (الانتماء العربي) مرا بمراحل نمو متعددة ، بدءا من المرحلة الجنينية (التي ظهر فيها باشا حانبة وبشير صفر (لم يكن حكم المؤلف عليهما متساويا) وانتهاء بمرحلة النضوج والتتويج بعد الحرب العالمية الثانية التي رفعت فيها الحركة الوطنية مطلب الاستقلال بشكل صريح للمرة الأولى ، واعلنت أيضا انتماءها الى العمق العربي .

أما المآخذ الثاني فهو نسيان مراجع هامة في المواضيع التي طرقها المؤلف ، ومن أمثلة ذلك أنه توقف عند زيارة الشيخ محمد عبده الى تونس وآثارها على المثقفين من دون الرجوع الى دراسة د . المنصف الشنوفي عن هذه الزيارة في مجلة (حوليات الجامعة التونسية) ، وحلل أطوار ثورة ١٨٦٤ دون الرجوع الى كتاب الباحثة بيس سلامة عن هذه الثورة ، وهو من المراجع الأساسية . وأغفل د . البوني أيضا كتابين مهمين لاغنى لاي باحث في تطور الوعي القومي عن الرجوع اليهما ، وهما كتاب زين العابدين السنوسي (الادب التونسي في القرن الرابع عشر (القرن العشرون) واطروحة الدكتور محمد الهادي الغزي عن الأدب التونسي في العصر الحسيني (القرنان ١٨ و ١٩) .

وبغض الطرف عن هذه الهنات يظل هذا العمل بحثا جديا يرتاد أرضا بكرا ويصدر عن هم قومي أصيل . □

مختارات

اسم الكتاب : تاريخ التعليم فى الكويت والخليج أيام زمان . (الجزء الاول)
المؤلف : صالح شهاب
الناشر : الكويت / مطبعة حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ٥٦٨ صفحة من القطع الكبير .

رغم العدد الكبير من الوثائق والصور النادرة التى تؤرخ لبدايات انتشار التعليم المنهجى فى الكويت ، فان المؤلف صالح شهاب ، وهو أحد اوائل التربويين الكويتيين ، يطلق على كتابه اسم الحكايات .

وكان هذا الكتاب عند نشره على حلقات فى صحيفة القبس الكويتية قد أثار اهتماما واسعا من جانب القراء ، لا فى الكويت فحسب بل فى أقطار الخليج الأخرى .

ومثل كل الكتب المشابهة ، فان كتاب تاريخ التعليم فى الكويت يجمع المعلومة الى جانب الحكاية والوثيقة ، الى جانب الصورة والحقيقة ، الى جانب الذكرى الشخصية .

ويأخذ قيمته على المدى الطويل من ذلك الكم الكبير من الوثائق المهمة ، وعلى المدى الآتى من خلال بعثه لذكريات مرحلة قريبه بعيدة ، بدأ التعليم فيها ينتقل من خيام وأركان الملالى المتواضعة ، الى المؤسسات الحكومية والرسمية ، تعبيرا عن التحول الاجتماعى الكبير الذى كان عندئذ مجرد ارهاصات .

اسم الكتاب : بيروت . . البكاء ليلا .
المؤلف : شوقى عبد الحكيم
الناشر : شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع .
عدد الصفحات : ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط .

بعد الخروج من بيروت المحاصرة عام ١٩٨٢ ، جلس الخارجون من قلب الحصار ليكتبوا رؤاهم الكابوسيّة ، التى عاشوها دما ودمارا وبطولة .

وبعكس كُتّاب آخرين عاشوا التجربة ، ثم خرجوا ليسجلوها على شكل مذكرات شخصية ، أو من خلال وثائق تؤرخ فترة الحصار ، أو من خلال اعادة نشر الكتابات التى أبدعها كُتّابها وهم فى جوف المعركة ، يختار شوقى عبد الحكيم أسلوب الرواية ليحكى قصة بيروت .

وبيروت فى الرواية هى نقيض المدن العربية التى تعيش حالة قمع وقسوة وحصار داخلى ، فتتعرض للحصار الخارجى على أيدى القوى الهمجية الصهيونية ، وداخل هذه الكيلومترات القليلةالمحاصرة من بيروت تتحرك الشخوص ، وتمارس خوفها وبطولتها وانسانيتها التى تتعرض للدمار .

اسم الكتاب : أوليات النقد الأدبى فى اليمن . ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨
المؤلف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : بيروت ـ دار الآداب
عدد الصفحات : ١٣٩ من القطع الكبير .

يأخذ هذا الكتاب أهميته من كونه كتابا يبحث فى الجذور التى تراكم فوقها تراب القمع والتجهيل ، طوال سنوات طويلة من اليأس والقلق والغربة عن العصر . ومن داخل هذا الركام ، من قمامة

الكلمات التى تفوح منها رائحة المديح للطغاة ، ونتانة الاتهام للشعب ، فضلا عن الكتابات المتسمة بالسطحية والجهل « على حد تعبيره . . . يخرج الدكتور عبد العزيز المقالح بارهاصات النقد الأدبي فى اليمن ، فى فترة كانت فيها تلك البلاد تعيش « خارج العصر » . ويعتمد الكاتب فى دراسته التأسيسية هذه على الأعداد القليلة لمجلتين صدرتا فى اليمن فى تلك الفترة هما : « مجلة الحكمة » التى صدرت بين عامى ١٩٣٨ - ١٩٤١ و « البريد الأدبى » وهى صحيفة خطية توقفت عن الصدور عام ١٩٤٥ . ومنهما بدأت ارهاصات الكتابة النقدية الادبية والشعرية بوجه خاص .

ويقف المؤلف بكتابه عند عام ١٩٤٨ ، وان كان هذا العام يرتبط عند العرب بنكبة فلسطين ، فانه يرتبط عند اليمنيين بأول ثورة دستورية ذكرت اليمن - رغم فشلها - بزمنها الضائع .

■

اسم الكتاب : حول الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ودراسات اسلامية اخرى .
المؤلف : حسين أحمد أمين
الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر / بيروت - لبنان
عدد الصفحات : ٢٣١ صفحة من القطع الكبير .

يقول حسين أحمد أمين مقدما كتابه هذا: « لقد لقيت هذه المقالات بأسرها من الامتعاض والاستياء ، وبعضها من الهياج والثورة ماكان يبرر تسميتها باسم كتاب برتراند راسل « مقالات مكروهة » لولا انها أثارت فى نفس الوقت حماس البعض الآخر واعجابه » .

فى هذا الكتاب الذى يضم عددا من المقالات والدراسات الاسلامية التى نشرها فى بعض المجلات والصحف العربية ، يواصل الكاتب سيره فى الطريق الصعب الذى بدأه بكتابه المثير للجدل « دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين » .

والكتاب فى مجمله رؤية عصرية متنورة لبعض القضايا الاسلامية ، التى طرحت بقوة فى وطننا العربى ، منذ النصف الثانى من السبعينيات . ومهما كانت درجة الاختلاف مع اجتهادات المؤلف حول تلك القضايا ، فان شجاعته فى طرحها تجعل من صدور هذا الكتاب حدثا لاجدال حول أهميته .

والى جانب المقال الذى أعطى الكتاب اسمه ، يضم الكتاب عناوين اخرى مثل « حجاب المرأة ، هل هو من الاسلام ؟ » و « عن العلمانية فى العالمين المسيحى والاسلامى » و « تأملات فى حقيقة امر السلف الصالح » .

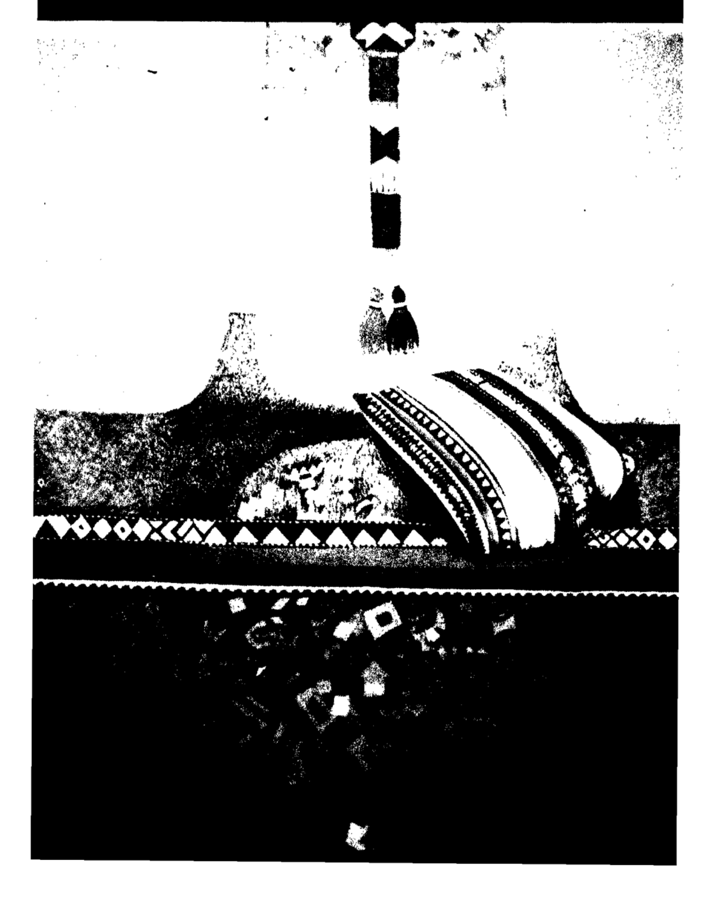
■

اسم الكتاب : علم الدلالة العربى
المؤلف : الدكتور فايز الداية
الناشر : دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات : ٥١٠ صفحات من القطع الكبير

تبلور مصطلح علم الدلالة فى صورته الفرنسية لدى اللغوى الفرنسى بريال فى أواخر القرن ١٩ ، ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو « علم الدلالات » ليقابل « علم الصوتيات » الذى يعنى بدراسة الأصوات اللغوية » وبعد أن يحدد المؤلف موقع علم الدلالة من علم الصوتيات ، يعود الى جهود الدلاليين العرب القدماء ، والى المعجم الشعرى العربى والكتب النقدية ، بهدف استجلاء النظرية الدلالية العربية عند الفلاسفة والمفكرين واللغوين والأدباء العرب ، الذين لاحظ المؤلف أن جهودهم قد أغفلت من قبل الدلاليين المحدثين .

ورغم أن الكتاب يبدو متخصصا فى موضوعه ، الا أنه يطرح قضية بالغة الأهمية للمثقفين العرب ، الذين واكبوا انتشار المدرسة البنيوية فى النقد الأدبى الحديث ، وما يستتبعه ذلك من اطلاع على علوم برزت حديثا ، مثل الألسنية والصوتيات واللغويات وعلم الدلالة .

المرسم الحر ..



وخمسة وعشرون عاماً من الإبداع

استطلاع : ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر





منسوجات السدو برموزها الشعبية الجميلة قدمها الفنان سامي محمد بتقنية حديثة وتكوين فني مفعم بالرمزية (الى اليمين) . الغريق .. تمثال برونزي يغلب عليه طابع الرمزية للنحات الكويتي سامي محمد (الى أعلى فوق) . رقصة شعبية كويتية انتقلت الى عالم النحات عيسى صقر لتحور في منحوتة برونزية ساحرة (الى أعلى) . العودة من البحر .. صورة شعبية جميلة نفذها بالاكريليك الفنان جاسم بوحمد (الى اليسار) .

في عالم الفنانين كلمة تشع سحرا تحمل الفنان الى عوالم الخيال ـ انها كلمة « التفرغ » ذلك المفتاح الذهبي الذى ما ان يمتلكه الفنان حتى تفتح أمامه أبواب النجاح .

لو قلبنا النظر في وريقات التاريخ لوجدنا مئات القصص ، التي تحكى صراع الفنانين وكفاحهم مع مجتمعاتهم ، التى وصمتهم ظلما بالكسل والبطالة لأنهم رفضوا القيام بأية أعمال تسرق الوقت منهم ، ومازلنا نذكر قصة صراع الفنان الهولندى « فان جوخ » مع الوقت ، وكيف حمله إلى مشارف الجنون ، لأنه كان يفضل الموت جوعا على أن يفرط في ساعة من وقته ، لا تعزف فيها أنامله على أوتار لوحة ، يشدو فيها أنغام روحه المعذبة ، ولم ينس التاريخ كيف عانى فنانو الحي الباريسي « مونمارت » « العوز والفاقة » ، وذلك لرفضهم القيام بأى عمل يسرق الوقت منهم . وها هو الفنان الايطالى « موديليانى » يلجأ إلى الرسم على باب مسكنه بعد أن نفدت نقوده ، ولم يعد في استطاعته شراء قماش للوحاته ، وعندما انتهت اللوحة خلع الباب وأخذ يدور على تجار اللوحات الفنية ليبيعه ببعض الفرنكات .

وقد كتب الفنان المصرى المعروف « راغب عياد » عن أهمية الوقت في حياة الفنان فذكر « أن الفنان يحتاج للوقت ، لأنه يحتاج للانسجام والتفاعل مع فنه ، كما يحتاج إلى التفكير المتواصل لمعالجة مشاكله الفنية التى تكون أحيانا معقدة ، تحتاج لحلول ومخارج وللاطلاع والدرس المستمر ، وان التفرغ هو رأس مال الفنان وسر نجاحه الفنى » ـ .

المرسم الحر تجربة رائدة

أسهمت الحكومة في دفع المسيرة الفنية إلى الأمام ، بتهيئة الظروف المناسبة للعمل الفنى الناضج ، وآمنت بفكرة انعتاق الفنان من فرض الوقت في عمل آخر ، ومنحه التفرغ الكامل لفنه ، فأنشأت المرسم الحر ، الذى كتب عنه الفنان العراقى ، شوكت الربيعى : « المرسم الحر هو ذلك المكان الانتاجى الذى يشعرك على الدوام بالنشاط والفاعلية الدائبين على البحث والتقصّي والتجربة سعيا وراء وسائل تعبيرية قادرة على ايجاد المعطى الحقيقى لدور الفن في الحياة وعناصرها : الماء ، والهواء ، والنار . وفي نقائضها : الجوع ، والجنس ، والخوف ، والموت » .

تأسيس المرسم الحر

على شارع الخليج العربي ـ في الكويت ـ يقع منزل قديم ، بابه الخشبى وشم التاريخ بذكرياته ، حوائطه البيضاء تحمل لافتة كتب عليها كلمتان ، كان لهما مفعول السحر في نفس كل من عاصر الحركة التشكيلية في الكويت « المرسم الحر » . . هذا الصرح الفنى الذى مرت خمس وعشرون سنة على تأسيسه ، كان ولا يزال صومعة فنية دخل إليها الهواة ليخرجوا منها بعد سنوات فنانين محترفين أسهموا في تطوير الحركة الفنية في بلادهم .

ولنرجع إلى بداية هذه الحركة :

كويت الخمسينيات والفن

طبيعة صحراوية بحرية هادئة تلف قوام مدينة الكويت ـ كويت الخمسينيات ـ حيث يتسم كل شىء بالبساطة والفطرة ، التى كان يعكسها طلبة المدارس في منتوجاتهم الفنية في نهاية كل عام دراسي ، وكان أول معرض فني عام ، هو معرض « البطولة العربية » الذى أقيم في عام ١٩٥٨ ، وقد تنبه المتتبعون للنهضة الحضارية المتغلغلة في النسيج الثقافى للكويت الفتية ، إلى تلك المواهب الفنية الشابة ، والطاقات الابداعية التى كانت تنتظر الظروف المناسبة لظهورها واستمرارها ، وكانت فكرة معرض « الربيع » السنوي تظاهرة فنية ، أبرز العديد من الطاقات الشابة ، ولمع فيه أكثر من اسم فني . وهو أول معرض للربيع أقيم في عام ١٩٥٩ بصالة المباركية .

وفي مكتب مدير دائرة المعارف « وزارة التربية حاليا » السيد « عبدالعزيز حسين » دار نقاش مطول ، عن كيفية الحفاظ على هذه المواهب الفنية ،

المرسم الحر للفنون الجميلة

مبنى المرسم الحر صومعة فنية ، ذات تاريخ فني عريق

وما هي أحسن السبل لتطويرها ودعمها ، وقد طرح موجه التربية الفنية بوزارة التربية السيد « حامد حميدة » فكرة اقامة ناد أو مرسم للهواة من الفنانين مع تزويده بالخامات الفنية والمشرفين الفنيين ، وكان الأستاذ عبدالعزيز حسين يطمح بدوره ، إلى أن يكون هذا المرسم نواة لكلية فنون كويتية ، تسهم في تحريك عجلة التقدم الحضاري لدولة الكويت الفتية .

وخصصت بعض الغرف في مدرسة قتيبة الابتدائية للبنين ، لتكون مراسم للفنانين ومكتبة تحوى الكتب الفنية ، واختيرت نخبة من الأساتذة المتخصصين في مختلف المجالات الفنية للاشراف على المرسم ، ونجحت التجربة ، وبلغ عدد الهواة المنتسبين مائة وثلاثين هاويا وكان المرسم يفتح أبوابه مساء ولا يمنح المنتسب أية شهادة دراسية .

وفكر المسئولون عن المرسم في الصعوبات التى يواجهها الفنانون المرتبطون بالوظائف العامة ، وصعوبة التوفيق بين العمل والفن ، وقرروا إيجاد حل لمساعدة الفنانين ، وكانت فكرة التفرغ الفني ، المخرج الوحيد الذى يحقق للفنان أحلامه في أن يكون عطاؤه خالصاً من أجل الفن ، وكان أول من منح التفرغ الفنى ، الفنان « عيسى الصقر » ثم تلاه الفنان « خليفة القطان » ، وقرر المسؤولون إعطاء الفنانين فرصة للالتحاق بالمعاهد الفنية خارج البلاد وذلك لدراسة الفن وإثراء ثقافتهم الفنية ، وكانت معظم هذه البعثات إلى القاهرة وبعض منها إلى انجلترا وفرنسا .

زاد نشاط المرسم في نهاية الستينيات ، لاشتراكه في المعارض الخارجية وكان أول معرض للفنانين المتفرغين عام ١٩٧٢ وذلك بقاعة المتحف ، وعندما انتقلت مسؤولية المرسم إلى وزارة الاعلام ، مُنح مقرا جديدا وهو عبارة عن منزل شعبي قديم ، يتميز بجو فنى وبمراسم أكثر ملاءمة للفنانين المحترفين أولئك الذين خلعوا عنهم رداء الهواية ، ولبسوا أثواب الدراسة الجادة والتجربة الناضجة .

شروط وقوانين التفرغ

لقد وضعت أسس وقوانين لتحكم أعمال الفنانين المتفرغين ، ومن أهمها : مدى إدراك الفنان للشكل الفنى ، وأسلوب الفنان ، ومدى نمو هذا الأسلوب ، والمستوى الثقافي الذى يتمتع به الفنان المتفرغ ، وإجراء مقارنة بين إنتاجه الفني قبل التفرغ وبعده ، ومدى استفادته من المنحة الحكومية التى يندر وجودها في كثير من دول العالم . وللانتساب للمرسم شروط هي : أن يكون المنتسب كويتى الجنسية ، وله نشاطات فنية ملحوظة ، وأن يكون ذا مؤهل علمي عال . وبعد خمس سنوات من تقييم الفنان المتفرغ يُمنح شهادة الامتياز .

نشاطات المرسم

وقد وضعت للمرسم نشاطات وأعمال حدثنا عنها الفنان « جاسم بوحمد » أمين المرسم الحر فذكر : بأنه يوجد في المرسم أحد عشر فناناً متفرغا ، وتتوافر في المرسم الخامات الفنية والمراسم ، وكذلك مكتبة مزودة بأحدث الكتب الفنية ، وأفران للخزف ،



النحات عيسى صقر يعالج

طبيعة بحرية ساحرة ، وعبق الماضي الاخاذ .. بريشة الفنان محمود الرضوان .

البادية برموزها البسيطة غرقت في خضم الأهازيج اللونية التي أسبغها عليها الفنان خزعل عوض .



أحد تماثيله فى محترفه بالمرسم الحر

النحات خزعل عوض في منحته بالمرسم الحر وعمل متواصل من أجل خدمة الفن .

موروثات شعبية ، فى إطار فني حديث قدمه الفنان عبد الله سالم .

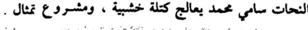
ومحترق مزود بأحد أجهزة الطباعة ، ومسبك لصهر البرونز . وقال إن الفنانين يسهمون في الأسابيع الثقافية التى تقيمها الدولة في الخارج ، وكذلك في المشاريع الحكومية ذات الطابع الفنى ، ويحق للدولة أن تمتلك أعمال الفنانين مقابل مكافأة رمزية ، وللفنان الحق في التصرف بلوحاته وبيع إنتاجه الفنى ، وقد شارك فنانو المرسم في أكثر من (٨٥) معرضا خارجيا ومحليا ، وفي مؤتمرات فنية ، كان من أهمها : « مؤتمر النحاتين في كندا » . وقد قال الفنان جاسم بوحمد : « إن التفرغ شرف أعتز به ، وهي كلمة لا تمنح لأى فنان عادى ، وعن ذكرياته في المرسم يذكر بأنه في أول زيارة للمرسم الحر ، شعر بالرهبة والخشوع لهذا الفن الراقى الذى يقترب من القداسة .

جولة مع فنانى المرسم

التقينا مع بعض فناني المرسم الذين كانوا يعالجون الكتل الخشبية بأزاميلهم ، أو قماش اللوحة بريشهم ، وبعض هؤلاء الفنانين حصل على التفرغ منذ عشرين عاما ، وله كثير من الذكريات ، والتقينا بالفنان « عيسى الصقر » وهو أول الفنانين المتفرغين ، وقد قال بأن التفرغ يعني أن يعيش الفنان لفنه فقط ، والفنان عيسى اشتهر بحبه للفنون الشعبية ، التى حورها في تماثيل برونزية جميلة ، تمتاز بالاستطالة ، والرشاقة ، وخبرة فنان نذر نفسه للفن .

ومن فنانى المرسم النحات الكويتى المشهور « سامى محمد » والذى قدم تماثيل تعالج قضايا إنسانية وسياسية ، يقول بأنه لولا التفرغ لواصل السير في نفس الطريق ، ولكنه لم يكن يجني نفس الثمار ، ولن يصل إلى ما وصل اليه .

ومن الفنانات الكويتيات المتفرغات الفنانة صبيحة بشارة ، والفنانة سعاد العيسى ، والتى ذكرت بأن العمل الادارى يقتل روح الفنان ويفقده شخصيته الفنية ، وهو يعطى للفنان الفرصة للعمل دون أن تثقل كاهله الأعباء المادية ، أما النحات « خزعل عوض » ، الذى يعشق المواضيع التراثية ذات الطابع الرمزى ، فإنه يسرد ذكرياته عن مدى الأثر الذى تركه المرسم في نفسه إثر أول زيارة له فيقول : عندما دخلت هذا المكان شعرت بشفافية مستقبلية ، وعرفت بأنى لن اغادر هذه الصومعة الفنية ، وها هو ميداني فلتنطلقي يا خيول إبداعى ، ومن الفنانين الرواد في المرسم الفنان « خليفة القطان » والفنان « محمود الرضوان » الرافض الانفصال عن الماضى ، والمتغلغل في نسيج التراث الكويتى ، حيث ينقل بأمانة فنية تامة وتقنية رائعة صوراً شعبية جميلة للأحياء الكويتية القديمة التى اندثرت ، وللساحل الخليجي ، ويفسر سبب ولعه هذا بأنه تمنى لو أنه بقي في الماضى



النحات سامي محمد يعالج كتلة خشبية ، ومشروع تمثال .





النحات جاسم بوحمد أمين المرسم الحر ورغبة صادقة في تطوير الحركة الفنية التشكيلية الكويتية .

وظل طفلا صغيرا يراقب أهله وهم يركبون قواربهم ، مبحرين لطلب الرزق ، وعندما لم يستطع تحقيق أمنيته بالعودة للماضي ، حمل هذا الماضي في قلبه ليفجره حبا وألوانا على قماش لوحته . ومن الفنانين المبدعين في المرسم : « الفنان عبدالله القصار » الملتزم في فنه بفلسفات خاصة ، والذى قرر أن يكون إبحاره في عوالم الفن مصحوبا بفكرة الغوص في أعماق النفس البشرية ، وهناك بعض الفنانين الذين عشقوا البادية ، وكل ما يتصل بحياة البدو الرُحل ، وحولوا عشقهم إلى مواضيع فنية زاخرة بالألوان الدافئة الصحراوية الجميلة ، وهم : الفنان عبدالله سالم » ، الذى اختزل الرموز البدوية ، وحوَّل البساط البدوى إلى نسيج رائع من الأحاسيس والأفكار ، والفنان « مساعد الفهد » الذى ابتعد عن المدارس الفنية الحديثة ، ويقول عن ذلك « انا ابن هذه الأرض وأحب أن تنبع لوحاتي من روحها .

النقاد والمرسم الحر

وقد كتب كثير من النقاد الفنيين عن الحركة الفنية التشكيلية في الكويت ، ومنهم الدكتور « عفيف بهنسي » مدير الفنون الجميلة في الجمهورية العربية السورية إذ يقول:لعل أهم ما يميز الحركة الفنية في الكويت هو سلامة منطلقها ، فلقد ظهرت هذه الحركة في ظروف فنية فما كان عليها أن تستمد نسقها من أصول غريبة ، أو من مصادر متنوعة كما كان الحال في نشأة الفن في أكثر الأقطار العربية ، ولكن الفن العربى الحديث ، وقد استقام بعد تجربة طويلة استمرت منذ بداية هذا القرن قدَّم إلى الكويت حصيلة تطوره المتجهة نحو بناء الشخصية العربية في الفن ، وأنبت في هذا البلد العربي براعم ناشئة ، تفاعلت مع الثقافة الفنية ، الواردة من المعاهد الفنية العربية ، أو من مدرّسي الفن المتخصصين ، وكانت هذه الثقافة ، مقدمة أصيلة جديرة بالمتابعة والاهتمام .

ولو ركزنا نظرتنا في ملامح الفن الكويتى ، لتبين لنا أن الفنان هناك يحاول أن يتخطى الصعوبات التقنية ، لتحقيق نوع من الأصالة الفنية ، ولقد تمثل هذا في محاولات متنوعة بعضها واضح في محاولة تطوير الرقش العربى وبعضها يتمثل في التعبير التلقائى عن المناخ والبيئة المحلية ، وهناك من يؤكد على القضايا العربية المباشرة بأسلوب صادق مبسط » .

كل هذا يبشر بولادة صحيحة لفن عربى أصيل على أرض الكويت .

فن أصيل

نعم إنه فن أصيل يفيض بروح الأرض التى ينتمى إليها ، وإن رحلة الـ (٢٥) عاما التى قطعها المرسم الحر ، منذ تأسيسه ، لتشهد على أصالة هذا الفن ، وبالفضل الكبير للمرسم على تطور الحركة الفنية الكويتية ونموها،وإن فنانى المرسم المتفرغين ما زالوا يذكرون مرسمهم وهو يحبو ويخطو خطواته الأولى ، وكيف شب ونضج وأصبح صرحا فنيا يفتخر به على المستويين العربى والعالمى . □

خلاّط ٧٢١ الجَديد من مولينكس

صنع فرنسا

شكل جذاب وقوة فعالة





قسم خاص
البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
اللعب والتربية
العقم عند النساء

اللعب وأثره في التربية

بقلم : راتب المسعود

ليس كل لعب لهوا وعبثا ، وجميل من التربية الحديثة أن تصطنع منه أساليب تعينها على تكوين الناشئة ، فتضفى عليهم ثوبا من عافية البدن ، ونشاط الذهن ، واستقرار النفس .

اعتبر اللعب قديما مضيعة للوقت ، ومبدداً للجهد الذي يجب أن يبذل في الدراسة والتعلم ، ولذا فلا غرابة إن وجدنا التربية القديمة تعمل جاهدة لابعاد تلاميذها عنه ، عن طريق تجاهلها له في مناهجها المدرسية أو خططها التربوية .

وقد تغيرت النظرة الى اللعب ، وتبدلت الصورة عنه في عهد التربية الحديثة ، التى أكدت على ضرورة إدخاله ضمن المناهج التربوية في جميع مراحل التعليم ، وغرسه في اكثر النشاطات التربوية والمواضيع الدراسية اعترافا باهميته الملموسة في ترسيخ التعليم في الذهن .

واللعب الذي نعنيه هنا يشمل مجموعة النشاطات والممارسات التى يقوم بها الطفل سواء من تلقاء نفسه أو التى صممت ونظمت له من قبل غيره كالجري والعوم في الماء وركوب الأراجيح وغير ذلك ، أما الشكل الآخر للعب فهو تلك النشاطات التى يقوم بها الطفل ، مستخدما الألعاب المختلفة ، والتى تنوعت صنوفها في الآونة الأخيرة حتى أصبحت صناعة كبيرة شملت الألعاب التعليمية والأجهزة السمعية والمرئية ، فأصبح منها الثابت والمتحرك ، والبسيط والمعقد ، ومنها ما يستطيع الطفل أن يلعب بها بمفرده ، ومنها ما لايستطيع الا بالاشتراك مع غيره من الأطفال ، ناهيك عن مادة صنع تلك الألعاب ، فإن بعضها ورقي كرتوني ، وبعضها بلاستيكي وآخر معدني أو خشبي إلى غير ذلك .

وسوف نحاول في هذه العجالة توضيح الأثر المهم الذي يحققه اللعب من أجل تربية الطفل ، وتعليمه وكيف يؤثر اللعب على كافة جوانب نمو الطفل جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا ، ليتسنى لنا - آباء ومدرسين - وضع اللعب في المكان الذي يليق به إن أردنا حقا لأطفالنا السعادة ولمجتمعاتنا التقدم .

فوائد اللعب :

اللعب عبارة عن استغلال طاقة الجسم الحركية في جلب المتعة النفسية للفرد ، وهو الوسيلة التى يزداد بها الطفل معرفة ببيئته التى يعيش فيها يوما بعد يوم ، إذ أن اللعب هو عمل للطفل وهو وسيلته التى ينمو بها ويرقى بوساطتها ، ويمكن ان ننظر الى نشاط اللعب على انه رمز الصحة العقلية ، فإذا لم يقبل عليه الفرد كان ذلك دليلا على عيب فطرى أو مرض نفسي .



اللعب . . رياضة وترويح وبسمة على الشفاه .

لم تكن التربية الحديثة تولي اللعب كل هذا الاهتمام ، لولا أن هناك فوائد عديدة وثمارا تربوية جمة ، يقدمها اللعب للطفل ، ومنها :

١ . ينفس عن التوتر الجسمي والانفعالي عند الطفل .

٢ . يدخل الخصوبة والتنوع في حياة الطفل .

٣ . يعلم الطفل أشياء جديدة عن نفسه وعن العالم المحيط به .

٤ . يعطي الطفل مجالا لتمرين عضلاته كما في ألعاب الحركة والمجهود الجسمي .

٥ . يعطي الطفل فرصة لاستخدام عقله وحواسه ، وزيادة قدرته على الفهم .

٦ . يتيح الفرصة للطفل ليعبر عن حاجاته التي لا يتاح لها الأشباع في حياته الواقعية .

٧ . يجذب انتباه الطفل ويشوقه الى التعلم ، فالتعليم باللعب يوفر للطفل جوا طليقا يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه .

٨ . يمكن الكبار من مساعدة الطفل على حل مشكلاته وأزماته الشخصية اذ يوقفهم على مفاتيح مهمة لمسلكه .

٩ . اللعب الجماعي تقويم لخلق الطفل ، اذ يخضع فيه الى عوامل ايجابية كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء .

١٠ . اللعب يوفر للطفل فرصة التغيير ، وهي حاجة أساسية عند الانسان ، فلا بد في الحياة من تغير رتابة العمل لكيلا تصبح الحياة مملة والعمل مضنيا .

اللعب والتربية :

بعد أن كانت التربية التقليدية تعتبر اللعب عدوا للوقت والجهد ، وتحول بين الأطفال وبينه ، جاءت التربية الحديثة لتعزز موقفه وتجعله ضروريا للنمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي ،



شعب لايعــرف كيف يلعب . . شعب لايعرف كيف ينتج ؟ وليس صدفــة إن الأمم الأكثر تقــدما هى ذاتهـا التى تحتل المكـانة الأولى فى الألعـاب الريـاضية .



وتؤكد على أنه ميل طبيعي له غاياته التربوية . ولذا فلا غرو ان وجدنا معظم علماء التربية يؤكدون على جعل اللعب مبدأ من مبادىء التربية،وأنه وسيلة مهمة لتربية الصغار .

والتربية الحديثة لاتولي اللعب مثل هذه الأهمية ، الا لأنه يحقق أثرا بارزا في مختلف أنواع النمو عند الطفل ، كما يتضح فيما يلي :

أثر اللعب على النمو الجسمي :

يسهم اللعب إسهاما كبيرا مع الغذاء في زيادة وزن الطفل وحجمه ونمو أجهزته المختلفة ، فالجرى والمطاردة والعوم في الماء وركوب الدراجة وتسلق السلالم والسباق وغير ذلك من الألعاب الرياضية المنظمة والنشاطات تعمل جميعها على إعمال الطاقة الكامنة لدى الطفل ، وبالتالي زيادة قوته العضلية ونموه البدني . وتعمل هذه النشاطات على ايجاد نوع من التوافق الحركي عند الطفل وتكتسب عضلاته الصغيرة يوما بعد يوم مزيدا من النضج والمهارة في استعمال الأشياء .

ان اللعب ضرورة أساسية لنمو الطفل في مرحلتي الطفولة المبكرة والمتأخرة لتهيئته لاستقبال الأعمال والمهارات التى تتطلبها مراحل النمو المقبلة ، حيث أن لكل مرحلة نمو معينة ، مهارات وأعمالا معينة لابد من إتقانها والالمام بها حتى ينتقل الطفل الى مرحلة النمو التى تليها انتقالا سويا .

والبيت والمدرسة كلاهما مدعو لتشجيع الطفل على تنويع نشاطه الحركي ، وتشجيعه على الحركة التى تتطلب المهارة والشجاعة ، وعلى مختلف أنواع الالعاب الرياضية المنظمة التى تكسبه قوة ومتانة وتزيد عضلاته نموا وانسجاما .

أثر اللعب على النمو العقلي :

تعد ألعاب الطفل وسيلة مهمة وحيوية لادراك الكثير من المفاهيم والقواعد في مختلف المعارف والعلوم ، واكتشاف حقائق الكون وفهم بعض أسراره .

ان اللعب يعطي الطفل الفرصة لاستخدام حواسه وعقله وزيادة قدرته على الفهم ، إذ أنه يجذب انتباهه ويشوقه الى التعليم ، لما يوفره له من جو طليق يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه ، فنجده يتعلم مفاهيم الحساب كالعد والوزن والحجم والمقاييس ، عن طريق ألعابه المختلفة السهلة الاستعمال ، سواء أكانت خشبية أم بلاستيكية أم كرتونية ، أم معدنية أم غير ذلك ، وبذا يكون ذخيرة جيدة من المفاهيم التى تستقر في ذهنه ، ويصعب نسيانها ليعزز المبدأ القائل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » .

وما يندرج على مفاهيم الحساب يندرج على مجموعة كبيرة أخرى من المفاهيم في سائر انواع العلوم ، يكتشفها الطفل بطريقة عفوية غير منظمة بالنسبة له ، مع أنه يفترض أن يكون الكبار قد وعوا وأدركوا جيدا الهدف من هذه اللعبة أوتلك قبل تقديمها للطفل . وبذا تكون الألعاب رافدا مهما لمعلومات الطفل ومفاهيمه ومدركاته بحيث تعمل جميعها على زيادة النمو العقلي له تمشيا مع كافة أشكال النمو الأخرى .

أثر اللعب على النمو الاجتماعي :

سبق أن قلنا في معرض الحديث عن فوائد اللعب، ان اللعب الجماعى يعد تقويما لخلق الطفل، إذ يخضع فيه الى عوامل مهمة كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء، فمن خلال اللعب يتعلم الطفل كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية ،



حيث أنه يمر في مواقف حياتية تتيح له الفرصة ليتعلم النموذج الأمثل في تكوين العلاقات المتبادلة ، كالتعاون ، والتنافس ، والمشاركة والمناقشة ، والمشاورة مع الآخرين ، والاشتراك في اتخاذ قرار جماعي ، وتقبل رأي غيره ، واحترام هذا الرأي ، وطرح الافكار التي تهم الجماعة ، وما الى ذلك من الأنشطة الاجتماعية البسيطة ، التي من خلالها يتعلم الطفل أمورا مهمة لمستقبل أيامه ، ويتخذ منها اساسا لعلاقاته الاجتماعية المقبلة .

وهذه المظاهر وغيرها يتعلمها الطفل من خلال مجموعة كبيرة من الألعاب ، قد تبدأ بلعبة يشترك فيها مع طفل واحد آخر كلعبة « السيسو » مثلا ، وتنتهي بالألعاب التي تحتاج لأكثر من طفل للقيام بها . ومما تجدر الاشارة اليه أن المعلم أو المعلمة في مرحلة الروضة أو المدرسة الابتدائية قد يخطط لألعاب كثيرة ولا تكلفه شيئا سوى الاعداد لها ، وقد تقع معظمها في دائرة النشاطات التربوية ، التي من خلالها يعزز المعلم أو المعلمة عند الأطفال القيم الايجابية الجماعية التي سبق ذكرها .

أثر اللعب على النمو الانفعالي :

يعمل اللعب بمختلف أنواعه ، وعلى مدى سني عمر الطفل على تنمية أشكال العواطف لديه ، وعلى ضبط انفعالاته والوصول بها الى مستوى النضج .

فمنذ الأشهر الأولى التي يبدأ فيها الطفل مرحلة جديدة من النمو الحركي وهي المشي ، نجده يستغل هذه القدرة على ابراز كيانه ، والاعتراف بهذا الكيان فيشعر هو بالثقة بالنفس ، وبقدرته على الانجاز والعمل دون إدراك حقيقي لهذا العمل .

ويعد اللعب بالنسبة للطفل أفضل وسيلة للتعبير عما يشعر به ، ولذا فلا غرابة إن وجدناه احيانا يرمي لعبة أو يصرخ بأعلى صوته معبرا عما يجول في نفسه من غضب واستياء ، أو يعطي لعبة الى غيره من الاطفال معبرا لهم عن الحب الذي يكنه لهم ، أما عواطف الكره والبغض والخوف والغيرة والهدوء والسعادة والفرح والتذوق فإننا نكاد نلمحها بوضوح في تعامل الطفل مع دُمْيَاته واقرانه .

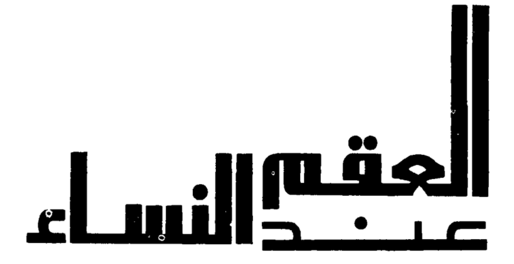
ويتأثر بهذا كله النمو الاجتماعي الذي سبق واشرنا اليه ، لأن هذه العواطف تعزز بعض العمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع وما الى ذلك مما يجعله يزداد يوما بعد يوم في معرفة ذاته أولا وفي معرفة محيطه آخرا .

وفي حقيقة الامر فإن كل لعب يقوم به الطفل لتنمية جسمه وعقله ، هو في الوقت نفسه عامل على نمو عواطفه وتطور انفعالاته ، وهنا تأتي مهمة الكبار من آباء ومدرسين لأن مسئوليتهم في توجيه الطفل تعد ذات أثر بالغ في العمل على ايجاد التوازن في عواطف هذا الطفل وأحاسيسه،والعمل على تعزيز عاطفة نبيلة يظهرها الطفل من أجل نمائها وزيادتها ، وبالمقابل توجيهه الى الابتعاد عن الانفعالات الشريرة التى يحتمل أن تولد وتزرع في نفسه الحقد والكراهية والبغضاء ، ولذا فإن تربية الانفعالات مسئولية عظمى تترك آثارها واضحة في حياة الطفل المستقبلية .

ان مساعدة الطفل في السيطرة على انفعالاته وضبطها والتحكم في نفسه ، والفهم والتقبل لمشاعره نحو نفسه ونحو العالم المحيط به ، اضافة الى اشباع الرغبات النفسية كالحب والشعور بالأمن والتقدير ، كلها أمور تخلق في الطفل توافقا انفعاليا واتزانا عاطفيا يجلب السعادة له ولمن يعيش حوله .

ان اللعب هو وسيلة لتفريغ الطاقة عند الاطفال ، وهو الوسيلة التي يختارها الطفل للتعبير عن ذاته بالعمل دون أي اعتبار للنتائج التى يجنيها ، ولانعدو الحقيقة إن قلنا إن اللعب يمثل مدرسة ، لأن الطفل يتعلم بوساطته ما لا يستطيع احد أن يعلمه اياه ، فهو يتعلم كيف يتعرف على الاشياء ويتجاوب معها ، ويتعلم أنماط العلاقات الانسانية وكيفية الاتصال بالناس ، والكفاح من أجل الوصول الى هدف .

ولما كان للَّعب مثل هذا الأثر المهم في التعلم والتربية فما أحرانا ان نجعله موضوع اهتمامنا ودراستنا ، ونحسن تقدير أثره التكميلي في نمو أطفالنا نموا سويا . □



بقلم : الدكتور انيس فهمى

عندما يتأخر ظهور أعراض الحمل على الزوجة تبدأ التساؤلات . . وعندما يقول الطبيب إنها لاتنجب تبدأ سحب الهموم فى سماء الحياة الزوجية ، فماذا تعرفين - سيدتى - عن العقم وأسبابه وعلاجه ؟

العقم من أشد الاشياء ايلاما وإحداثا للقلق عند الزوج والزوجة ، وهناك ملايين من الأزواج لم يستطيعوا الحصول على الاشباع العضوى والوجدانى الذى يحققه انجاب طفل لانهم عقيمون ، وليس أمام اولئك الازواج سوى حل واحد هو تبنى الاطفال . الآن أصبح فى متناول اليد مجموعة من الامكانات الطبية ، ليست مؤكدة ١٠٠٪ ، ولكن أغلبها يعد بآمال كبيرة ، ومجموعة من العقاقير وانواع جديدة من الجراحات ، وحتى اتمام عملية الاخصاب خارج الرحم يمكن أن تفتح الطريق لتحقيق حلم أزواج كثيرين بتكوين اسرة سعيدة .

وقد دلت الاحصاءات على أن ٤٠٪ من حالات عدم الانجاب يقع فيها اللوم على الرجل ، وفى ٤٠٪ من الحالات يقع اللوم على المرأة ، وفى باقى الحالات يقع اللوم على الزوجين معا .

تقدم العلاج فى السنوات الأخيرة :

يبدو أن حالات عدم الانجاب فى ارتفاع مستمر ، وأحد الاسباب هو ارتفاع نسبة الاصابة بالأمراض التناسلية ، وهناك سبب آخر هو ميل النساء الى تأجيل الزواج والحمل . وفى العشرين سنة الأخيرة اكتسب الخبراء معرفة كبيرة بتعقيدات الغدد الصماء التى تتحكم فى عملية الانجاب ، واكتشفت اختبارات جديدة لتشخيص نقص الهرمونات لم تكن معروفة من قبل ، هذا بالاضافة الى نجاح الباحثين فى عزل الهرمونات الجنسية وتخليقها مما ساعد على علاج الحالات المستعصية بالعقاقير الحديثة . أما العمليات الجراحية التى كانت مستخدمة لعلاج العقم فقد استبدلت الآن بالجراحات الميكروسكوبية . وباستخدام عدسات قوية

أمـا أكثر العمليـات إثارة فهى تلقيـح البويضـة خارج الرحم ، وفى هذه الحالة يستخرج الطبيب البـويضة من المبيض ويلقحهـا بالحيـوان المنوى للزوج فى أحد أطباق المعمل ، ثم يدخل البيوضة الملقحة الى رحم السيدة لينمو الجنين نموا عاديا ، وتلد السيدة طفلها بعد انتهاء مدة الحمل بطريقة طبيعية ، ومنذ أن ولدت الطفلة « لويز براون » بانجلترا فى عام ١٩٧٨ وولد بعدها ١٥٠ طفلا بهذه الطريقة وأصبحوا يسمون اطفال الانابيب .

الهرمونات الجنسية :

إن العقم عند النساء غالبا مـا يرجـع الى اضطراب فى عمل الهرمونات الجنسية ، فان الغدة النخامية تفرز نوعين من الهرمونات : نوع ينشط حويصلات المبيض ويسـاعد على انضاجهـا ، ونوع آخر يسبب انطلاق البويضة الناضجـة من حـويصلة المبيض لتسافـر عبر قنـاة فـالـوب الى الـرحم ، وخلال هـذه الرحلة تلتقى بـالحيـوان المنـوى الذى يلقحهـا ، وفى هذه الأثنـاء تحدث عمليـات كيماويـة اخرى لتعـد جسم السيـدة للحمـل . فـالمبيضـان يفـرزان هـرمـون الاستروجين ، والحويصلة الفارغة بعد انـطلاق البويضة منها تفرز هرمون البروجسترون،هـذان الهـرمونـان يعملان على اعداد الغشـاء المبطن للرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، فـاذا كانت البـويضة لم تلقـح او فشلت فى ايجاد مكـان لهـا بالرحم فان افراز البروجسترون يتوقف وينفصل الغشاء المخاطى للرحم الذى يطرد خارج الرحم اثناء الدورة الشهرية .

علاج العقم بالعقاقير :

فى حالة عدم التبويض فـان العقار الاول الـذى يعطى للسيـدة هو كلوميـد وهو هـرمـون تخليقى تتناوله السيدة عن طريق الفم بعد الدورة الشهرية ، وهذا الهرمون ينشط عملية التبويض . اما اذا كان سبب العقم يعود الى نقص فى افراز



ومشـارط دقيقـة للغـايـة ، وخيـوط ارفـع من الشعرة ، استطاع الجراحون أن يضاعفوا فرص النجـاح فى عمليات تنقيـة الانابيب فى المـرأة او عمليـات استعادة الحبـل المنوى المقـطوع عنـد الرجل .

هرمونات الغدة النخامية المنشطة للمبيض فتعطى السيدة حقن برجونال وهى مادة تستخلص من بول السيدات اللواتى بلغن سن اليأس ، وتحتوى على الهرمونين المنشطين لعمل المبيض . إن علاج السيدة لمدة ثمانية ايام الى عشرة بحقن برجونال كفيل بانضاج البويضة ، ثم تحقن السيدة بعد ذلك بحقنة من هرمون الغدة النخامية المنشط لافراز البروجسترون من المبيض لكى تنطلق البويضة من حويصلة المبيض .

احيانا يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم كثيفا بدرجة تشكل مانعا للحمل ، فاثناء التبويض يجب أن يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم غزيرا لزجا رقيق الكثافة لكى يسمح للحيوانات المنوية باختراقه ، والدخول الى الرحم ثم الى انبوبة فالوب لتلقيح البويضة ، اما اذا كان الافراز المخاطى كثيفا جدا فان الحيوانات المنوية لاتستطيع اختراقه وبالتالى يتعذر حدوث الحمل ، ان مشكلات الافراز المخاطى لعنق الرحم ليس من السهل علاجها ولكن يمكن استخدام مادة جوايفينيزين
وهى مادة منفثة للبلغم وتستخدم فى كثير من أدوية السعال، وللاقلال من كثافة الافراز المخاطى لعنق الرحم .

الاندومتريوزيس

لقد دلت الابحاث على أن نصف السيدات العقيمات تقريبا واللواتى يكون سبب العقم لديهن راجعا الى مشكلات هرمونية يمكن أن يتخلصن من العقم باستخدام العقاقير سالفة الذكر ، ولكن العلاج ليس هينا الى هذا الحد فان بعض الحالات لابدلها من الجراحة مثل حالات الاندومتريوزيس حيث يظهر الغشاء المبطن للرحم فى تجويف البطن ، واذا حدث أن نما هذا النسيج حول الاعضاء التناسلية وداخل قناتى فالوب فانه يسبب التهابا وانسدادا بالانابيب



وبالتالى يسبب العقم ، ويمكن اكتشاف هذا المرض بعملية استكشاف للبطن بوساطة انبوبة مضيئة تدخل فى بطن المريضة من خلال شق بطنى صغير ، وبذلك يستطيع الطبيب أن يرى الأعضاء على الطبيعة ؛ ويمكن علاج هذه الحالات اذا كانت بسيطة باستعمال عقار يدعى دانوكرين
وهو يؤدى الى ضمور النسيج واستعادة القدرة على الانجاب ، ولكن فى بعض الاحيان ، قد يستدعى هذا المرض اجراء جراحة لاستئصال النسيج غير الطبيعى من خلال شق بطنى آخر اثناء فحص المريضة بالانبوبة المضيئة الا انه فى بعض الحالات قد يستدعى الامر اجراء جراحة كبرى ، وبعض الجراحين يلجأون احيانا الى استخدام أشعة الليزر لازالة الالتصاقات ونسيج الاندومتريوزيس .

انسداد انابيب فالوب :

ان الانسجة الدقيقة لانابيب فالوب يمكن أن تصاب بالانسداد والتليف بسبب الاندومتريوزيس او الالتهابات او الاصابات نتيجة لعملية سابقة بالبطن ، وهذه الحالات تشكل تحديا حقيقيا للجراح . وقد ساعدت الجراحة الميكروسكوبية على زيادة فرص علاج العطب الذى يحدث للانابيب وذلك باستخدام مشارط ومقصات دقيقة جدا لاستئصال الالتصاقات ، وكى الأوعية الدموية التى تقطع اثناء الجراحة بالتيار الكهربى ، وقبل خياطة الشق البطنى يصب فى تجويف البطن سائل يحتوى على احد مضادات الحساسية مع عقار الكورتيزون ، وذلك لمنع الالتهاب الذى قد يحدث بعد

العمليــة ، وللوقــايــة مـن تكــرار تكــوين الالتصاقات .

أطفال الانابيب

لايوجد أى علاج للعقم بهر انظار العالم كله مثل التلقيح خارج الرحم الذى كان اول من قام به الدكتور باتريك ستبتو والفسيولـوجى روبرت ادواردز . ان التـوقيت الدقيق أسـاسي لنجـاح عمليـة التلقيح خـارج الرحم ، ومن المتبـع أن تعطى السيدة حقنة برجونال بعد ابتداء الـدورة الشهرية بثلاثة أيـام لتنشيط عملية التبـويض ، ولكى يتحقق الطبيب من اقتراب موعد التبويض يُجْرىٰ تحليل للدم لمعـرفة نسبـة ازدياد هـرمـون الاستروجين،وتُسلط اشعة بالموجات فوق الصوتية للمبيض لقيـاس حجم الحـويصـلات ، وبعـد اسبـوعين من ابتـداء الـدورة الشهـريـة تكـون الحويصلات قد بلغت الحجم المطلوب ثم تعطى السيـدة حقنـة من الهـرمـون المنشط لانــطلاق البويضة ، لكى يحدث التبويض فى ظـرف ٣٨ سـاعة ، وقبـل ذلك مبـاشـرة تـدخـل السيـدة المستشفى وتنزع منها البويضات بطريقة خـاصة لتـوضع فى اطبـاق معينـة مـزودة بمـادة مغـذيـة للبويضـات ، وبعد ذلك يؤخـذ السائـل المنوى للزوج وتستخلص منه الحيوانات المنوية وتوضع فى حضانات خاصة ، وفى كـل طبق به بـويضة واحدة يوضع من خمسمائة الف الى مليون ونصف مليـون حيوان منـوى ، وهذا المزيج يـوضع فى حضانة لمدة ٣٨ ساعة الى ٤٨ ، وفى هذا الوقت تكـون البويضـة الملقحة قـد انقسمت الى عـدة خلايا ، وأخيرا تودع هذه الأجنة الصغيرة فى رحم الزوجة بوساطة الحقن ، وينتظر الطبيب والسيدة بقلق التحقق من أن البويضة قد وجدت لها مكانا فى الرحم ، وأن السيدة اصبحت حاملا .

وتتكلف هذه العملية مبلغا يتراوح بين ثلاثة آلاف دولار الى ستة آلاف فى كل محاولة . ان هذه الانواع من العلاج اصبحت حقيقة واقعة ، ومما لاشـك فيـه ان العلم سيستمـر فى الكشف عن أسرار عملية التكاثر ، ومـع كل سـر يزاح عنـه الستار سيستمتع عـدد أكبر من الأزواج بـاشباع رغبتهم فى انجاب الاطفال . □

في الشكر

قال ابن عطاء الله السكندري : الشكر على ثلاثة أوجه : شكر باللسان ، وشكر بالأركان ، وشكر بالجنان .

فشكر اللسان التحدث بالنعمة قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

وشكر الأركان : العمل بطاعة الله ، قال تعالى : اعملوا آل داود شكرا » .

وشكر الجنان : وهو الاعتراف بأن الله وحده هو المنعم ، قال تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » . .

هو.... يسرق مملكتي

اعترف لكم أنني قلقة على نفسي ، واخشى ان أكون غير طبيعية ، وأفكر كثيرا في أن أذهب الى طبيب ، ولكني سرعان ما أبعد عن نفسي هذا الوهم . مايقلقني أن ماكان يسرني ويسعدني صار يشقيني ، وماكنت أعده نعيما وسرورا . . اصبح يمثل لي عبئا وألما ونارا تحرقني .

بدأ الامر بدعابة ، كنا نتناول طعام الافطار في أثناء شهر العسل ، واذا بزوجي يقول انه يعد لي مفاجأة . . سأجلس مثل الأميرات (هكذا قال) وهو سيتولى اعداد الطعام ، اغرقت في الضحك ، واعترضت لانني لست مستعدة أن آكل طعاما سيئا ولامحترقا ولا . . ولكنه أصر وأكد أن الغداء سيكون مفاجأة . وبالفعل كان مفاجأة . . فقد اكلت طعاما شهيا يصعب على كثير من السيدات طهوه بهذه المهارة ، ومابدا كأنه دعابة تحول الى عادة . . في البداية كان يقول انه فقط يقدم استعراضا في فنون الطهي ، حتى تحول الأمر الى أنه يعد كل شيء . . حتى أنواع المخللات وأصناف الحلوى ، صارت ضمن أعماله ، وطوال عشر سنوات لم يتخلف يوما عن الوقوف في المطبخ ، كنت ارقبه في البداية وأتصور أنه سرعان ماسيمل ويترك هذه الهواية . . ولكنه كان يدخل المطبخ وهو سعيد ويقف يعمل ويغني ، وبصراحة في البداية كنت سعيدة غاية السعادة ، وأحسد نفسي على هذه الراحة ، الا انني الآن ومنذ فترة أشعر بأن هذه السعادة لم تكن حقيقية ، ولاشيء ينغص عليّ حياتي مثل هذه الهواية العجيبة ، التي أرى أنها تسرق أنوثتي ، وتسلب مني مملكتي ، وتحرمني من ممارسة احساسي بانني صاحبة بيت اهتم بشئون من فيه ، وأصبح أحساسي انني أقرب ما أكون الى شغالة ، كل مهامها تنظيف البيت ورعاية الاطفال . . حتى طعام الأطفال . . لم أكن أعده أنا ، أما الآن بعد أن كبر الأطفال وأصبح طعامهم معنا . . صاروا متمردين عليّ ، أذكر منذ فترة أنني طهوت قليلا من الأرز بشكل سريع ، واذا بأكبر أطفالي يدفع الطعام من أمامه ويقول « انه ليس طيبا كالطعام الذي يعده أبي » وثرت يومها عليه ، وامتدت يدي تضربه بقسوة ، فقد كان بكلمته البريئة هذه يضغط على جرح داخلي ، حاولت بعدها أن أحرج زوجي كثيرا أمام اصدقائنا ، واذا به يقبل الأمر ببساطة ويضحك ، العجيب أن أصدقاءنا ازداد اعجابهم به ، وزوجاتهم نظرن اليّ نظرات الحسد ، وعندما اعربت لهم عن ضيقي بهذا ، وأنني أرغب أن أتولى شئون بيتي كاملة . . تضاحكوا على ابن آدم الذي لايشكر ولايحمد النعمة التي أرسلها الله له ، ومازالت سعادتي جحيما ، ومازال صدى كلام زوجي في أذني . . انه لايحب ان يأكل طعاما لايصنعه هو . . وما زلت أفكر بالذهاب الى الطبيب .

هي



هي.... الحكمة الغائبة

● لاادري ماذا يوجعها ؟ ففي الأونة الأخيرة ازداد تـوترهـا وأصبحت حساسيتهـا لاتطاق ، واعترف انني عندما وضعت يدي على السبب أصابتني الدهشة ، فقد كانت حساسيتها من اعدادي للطعام بنفسي امر غريب ، وحاولت كثيرا أن اشرح لها وأفسر وأحاول أن أقنعها عبثا .. كنت أقول لها .. اعتبري وقوفي في المطبخ نوعا من المشاركة الانسانية من زوج لزوجته في أعمال المنزل ، وأن اسهامي في العمل المنزلي ليس سلبا لمملكتك ولا انتقاصا من قدرك .. قدر ماهو تعبير مني عن احترامي لك واحترامي لقيمة العمل داخل المنزل .. وفهمي أننا شركاء حياة لافضل لاحد فينا على الآخر .. ورغم كل هذا لم تقتنع ولم تهدأ مشاعرها .

وانتقلت في الأيام الأخيرة الى احراجي أمام أصدقائنا .. كانت متصورة ان هذا سيدفع بي الى الثورة والتخلي عن أعمال المنزل ، ولكن رد فعلي وهدوئي على مايبدو أثارها أكثر ، وجلست أقول لها ولاصدقائنا لماذا الاندهاش ؟ ولماذا تستعجب المرأة ؟ وتنسى أن أبرع من ادى أعمالا - تزعم المرأة انها من اختصاصها - هم الرجال ، فاشهر دور الأزياء وأعظم مصممي الثياب هم رجال .. وأمهر الطهاة رجال .. ولاترتاح المرأة في تصفيف شعرها الا عند الرجال ، ولاتأمن الى طبيب الا اذا كان رجلا . يبدو أن منطقي أثارها اكثر ..

الى أن حدثت الواقعة عندما أعرب ابني الأكبر عن رأيه العفوي - وغير المقصود - في طعام اعدته لهم .. انهالت عليه ضربا مبرحا .. يومها أدركت ان الأمر تحول عندها الى نوع من الحساسية المرضية ، وانها وصلت الى مرحلة صار يخشى منها على انتظام الحياة .. يومها حسمت المسألة بأن قلت لها بوضوح انني لااقبل ان آكل طعاما لاأصنعه أنا ، هدأت هي .. ولكن الأمر داخلها لم ينته بعد .. ورحم الله أمي وغفر لها ، فقد صرت لاأدري هل ماعلمته لنا كان نعمة أم نقمة .. فقد كنا ثمانية أبناء ستة بنين وفتاتين ، فخشيت أن نطغى على أخواتنا فعلمتنا كل أعمال المنزل .. ولقنتنا أن هذا لا ينتقص من الرجل بل يزيده احتراما ، وأنه لايخجل الانسان ان يعمل أي عمل .. رحمها الله وأراح زوجتي وألهمها قليلا من حكمة أمي وبصيرتها .

هو



من الحياة

الإحساس بالملل.. كيف نغالبه ؟

قالت لها صاحبتها : « انني زوجة سعيدة وأم لأربعة أبناء .. مضى على زواجي أكثر من عشرة أعوام ، ولكنني ، ولاأدري كيف بدأت اشعر بالملل ، بدأت أمل الحياة .. أمل الصورة التي اعتدت أن أراها منذ شروق الشمس في الصباح حتى المغيب .. صورة بيتي الصغير والأطفال ومشاكلهم ، وأطباق الطعام التي أبذل جهدا في اعدادها .. انها هي هي ، لا أكاد أنتهي من اعداد آخر طبق في القائمة التي أعدها كل أسبوع حتى أعود اليها من جديد .. انه الروتين ، أو هي رتابة الحياة التي أحياها .. أليس غريبا ان أشعر بالملل وسط هؤلاء الذين أعيش لهم ؟ الذين أعطيهم كل وقتي وجهدي وحبي ؟ » .

وجلست الصديقة تنصت باهتمام ثم قالت : أنت تعيشين في قفص ياعزيزتي .. أو هكذا صور لك خيالك .. ولابد أن تخرجي من هذه الدائرة الضيقة التي أصبحت كل دنياك ، أنت زوجة غير عاملة ولكنك لست وحدك .. ان هناك الملايين من الزوجات اللواتي يعشن لبيوتهن وأزواجهن وأطفالهن .. المهم أن تعرفي كيف تتخلصين من هذا الشعور الذي ينتابك .. أن تتعلمي كيف تجعلين من كل يوم يمر ، رحلة جديدة في عالم جديد .. فأنت تحبين بيتك وأسرتك ، وهذا الحب وحده هو الذي يستطيع أن يجعلك تنسين كل متاعب الحياة .. تذكرى دائما أنك زوجة سعيدة ، وأنك تحبين هؤلاء الذين يحبونك ويتعلقون بك . وسوف تجدين السلوى في تلك الذكريات السعيدة التي تملأ قلبك وصدرك .

ثم شيء آخر .. ان الوحدة التي تعيشين فيها خلال ساعات الصباح عندما يترك الجميع البيت .. الزوج الى عمله ، والأبناء الى مدارسهم .. هذه الوحدة هي التي تولد هذا الشعور الذي يحتويك بالملل .. املئي وقتك بعمل مفيد ، يبعد عنك هذا الاحساس بأنك تعيشين فقط من أجل ملء هذه الأفواه التي تعود اليك جائعة دائما .. بيتك هو مملكتك الصغيرة ياعزيزتي ، وأنت صاحبته وسيدته .. حاولى أن تخرجي من عزلتك .. من وراء الجدران العالية التي ترتفع أمامك فتحجب عنك ضوء الشمس ، فلا تصل اليك الا بمقدار ما تسمح به النوافذ الصغيرة :

« هل يستغرق عمل البيت كل وقتك ؟ لا أظن ، واذن فلماذا لاتحاولين ان تخرجي أنت من قفصك الصغير .. ؟ لماذا لاتوجهين الدعوة الى صديقاتك وجيرانك لكي يأتوا لزيارتك ، أو تذهبي انت اليهم .. أو ربما ذهبتن جميعا في رحلة قصيرة خارج البيت تلتقين فيها بهذا العالم الصغير الذي يمتلىء بصورة لايراها المرء الا عندما يقترب منها .. ؟ وما



أكثرها من صور تستحق الوقوف والتأمل .. ابحثي عنها ياعزيزتي وسوف تجدينها في قلوب هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة الفقراء واليتامى والمرضى والمعوزين .. سوف تجدين نفسك في الجمعيات والمؤسسات التي أقامها أهل الخير من أجل كل هؤلاء .. وعندها فقط سوف تجدين الراحة التي تبحثين عنها من خلال عطائك ومساهمتك .. وسوف تتخلصين من الشعور الذي ينتابك أحيانا بالملل ، وسيمتلىء بيتك بسعادة أكبر .. انها تلك التي تجدينها في العطاء ، لا تحبسي قلبك الكبير داخل جدران بيتك .. دعيه ينطلق من قفصه الصغير ليمتلىء بحب الناس ... كل الناس . »

***

وقالت الصديقة : « سأروى لك قصة امرأة عرفتها وعشت قريبة منها على مدى سنوات طويلة قبل أن نفترق عندماذهبت كل منا في طريق .. كانت تعمل مدرسة في احدى المدارس الصغيرة للاطفال ، في احدى ضواحى المدينة التي تزدحم بالناس والأضواء والسيارات .. وكانت تكره الزحام ، وتحب أن تعيش بعيدا عن الأضواء .. فلما علمت باختيارها للعمل في هذه المدرسة ، احسّت بالارتياح ، وراحت تبحث لنفسها عن سكن صغير قريب من المدرسة التي ستذهب اليها كل صباح ، ووجدت أن أقرب سكن مناسب يبعد عن مكان عملها مسافة كيلو مترين تقريبا .

كانت صغيرة وجميلة .. فقد تخرجت لتوها من الجامعة ، واختارت التدريس لأنها كانت تحب الأطفال ، وبدأت الفتاة عملها الجديد ممتلئة حماسا وحيوية ، كانت تترك بيتها قبل شروق الشمس ، وتمشى في الطريق الطويل الذي يقودها في نهايته الى المدرسة التي اختاروها ، لكي تبدأ فيها رحلتها مع الحياة والكفاح من أجل الرزق والعيش .. فاذا

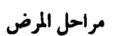
طبيب الأسرة

ماذا تفعلين إذا اصيب ابنك بالحصبة؟

تعتبرالحصبة من أكثر الأمراض الشائعة والمعروفة لدى الأطفال ، بل هي أكثر الأمراض ازعاجا للامهات وإرهاقا لصحة الاطفال . وهي مرض ناتج عن فيروس ينتقل إما بصورة مباشرة من المرضى عن طريق الرذاذ الذي يفرزه الأنف ، أو بصورة غيرمباشرة من الأدوات حديثة التلوث التي يستعملها المريض .

الحصبة عادة تصيب الأطفال بعد السنة الاولى حيث يفقدون المناعة الموجودة في أجسامهم ، التي أخذوها من امهاتهم اثناء شهور الحمل . كذلك قد تصيب الحصبة الكبار الذين لم يصابوا بها وهم صغار .





مراحل المرض

بعد مرور الفيروس بدور من الحضانة يتراوح بين ٧ - ١٤ يوما تظهر الأعراض الاولى للمرض من رشح في الأنف ، ودمع في العينين مع احتقان وعطاس وحمى خفيفة وسعال حاد متكرر . وهذا الدور يستمر حوالي ٤ ايام . تظهر في اليوم الثالث من هذه الأعراض البقع المميزة لمرض الحصبة ، وفي اليوم الثاني لظهور هذه البقع يظهر طفح الحصبة على العنق والوجه ، وترتفع درجة حرارة المريض ، وينتشر بعدها الطفح تدريجيا على الصدر والأطراف العليا ثم البطن والأطراف السفلى حسب التسلسل ، وعندما يبدأ الطفح بالاختفاء يأخذ نفس التسلسل أيضا .

مريض الحصبة يظل معديا خلال الخمسة ايام الاولى لحين ظهور الطفح . وقد يختلط الأمر على بعض الأمهات حيث تتشابه الحصبة مع كل من الحصبة الالمانية وهو مرض ناتج عن فيروس أيضا يختلف عن الحصبة حيث تكون اعراضه خفيفة ، كما لايظهر طفح على الجسم وانما يحصل تضخم بالغدد اللمفاوية العنقية الخلفية ، والغدد التي تقع خلف الأذنين .

هناك مرض ثانٍ مشابه للحصبة حيث يظهر في هذا المرض الطفح مباشرة بعد انخفاض الحرارة .

ومن أهم الأمراض التي قد ترافق الحصبة

التهاب الاذن الوسطى والتهاب الدماغ الذي اما أن يظهر أثناء الطفح أو بعد مرور عشرة أيام من اختفائه .

الوقاية من الحصبة :

تكون الوقاية من الحصبة اما باعطاء مناعة مكتسبة بواسطة مصل يحتوي على مادة « كاماالكوبولين » او باعطاء لقاح الفيروس الضعيف .

ويفيد التطعيم عادة الاطفال ضعاف البنية او الصغار والمصابين بأمراض أخرى اثناء وجودهم مع اطفال مصابين بالحصبة ، وذلك لمنع تعرضهم لمضاعفات هذا المرض . ولاننكر أهمية هذا اللقاح ، ودوره الفعال في منع الحصبة ، حيث ان ذلك يخفف من آلام الطفل ويقلل من ارهاق الام . ويبدو أن هذا اللقاح سيساعد في قطع دابر الحصبة من الارض .

علاج الحصبة :

في حالة عدم وجود أطفال آخرين ، يوضع الطفل في فراشه بغرفة خافتة الضوء وذلك للتقليل من حساسية العين للضوء ، ويعطي أدوية مخفضة للحرارة ، ومسكنة للسعال ، وقطرات مهدئة لاحتقان العينين ، ولفتح المجاري الانفية . ويجدر بالام محاولة ابقاء ابنها داخل غرفته حتى يتعافى تماما . □

☆☆



ظفر العين pterygivm

● اعانى من وجود زوائد لحمية طرف العين قال لى الطبيب عنها انها ظفر العين ، ونصحنى بازالتها بعملية جراحية بسيطة على حد قوله .

ولكننى متردد ومتخوف من المضاعفات فما هو ظفر العين ، وما هى المضاعفات لو تركته ، أو أجريت له العملية الجراحية .

ف . ع الدوحة

ظفر العين أو ظفرة العين ، تعبير عن امتداد لحمى ليفى مخروطى الشكل يتجه من زاوية العين الى وسطها على غشائها المسمى بالملتحمة .

والأغلب أن يكون الظفر من الزاوية الداخلية للعين الواحدة ، وربما كان فى الزاوية الخارجية ، أو ربما أصاب العينين معا ، وهذا أمر ينـدر حدوثه .

والملتحمة conjunctiva هي اسم الغلاف الخارجى للعين ، وباطن الجفون حيث موقع الظفر الذى يبدأ من زاوية العين فى خيوط ليفية ، على شكل قمع مدبب الرأس يتجه الى وسط العين حيث القرنية الشفافة ، ببطء غير ملحوظ ، وتتخلله شعيرات من الأوعية الدموية الحمراء ، كما أن الالياف تفرز جذورها فى بياض العين أو ما يعرف بالصلبة (Sclera) .

ان ظفر العين لا يعتبر فى عرف أطباء العيون مشكلة خطيرة الا اذا ترك ليصل الى منطقة القرنية الشفافة ، ومن هنا فانه يحجب الرؤ ية ويسد فتحة

البؤبؤ ، ويؤدى الى عمى جزئي ، كما أن ازالته جراحيا عند هذا الحد قد تؤدى الى عواقب لا تستحب منها عتامة القرنية .

هذا الى أن ازالة الظفر واقتلاعه من جذوره جراحيا في بدايته مأمونة الجانب ، وليس لها مضاعفات ، واذا ما كانت الازالة تامة صحيحة يكون احتمال عودة الظفر نادرا كما أنه لا يخلف تشوها أو ضعفا .

القلق مرض العصر

● تستولي علي ضغوط فكرية داخلية تدفعني الى اعتزال الناس ، وأكون منطويا على نفسي مما سبب لي فشلا في حياتي العملية والاجتماعية ، وقد تناولت بعض المهدئات ، ولكن دون جدوى ، والأفكار والوساوس المخيفة تلاحقني دوما مع اقتناعي أن هذه الأفكار لاتطابق الواقع والمنطق ، فما سبب هذا المرض وما هو العلاج ؟

ج . ف ـ الرباط ـ المغرب

الخوف ظاهرة طبيعية لدى الخلائق ، يقيها من المخاطر التى تحيط بها ويبعدها لملاقاتها . ولكن الخوف عادة يكون من شيء معلوم معروف ، يتوقع له المخلوق نتائج وخيمة .

غير أن هناك خوفا من أمر مجهول غير معروف السبب،يتوقعه الانسان من داخل ذاته ، ومن رسم مخيلته ، ويستجيب جسمه له ، وهذا ما يعرف بالقلق . وهو مرض شائع في عصرنا الذي اختلطت فيه البيئة ، وتعقدت لدرجة قد لايحتملها البعض .

ربما كان بعض القلق في الحدود المعقولة التى يمكن تجاوزها وادراك كنهها ، مثل قلق الأم على ابنها الغائب أو المريض توهما أن سوءا قد يلحق به ، ومنها قلق الطالب عقب الامتحان خوفا من الفشل ، واذا كان الخوف مؤقتا تصاحبه بعض ردود الفعل ، كوقوف الشعر ، وتوتر العضلات ، وخفقان القلب ، وزيادة سرعة التنفس ، فان كان القلق دائما نسبياً ، تطول الأعراض وتدوم ، مما يسبب ارهاقا جسديا ونفسيا للمريض ، لهذا كانت لمرض القلق أعراض متميزة منها :

١ ـ الشكوى من زيادة ضربات القلب مع رعشة في الاطراف .

٢ ـ أعراض هضمية مثل عسر الهضم والانتفاخ والغثيان والمغص والاسهال أو الامساك مع الغازات .

٣ ـ أعراض تنفسية على صورة سرعة التنفس مع شعور بالضيق واللهثان .

٤ ـ كثرة افراز العرق وتوتر العضلات ، مما يؤدي الى شعور بالتعب مع أقل مجهود ،والاجهاد من أي عمل بسيط .

٥ ـ شعور بما يشبه الصراع غالبا ما يكون توترا في عضلات الرقبة وفروة الرأس ، مع شعور بالدوار

٦ ـ أعراض نفسية تتمثل في حساسية المريض وعزوفه عمّن حوله ، والملل من أي نقاش مع اضطراب في الذاكرة وضعف في انتاجه الفكري .

كثيرا ما يتهرب المريض من مواجهة مشكلته والاعتراف بمرضه النفسي ، خوفا من أن يتهم بمرض عقلي ، مما يعقد المشكلة ويصعب معه العلاج وخصوصا أن جذور المشكلة عادة ما تكون عميقة وتقوم على محورين :

أ ـ أسباب كامنة في العقل الباطن منذ عهد الطفولة ، نتيجة التربية الخاطئة سواء منها الافراط أو التفريط في العناية .

ب ـ مشكلة معقدة يعجز المريض عن حلها والخلاص منها ، لدرجة تلاحقه دوما في كل أوقاته .

والقضية كما نرى على هذه الصورة تحتاج الى الاطمئنان على سلامة الجسد بالتحليلات والفحوص المخبرية ثم عناية طبيب الامراض النفسية المختص والعلاج بالعقاقير المناسبة .



مساحة وُدّ

تجوع الحرة

كان التناقض حاداً وعميقاً ، وشاءت الظروف أن أرى جانبْي الصورة فى يوم واحد ونهار واحد . وبقدر قسوة الصورة . . دُفعَ عقلى الى التساؤ ل والتفكير ! كنت فى إحدى العواصم الافريقية حيث الجوع مسمار يدق العظم ، والفقر يملأ الأفواه ، والشوارع مهولة ، والضواحى مظلمة غارقة فى العتمة والعرى والفقر ، وعلى جانبيْ الطرقات وفى بهو الفنادق المتواضعة تتكاثر الفتيات عارضات أنفسهن يتلهفن على ابتسامة عابرة ، وينتظرن اشارة صغيرة ، ومن هذه العاصمة انتقلت الى جنيف فى طريقى الى بلد افريقى آخر ، وفى محطة الانتقال أمضيت ليلة ونصف نهار . . قضيت أكثر من ثلثى الليل أطوف شوارع العاصمة السويسرية حيث أعلى دخل للفرد فى العالم ، وحيث الثراء والرفاهية ومجتمع الوفرة . ومارأيته فى العاصمة الافريقية تكرر بصورة اخرى فى جنيف ـ الفتيات والنسوة يقفن شبهْ عرايا يعرضن انفسهن خلف أبواب زجاجية . . ولايخجلن من الاشاره اليك بالدعوة ، ولا من الجسد العارى . . وكتل الأصباغ فوق الوجه . . وراح العقل يتساءل ويفكر فى افريقيا حيث الجوع والعرى . . قد يكون التصرف مفهوما والسلوك الانسانى له ما يبرره ، وهو تصرف وسلوك لاتحترمه ولاتوافق عليه ولكنه مفهوم ، أما غير المفهوم فهو ذات السلوك فى عاصمة أعلى دخل للفرد ، فلا توجد الفاقة أو الجوع حتى الموت ، الذى يدفع البشر الى امتهان أنفسهم كحل للخلاص من أسر الجوع . ومن هنا فاننى اتصور أنه ليس صحيحا « أن الفقر مسئول عن الانهيارات الاخلاقية » ، وأن العلاقة العكسية التى يراها البعض بين الفقر والاخلاق لاصحة لها ، ففى مجتمعنا العربى هناك ٩٠ بالمائة على الاقل أسر فقيرة ، وبرغم ذلك فان أخلاق هذه الاسر لم تصل الى هذا الانهيار ، فالفقر يخلق حالة من النبل والرقة والحساسية ، اذا كان فقرا داخل بيئة تزخر تقاليدها باحترام الجهد الانسانى ، وترى فى شموخ الجسد وعفته ونقائه دليلا على سلامة الروح ، فلا يمكن أن تتطهر روح واناؤ ها قذر ، ولعل عمق التناقض دليل على صحة هذه الرؤ ية ، ففى الحالة الاولى يطمع البعض فى رغيف أو دواء ، أما فى الحالة الثانية فالبعض يبحث عن مزيد من الرفاهية ، ولاأدرى لماذا تذكرت واقعتين : الاولى لاحدى شبكات بيع اللحم الأبيض ، فقد كشف التحقيق المبدئى عن ثروات باهظة لدى افرادها . والواقعة الثانية لاب قتل زوجته واطفاله خوفا من الفقر والجوع ، وكلما كانت ابعاد الصورة تتضح امام عينى ، كان ايمانى يزداد بان الفقر ليس مبررا معقولا وحتمياً لانهيارات الاخلاق ، ولكن القضية تكمن فى التربية ، وثقافة المجتمع الذى يقدر كبرياء الجسد الانسانى ، ويعلى قيمة الانسان من حيث هو انسان ، مجتمع يتوارث أجياله مأثورا شائعاً عن الحرة التى تجوع ولاتأكل بثدييها .

فى اخلاق المجتمع الاجتماعية وثقافته يكمن السبب وليس فى الفقر . . فكم فى عالمنا من فقراء نبلاء قديسين .

محمود عبدالوهاب

ترانيل صوفية

شعر :
الدكتور عيسى درويش

كلما فكرت فى هذى الحياة
وبسرِّ الخَلْقِ . . والكونِ وآلافِ الصورْ
وتذكّرتُ بأنى عابرٌ نهرَ الزمنْ
رُحتُ يافاتنتى أبحثُ عنكِ
فى السما والموجِ
فى عِطْرِ الزُهَرْ
ودعاءِ الطير للهِ . . بأغصانِ الشجرْ

* * *

كلّما فكّرتُ فى الصدقةِ . .
فى اللغز الذى جاء بنا
ورأيتُ الناسَ قد مرُّوا
على تلك الدُّنَا
ثم راحوا بين طيات الحُفَرْ
رحتُ ياملهمتى أبحثُ عنكِ
فى انبلاج الصبحِ
فى بَوْحِ الوَتَرْ
وضياءِ الشمسِ . . . أو ضوءِ القمرْ

* * *

عندما أُمعِنُ تفكيرى . . بأخلاقِ البشرْ
وبفعلِ الناس من خيرٍ وشَرّ
وأرى القومَ على جِسر الصراط
رحت يافاتنتى . . أبحثُ عنكِ
فى كتابِ الله . . ما بين السُّوَرْ

* * *

كلما صَلّيْتُ للرب صلاةَ التائبين
ونما الايمان فى قلبى برب العالمين
وسَمتْ نفسى على حبّ الفضيله
رحت يافاتنتى أبحث عنكِ
فوجدتُ الحل فى أنّا بشرْ . . . فأنا أنتِ . . ولكنْ فى صُوَرْ



اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

"ف"

الفابية

جمعية اشتراكية بريطانية تأسست عام ١٨٨٤ ، تؤمن بالاشتراكية وترى أن تطبيقها يجب أن يتم بالتدريج ، أي عن طريق البرلمان ، وكانت بدايتها جمعية أخلاقية تضم مجموعة من المثقفين الذين يريدون رفع مستواهم الثقافي ، ويديرون نقاشات فيما بينهم حول أوضاع المجتمع وظروفه .

ورغم أن البداية كانت شديدة التواضع ، وبدأت بتسعة أشخاص رأسهم فرانك بادمور ، الذي استأجر شقة صغيرة في العاصمة البريطانية ، لتكون مقرا لجمعية رأسمالها لايزيد عن عشرين شلنا ، الا أن الجمعية امتد تأثيرها واتسع حتى شمل الحياة السياسية والفكرية في الجزيرة البريطانية وأوروبا كلها .

وينتهي نسب اسم الجمعية والذي اختاره « بادمور » الى الجنرال الروماني القديم « فابيوس كانكاتور » واختار مجموعة من أشعار فابيوس لتكون شعارا للجمعية ، وقد كان اختيار فابيوس ايمانا بفكرته في الاستراتيجية والتكتيك وتشبها به ، فقد كانت خطة فابيوس في حربه الشهيرة ضد هانيبال أن يصبر عليه طويلا ، ثم هاجمه من الأطراف ، ولم يصطدم به وجها لوجه أبدا ، وانتصر عليه في النهاية بهذا التكتيك . وهكذا خطة الفابيين:الانتظار طويلا على الرأسمالية ، والتزام الصبر حتي يحين وقت الانتصار .

وقد كان من الممكن أن تظل الجمعية الفابية جمعية أخلاقية اجتماعية ، لولا أن التحق بها شخصيات متوقدة الذكاء شديدة الملاحظة،راغبة في الاسهام في التغير . وتدين الفابية بهذا الى ثلاث شخصيات هي : جورج برناردشو ، وسيدني ويب ، وكير هاردي ، فوضع شو ميثاق الجماعة ونجح في ضم زميله ويب ـ الذي كان يعمل معه في وزارة المستعمرات الى الجمعية ـ ، وقام ويب باجراء البحوث ، وجمع الاحصاءات والبيانات للاسهام في وضع تصور علمي وعملي لقضايا المجتمع ، وكان انضمام كير هاردي ـ زعيم النقابات ـ مؤشرا هاما على تحولات داخل النظام الاقتصادي والاجتماعي . يقول ببساطة:ان العمال لا يأملون خيرا كثيرا من حزبي المحافظين والأحرار ، وأنه لابد أن يكون لهم قوة سياسية مستقلة ماداموا يشكلون قوة اجتماعية .

واذا كان هناك فضل يذكر لتوجه الفابية الى العمال، والعمل من خلالهم،فانه يعود الى بياتريس ويب ابنة الطبقة الارستقراطية ، التي انسلخت عن طبقتها وتزوجت سيدنى ويب ، ونبهت الجمعية الى ضرورة العمل وسط العمال ، لأن نقابات ذلك العصر انصرف اهتمامها الى الجمعيات التعاونية ، والحصول

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى


برناردشو

على امتيازات شخصية ، وأغفلت الصراع من أجل تحقيق وضع أفضل للعمال .

ولمزيد من فهم الاطار الفكري للفابية فانه لابد من فهم التيارات السائدة في المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت . كانت التيارات السائدة في أوروبا وبريطانيا حينئذ هي الماركسية التي ينادي أصحابها بالثورة الطبقية الحاسمة ، وحركة الاشتراكية الدولية ، وجماعة الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي ، وعصبة الاشتراكية ، التي كانت تتأثر بالأفكار الفوضوية ، وكان المجتمع البريطاني يعيش في مرحلة احباط شديد ، فالعنف في المطالبة بتحقيق العدل الاجتماعي لم يصل الى شيء ملموس ، وكانت نهاية الثورات الفرنسية في أعوام ١٨٣٠ ، ١٨٤٠ ١٨٧٠ درسا لعدم جدوى العنف ، وأكده نزول الجيش الى شوارع الجزيرة البريطانية بقيادة الاميرال ويلسون ، بطل موقعة واترلو لقمع المتظاهرين .

في هذا المناخ والجو ظهرت وتبلورت أفكار الفابية ومن هنا فليس غريبا ايمانها بالتدرج والنسبية والمهادنة المؤقتة ، والتسلل الى صفوف الخصوم متخذة الرأسمالية مثالا واضحا . فقد استطاعت الرأسمالية أن تتسلل الى برلمان المجتمع الاقطاعي حتى استولت عليه . وانتشرت هذه الصفات واتسعت حتى أصبحت سمة أساسية لكل الاشتراكية الديمقراطية .

ويختلف الفابيون في تصوير الصراع الطبقي ، فهم يرون أن هذا الصراع لا ينشب بين من يملكون ومن لا يملكون ، بل بين الذين يحصلون على ناتج العمل السريع والذين لا يحصلون عليه ، أي بين مجموع الشعب من عمال ومديرين ومفكرين وعلماء وبين الذين يستفيدون منهم . ويتفق الفابيون في كثير من آرائهم الاقتصادية مع جون ستيوارت ميل أكثر من ماركس ، فهم مع ميل في الاصلاح الزراعي واعادة توزيع الأرض،وضد التيار الماركسي في تأميم الأرض ، ويرون أن نظرية الريع وعدالة توزيع الأرض التي هي مصدر الريع لا تنسحب على القطاع الزراعي فقط ، بل تشمل كل منابع الثروة ، وهم بالتالي أصحاب اتجاه اصلاحي،ولا تغيير جذري كالتيار الماركسي .

ومن هنا فقد تبنوا فكرة الضرائب التصاعدية كحل تشريعي لاعادة توزيع الثروة،وانطلاقا من نقطة « البين بين » والحل التدريجي عن طريق البرلمان ، انطلقت كل أفكار الفابية لوضع حلول اشتراكية لمشاكل المجتمع واستمرت الجمعية في النشاط ، الى أن خرج من صفوفها حزب العمال البريطاني ، والذي مازال يضع أمام مقره تمثالين لسيدني وبياتريس ويب عرفانا بفضل الجمعية على الحركة الاجتماعية والعمالية . □

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الثانية ٣٠ دينارا و الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - لو كان لديك شريطان .. أحدهما من النايلون والآخر من الألمنيوم .. وكانا متساويي القطر .. ترى أي الشريطين يفوق الآخر قوة ومقاومة لفعل الشد ؟

٢ - حجر رشيد .. اكتشفه في مصر علماء فرنسيون سنة ١٧٩٩ .. وكان لاكتشافه أثر كبير في حل رموز الكتابة الفرعونية .. ترى أين يوجد هذا الحجر حاليا ؟ :

- في القاهرة
- في باريس
- في لندن

٣ - مسألة حسابية بسيطة وهي :
٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠ هل تستطيع كتابتها بالأرقام اللاتينية التي كانت سائدة في شتى أقطار العالم قبل انتشار الأرقام الهندية / العربية ؟

٤ - علمان من أعلام الدول المستقلة .. يطابق أحدهما الآخر تمام المطابقة ، سواء بالشكل أو الألوان أو النقش ، هذا بالرغم من أن العلمين يخصان قطرين مختلفين متباعدين ، ولا يربط بينهما أي رابط في الحاضر أو الماضي .. فماهما هذان القطران ؟ .. علما بأن أحدهما يقع في أوربا والثاني في أمريكا اللاتينية .

٥ - نهر الخابور الأعظم ونهر الخابور الأصغر أين يقعان وأين يصبان ؟

٦ - البنسلين - الستروبتومايسين - الكلورومايستين - والانسولين ..

اسماء كلها متجانسة ، ما عدا واحدا .. فأيها هذا النشاز .. ولم تعتبره نشازا .. ؟

٧ - ما عدد الفقرات في رقبة الانسان وفي رقبة الزرافة ؟ .. علما بأن طول رقبة الانسان لايزيد على ٣٠ - ٤٠ سم مهما طالت ، بينما طول رقبة الزرافة يبلغ ٣ - ٤ امتار .



مسابقة العربي الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت - مسابقة العربي الثقافية - العدد ٣٢٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر ١٩٨٥ .

٨ - الجاحظ والدميرى . . لكل منهما كتاب فى الحيوان ، فما اسم كتاب كل منهما . ؟

٩ - طائفة الموارنة طائفة مسيحية كبيرة فى لبنان . . ظهرت سنة ٤٠٠ ميلادية ونزحت الى لبنان سنة ٧٤٥ /٤٦ م ، ترى أين ظهرت ؟

١٠ - حجر الفلاسفة لم يكن وقفا على علماء العرب فى القرون الوسطى . . وقد اعتقد به احد كبار العلماء الأوروبيين فى العصور الحديثة : ترى من هو هذا العالم ؟ :

- اينشتين
- مدام كورى
- اسحق نيوتن .

١١ - اى دول امريكا الجنوبية تسمى وحدة عملتها قرطبة . ؟

١٢ - ميزان فهرنهايت وميزان سلسيوس المئوى للحرارة ميزانان متفاوتان كما هو معروف . . فالصفر المئوى يعادل ٣٢ درجة فهرنهايت . . ترى ما هى الدرجة التى يلتقى عندها الميزانان ويتساويان تماما . ؟

العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ - . . . .

٢ - . . . .

٣ - . . . .

٤ - . . . .

٥ - . . . .

٦ - . . . .

٧ - . . . .

٨ - . . . .

٩ - . . . .

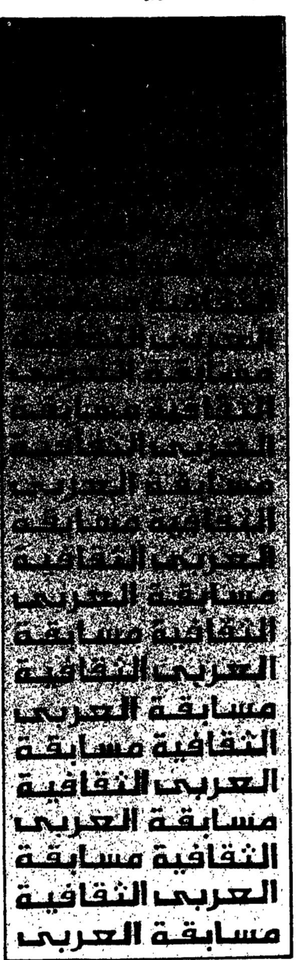
١٠ - . . . .

١١ - . . . .

١٢ - . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .



حل

١ - نعم ، توجد جبال شامخة على سطح القمر ، وبعض هذه الجبال يفوق جبل افرست ارتفاعا . .

٢ - ديوجينس الفيلسوف الاغريقي الساخر (٤١٢ - ٣٢٢ ق . م) هوقائل العبارة ، وقد وجهها الى الاسكندر المقدونى حين زاره هذا قبيل حملته الشهيرة ، وسأله مايريد .

٣ - الهند هى التي اتخذت من اللغة الانجليزية لغة رسمية ثانية لها .

٤ - لامسافة بين فورموزا وطيوان . . لأن فورموزا هى طيوان وطيوان هى فورموزا . . وهى جزيرة تقع على بعد ١٠٠ ميل الى شرق الصين . . وعاصمتها تايباى ، وهى مقر حكومة الصين الوطنية .

٥ - البوابة الذهبية هى المضيق الذي يقع في مدخل خليج سان فرانسيسكو في كاليفورنيا . . ويبلغ طول المضيق ٥ أميال ، وعرضه ميلين تقريبا . . ويسمى الجسر الذي يقطع ذلك المضيق بجسر البوابة الذهبية ، ويعتبر أطول جسور العالم المعلقة (٤٢٠٠ قدم)



مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

٦ ـ الأصح قولك نقه المريض نقها . . أما نقه نقاهة فتعنى فهم الكلام . .

٧ ـ الاسم الطويل (سومي تاسافلتا) هو اسم فنلنده الثاني .

٨ ـ استهتر بالشيء . . أصبح مولعا به لايتحدث بغيره ، ولايفعل غيره . .

٩ ـ لانرى من القمر الا وجها واحدا لأن القمر يدور حول نفسه كما يدور حول الكرة الأرضية ، ويستغرق في كلتا دورتيه نفس المدة تقريبا (٢٧ ١/٣) يوم .

١٠ ـ تبلغ سرعة الصوت ١/٣ كيلومتر في الثانية . . بالضبط ٣٣٢ مترا . . أوما يعادل ٧٦٠ ميلا في الساعة . . وذلك في الهواء وبدرجة حرارة صفر مئوية .

١١ ـ جلد الشموا نسبة الى وعل الشموا الذي له فروة مخملية . . والذي عمدوا الى تقليده في الدباغة ، فكان الجلد المخملي الصناعي الذي سموه شموا .

١٢ ـ مساحة حلبة الملاكمة تبلغ ١٨×٢٥ قدما . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

الجائزة الاولى : كمال أبو اليزيد شاه / مدرسة الشوربجى / كفر الزيات / مصر .

الجائزة الثانية : عبدالزهرة عبدالجبار على / العراق / بصرة / عشار .

الجائزة الثالثة : فاضل بن نصر / ١٥ نهج الامل / سيدى أبو سعيد / الجمهورية التونسية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ صلاح كاظم بلبيل / بيروت ـ لبنان .

٢ ـ أميرة خريشه / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية .

٣ ـ صلاح الدين عبدالقيوم أبو شامه / بور سودان / جمهورية السودان الديمقراطية .

٤ ـ أحمد سالم الفريني / خور مكسر / عدن ـ اليمن الديمقراطية .

٥ ـ بشير سليم عوامة / الكويت .

٦ ـ يوسف عبدالله الشبعان / المحرق ـ دولة البحرين .

٧ ـ بثينه على محاسنه / مطار الملك خالد الدولى / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٨ ـ رياض الحارس / دمشق ـ سبع بحرات ـ مديرية المصالح العقارية ـ الجمهورية العربية السورية .

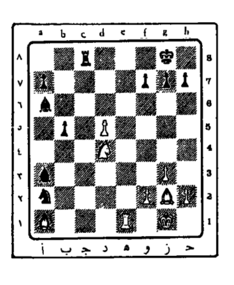


مباراة العصر

وأخيرا وبعد ستة أشهر من اللعب المتواصل أوقف السيد فلورنشيو كامبومينز رئيس الاتحاد الدولى للشطرنج مباراة العصر بين بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف (٣٣ سنة) ومواطنه الروسي جاري كاسباروف (٢١ سنة) وسط الاحتجاج المصطنع من بطل العالم والثورة العارمة من متحديه على اللقب الذى فاز بثلاثة أدوار متتالية بعد الأدوار الخمسة المتتالية التى فاز بها كاربوف في بداية المباراة . وقد حدّد الاتحاد الدولي موعد الجولة القادمة بين البطلين فى شهر سبتمبر القادم من العام الحالي بعد أن سَنَّ للمباراة القادمة عددا من القوانين الجديدة أهمها تحديد عدد الأدوار التى يلعبها البطلان بأربعة وعشرين دورا فقط ينعقد النصر فيها لمن يفوز بسته أدوار أولاً أويحصل على نتيجة أعلى فى نهايتها .

وما أن أفاق العالم من الصدمة المذهلة التى سَبَّبتها هذه النهاية العجيبة لماراثون العصر حتى بدأ المحللون من كبار أساتذة الشطرنج يتناولون أدوار المباراة بالدراسة والتحليل والتعليق ، وقد اسفرت هذه الدراسات عن اكتشافات مثيرة حقّاً ، فالدور السادس مثلاً الذى انتهى بفوز كاربوف كان يمكن ان يكسبه متحديه بسهولة . (انظر الشكل)

فقد اختار الأبيض (كاسباروف) ان يلعب ٢٧ ٠ ح ـ جـ ٦ لسدّ العمود جـ فى وجه قطع الخصم ، واثبت التحليل ان النقلة ٢٧ ٠ ح ـ و٥ أقوى بكثير فهى تهدد بكش مات بمؤازرة ف×ز٧ وفي الوقت ذاته



تسمح للبيدق د أن يتحوّل إلى قطعة مهاجمة في منتهى الخطورة . وفيما يلي التفريعات المحتملة بعد النقلة ٢٧ ٠ ح ـ و٥ :

(١) ٢٧	ز ٦
٢٨ . د٦	ز×و٥
٢٩ . د٧	ويليها
٣٠ . ر ـ هـ ٨ +	
(٢) ٢٧	ر-د٨
تفادياً للكشة المضاعفة	
٢٨ . ف×ز٧	ف-جـ٨
٢٩ . ف-و٦	ر-و٨
٣٠ . ح-حـ٦	كش مات
(٣) ٢٧	ف-ب٤
٢٨ . ر-هـ٢	ح-جـ١

٢٩. ر-هـ٤	ف-و٨
٣٠. د٦	ح-ب٣
٣١. د٧	ر-جـ١+
٣٢. ف-و١	ر-د١

وبدلا من اغلاق العمود «د» بالنقلة ٣٣. ف-د٤ يستطيع الابيض أن ينهي الدور كما يلي :

٣٣. ر-هـ ٨	ر×د٧

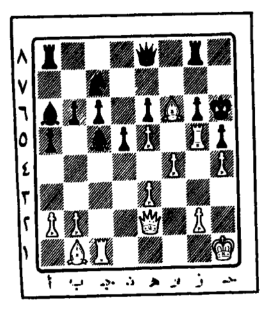
(لو لعب الاسود ٣٣. . . . . . ح×أ١ لَرد الأبيض ٣٤. ح-هـ٧ كش مات)

٣٤. ف×ز٧	حـ٥
٣٥. ر×و٨+	م-حـ٧
٣٦. ر-حـ٨+	م-ز٦
٣٧. ر-حـ٦+	م×و٥
٣٨. ف-حـ٣+	ويفوز بالرُّخ
(٤) ٢٧	ف-ب٤
٢٨. ر-هـ٢	ح-جـ٣
٢٩. ف×جـ٣	ف×جـ ٣
٣٠. ر-أ٢	(٣٠. ح-هـ٧ قوية أيضاً

وتحقّق للابيض الفوز بالفرق)

٣٠.	ف ـ ب٧
٣١. ح-هـ٧+	م-و٨
٣٢. ح×جـ ٨	ف× جـ ٨

٣٣. ر×أ٧ ويصبح الاسود أعزل أمام ٣٤. ر-أ٨ أو ر-جـ٧ أو د٦ والتي يتبعها ٣٥. ف-جـ٦



مسابقة العدد :

مسألة رقم (٣١)

الابيض يلعب ويكش مات في ٤ إلى ٥ نقلات

حل المسأله رقم (٢٩)

مفتاح الحل : حـ٣

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٨

عدد ابريل ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ حسين الأزهري ـ الزقازيق / ج . م . ع
٢ ـ لولوة المرهوم ـ المنامة / البحرين
٣ ـ احمد سليمان ـ عمان / الاردن
٤ ـ مراد توفيق ـ المانيا الغربية
٥ ـ وليد سعد الله ـ القادسية / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ وفاء حناوي ـ اللاذقية / سوريا
٢ ـ مصطفى بن يوسف ـ جربه / تونس
٣ ـ ازهري خضر ـ متزده / ليبيا
٤ ـ طالب العامري ـ حضرموت / اليمن
٥ ـ علاء فريد ـ الزقازيق / ج . م . ع



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء

العربية لا الفصحى

● يبرز في مجتمعنا العربي العديد من المشكلات المشتركة والخطيرة ، ومن أهمها مشكلة « احلال اللغة العامية مكان الفصحى »ولما كان دور مجلتنا «العربي» هو تأكيد إصالة اللغة العربية . فان المطلوب منها التصدى لدعاة العامية ، الذين ينادون بها ونبذ اللغة الفصحى التي جاء بها القرآن الكريم .

وقد كتب « ويلكوكس » الانجليزي كتابا يزعم فيه أن اللغة الفصحى هي السبب الكامن وراء التخلف المصري ، لانها لغة ترف ذهني وليست لغة ابداع علمي ، والدعوة الى العامية لم تكن الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفصحى ، بل كانت هناك وسائل أخرى ، منها الدعوة الى استبدال الحروف اللاتينية في الكتابة بالحروف العربية . ويعتبر « سلامة موسى » في مقدمة من دعا الى ذلك في كتابه « البلاغة العربية واللغة العصرية » الذي صدر في عام ١٩٤٥م .

محمد جابر محمد عبد الله - أسيوط - مصر العربية

العربي:

اللغة العربية هي لغتنا الام ، التي قال فيها الخالق سبحانه « انا انزلناه قرآنا عربيا » ثم ان هذه اللغة هي التي حركت قرائح الشعراء منذ القدم ، وتركت لنا تراثا أدبيا خالدا له أصالته ومكانته . والعامية هي لهجة الناس فيما بينهم ، ولم تكن في أي يوم من الأيام لغة يكتب بها الكاتب أو يقرأ بها القارىء . . فالعربية هي لغة التفاهم بين أبناء العروبة الذين اختلفت لهجاتهم العامية عن التعبير والتفاهم فيما بينهم .

النوبة . . منطقة مصرية

● اعتبرت بلاد النوبة من أيام الأسرة الثامنة عشرة احد أقاليم مصر . وكان الملك المصري قد قام بتعيين حاكمها الذي أطلق عليه « ابن الملك حاكم كوش » . وكانوا أيضا يدينون بالعبادات المصرية في ذلك الوقت .

وحين توفي شيشنق الأول ، حاكم مصر قام بعض الكهنة الذين لم يرضوا عن هذا الوضع بالهجرة الى بلاد النوبة وقاموا بطقوسهم الدينية هناك للاله « امون رع » .

واذا كان البعض لايزال ينظر الى أهل النوبة نظرة فيها اتهام بالتخلف والفوضى ، فلهؤلاء أقول : إن أهل النوبة يمتازون بالطيبة والمرح والخلق وسعة الادراك والثقافة . ولهم تاريخهم الذي يجب على كل من ينكرهم الرجوع اليه لمعرفة الحقيقة التي غابت عنه . .

زكي محمد محمود . . مصر العربية

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

العربي .. والثقافة الافريقية

● لما كانت مجلة « العربي » لسان القارىء العربي في كافة أقطار العروبة .. ولما كانت هذه المجلة الرائدة صديق كل عربي يبحث عن الثقافة والعلم والمعرفة ، فاننا قراء المغرب العربي نود من مجلتنا أن تسلط الضوء على قضايا الجناح الافريقي العربي ، سواء الثقافية منها أو الاجتماعية أو العلمية أو حتى الاعلامية - ذلك لأننا نشعر أن هذه الجوانب الهامة في حياة أقطارنا الافريقية العربية لم تلق الاهتمام المطلوب من مجلتكم العربي ، التي تنطق بالعربية لكل قارىء فيها .

ونحن على ثقة بأنكم سوف تلبون رغبتنا هذه ، وخصوصا وأن العربي تدخل كافة أقطار العروبة من المحيط الى الخليج .

سليمان بركة محمد -طرابلس - الجماهيرية الليبية

العربي

لم نهمل في أي عدد من أعدادنا أنشطة المغرب العربي ، سواء الأدبية منها أو العلمية أو الثقافية . وهو واجب علينا نعمل دائما على التوسع فيه .. ولعلك تلاحظ في هذا العدد أننا قد بدأنا نشر رسالة المغرب العربي التي يتولاها مكتب العربي في الشمال الافريقي ومقره تونس .. والى مزيد من اليقظة الاعلامية الثقافية لأقطار هذه المنطقة من الوطن العربي .

المرأة العربية .. في السينما

● شاهدت الكثير من الأفلام العربية ، وكان معظمها - ان لم يكن جميعها - يقف موقفا غير عادل تجاه المرأة ، سواء أكانت بطلة للفيلم أم ممثلة كسائر الممثلين .

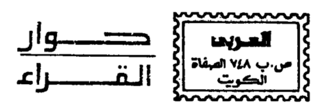
هذا الموقف وضع المرأة في دائرة الاتهام ، والنظرة السلبية لدور هذه المرأة كأم ومربية .

لقد قدمت السينما العربية الدور السلبي للمرأة في كافة أفلامها حتى صار هؤلاء يعتقدون أنه لادور إيجابي لهذه المرأة .. وهذا التقديم السينمائي السلبي للمرأة جعلها في دائرة الاتهام والظلم ، وأبرزها في صورة مشوهة غير حقيقية ، وغير متفقة مع واقعها الحالي . ان للمرأة دورا كبيرا في كافة مرافق الحياة عندنا ، والوجه المشرق للمرأة يجب أن تبرزه السينما العربية بدلا من اهتمامها بالمرأة كعنصر هدم للأخلاق والفتن والاغراء ..

نبيلة عزوزي -طنجة - المملكة المغربية

العربي

من واجب السينما العربية أن تعطي المرأة حقها ، وتكون منصفة لها ، فالدور الايجابي الذي تقوم به هو دورها الذي لايمكن لحركة السينما العربية أن تنكره .. ونأمل أن يأخذ السينمائيون العرب المرأة كعنصر له دوره في المجتمع أكثر من الدور الذي يقدمون به المرأة الآن كعاشقة وفاتنة بطل الفيلم .



الشغل في اللغة

● جاء في مجلتكم العربي ، العدد ٣٠٦ في مقال للاستاذ عبد الواحد حروق . . « فأي ضير على اللغة يراه الكاتب في استعمال لفظ الشغل في معنى العمل ؟ أو لم يرد هذا في القرآن الكريم ؟ حيث جاءت كلمة « شغل » لتدل على التوجه الى العمل « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا » الفتح .

والحقيقة أن المعنى العجمي لكلمة شغل هو « ضد الفراغ أو الالهاء » وهذا ماقصد بالكلمة من الآية الكريمة ، أي أن المخلفين قد ألهوا بأموالهم وأهليهم ، فلم يتقدموا الى الجهاد . وهذا مفهوم من سياق الآية . كذلك وردت كلمة شغل في القرآن في سورة « يس » الآية ٥٥ ، وتؤدي معنى اللهو لامعنى العمل .

توفيق جرجور . . دمشق ـ سوريا

البربر . . أبناء مازيغ

● تناولتم أكثر من مرة موضوع « البرابرة » وقد رأيت فيها بعضا من الملاحظات التي أود توضيحها لكم .

فالبرابرة . . أو الامازيغ هم السكان الأصليون لشمال أفريقيا ، ويعود أصلهم الى « مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام » . . ويروى أنه حينما كان عمرو بن العاص ، واليا على مصر أرسل بعض رؤساء البربر الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسألهم عن نسبهم فقالوا نحن أبناء مازيغ (المصدر ، تاريخ المغرب الكبير للشيخ أحمد علي دبوز) .

والبربر . . هو الاسم الغالب عليهم ، وليسوا هم أولئك المتوحشين من الاوروبيين الذين أطلق عليهم اليونانيون اسم البربر بمعنى الوحشية والهمجية ، بل هم شعب يحب الحرية والديمقراطية ، وهذا ماجعلهم يرفضون الخضوع الى كل الفاتحين . وكذلك الوافدين من البيزنطيين الى المغرب والاسلام وحده هو الذي ألف بين قلوب البربر والعرب على الرسالة المحمدية . كما أن لغة القرآن سائدة على بعض ألسنة هذه الأقوام . .

عبد الحكيم يحيى . . الينابيع الجديدة ـ الجزائر

ردود خاصة

● الاخ عبود محمد باربيد . . اليمن الديمقراطية ، نشكرك على اعجابك بالمجلة فيما تقوم به من دور تجاه القارىء العربي . . وهذا جزء من واجبنا . .

● الى القارىء سيد بشير محمود . . بلدية الكويت ، اقتراحك بخصوص قيام المجلة باستطلاع عن « بنغلادش » نفيدك بأننا سوف نقوم به في القريب العاجل.

● من مصر بعث الينا القارىء طالب خالد عبد المعطي ، يطلب تزويده ببعض قصص الأنبياء . . ولما كانت هذه الكتب غير متوفرة لدينا ، فاننا نعتذر عن ارسالها وهي متوفرة في مكتبات القاهرة . . . وعذرا مرة أخرى .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول يوليو ١٩٨٥

١٩٠

العدالة

تأليف : جون جولزورذي
ترجمة وتقديم : د. داود حلمي السيد
مراجعة : د. طه محمود طه



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٨٥م

تربية اليسر وتخلف التنمية

تأليف :

د. عبد العزيز الجلال

الكتاب الواحد والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت


المجلة العربية
للعلوم الانسانية

بارد وهادئ.

إختر منطقة Toshiba المريحة.



مكيّف هواء
النظام المنفصل

إختر النوع الذي تفضله،
للأرض، للحائط، للسقف
أو نظام كاسيت
قوة التبريد من ١٢,٠٠٠ BTU/h
إلى ١٠,٠٠٠ BTU/h
مع أو بدون نظام تدفئة
قوة التيار الكهربائي ٢٢٠/٢٤٠ فولت - ٥٠ Hz
أو ٢٢٠ فولت - ٦٠ Hz

مكيّف هواء
يثبّت في الشبّاك

مجموعة كاملة لراحتك،
قوة التبريد من ١٢,٠٠٠ BTU/h
إلى ٢٤,٠٠٠ BTU/h
مع أو بدون تدفئة
قوة التيار الكهربائي ٢٢٠/٢٤٠ فولت - ٥٠ Hz
أو ٢٢٠ فولت - ٦٠ Hz

RAC-46JE

TOSHIBA TOKYO, JAPAN


صباح الخير!
NESCAFÉ
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط.
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2960